

عبد الحميد، محمد محي الدين
وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01053413

تجليد صالح الدقر
٢٢٩٧٧

9 ~~_____~~ V.3
السمهودى ، ابو الحسن علي بن عبدالله .
وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى .

~~953.8~~ 953.8
~~S188~~ S188wA JAN 1971
~~V.3~~ V.3
~~C.1~~ C.1

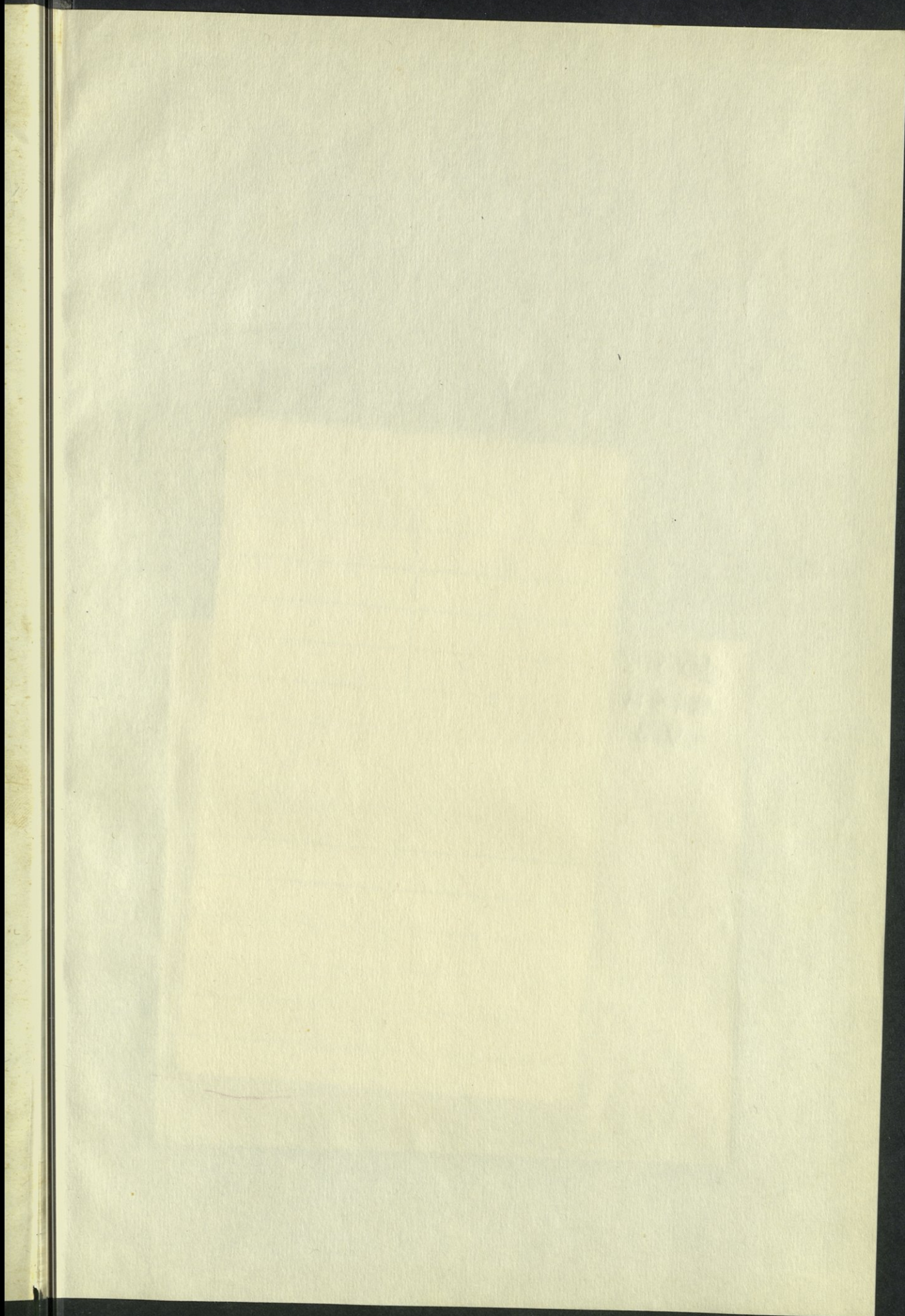
1 - Jun 69

JAFET LIB.
- 1 JUN 1982

JAFET LIB.
23 JUN 2006
Circulation Dept. 1

JAFET LIB.
OCT 1995
Circulation Dept. 2

JAFET LIB.
- 3 MAR 2008
Circulation Dept. 3



753.8
S188 wA
v.3

953.8
S188 wA
v.3
c.1



وَقَاءُ الْوَقَا

بأخبار دار المصطفى

تأليف

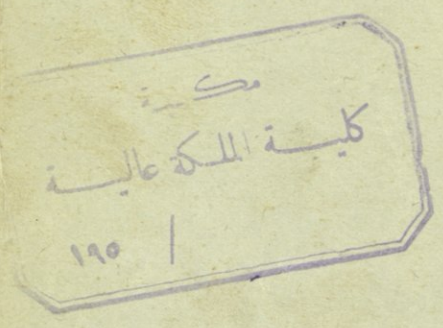
نور الدين علي بن أحمد السهمودي

المتوفى في عام ٩١١ من الهجرة

حَقَّقَهُ ، وَفَصَّلَهُ ، وَعَلَّقَ حَوَاشِيَهُ

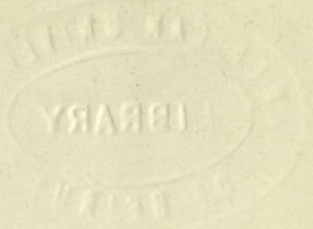
محمد محيي الدين عيسى الخليلي

عفا الله تعالى عنه !



الجزء الثالث

لَعَمْرُكَ



الطبعة الأولى

في سنة ١٣٧٤ من الهجرة - ١٩٥٥ من الميلاد

تطلب من الشيخ محمد النمنكاني ، المدني
الكتبي بالمدينة المنورة

مطبعة السعادة بمصر

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الخامس

في مُصَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم في الأعياد ، وغير ذلك من المساجد التي صَلَّى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، مما عَلِمْتُ عَيْنَهُ أَوْ جِهَتَهُ ، بالمدينة وما حولها ، وما جاء في مَقْبَرَتِهَا وَمَنْ دُفِنَ بِهَا ، والمشاهد المعروفة ، وفضل أَحَدٍ والشَّهَدَاءُ بِهِ . وفيه سبعة فصول :

الفصل الأول

في الْمُصَلَّى في الأعياد ، وفيه أطراف

الأول : في الأماكن التي صَلَّى فيها النبي صلى الله عليه وسلم العيد .

قال الْوَاقِدِيُّ : أولُ عيدٍ صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بِالْمُصَلَّى سَنَةَ أول عيد صلاه
ثنتين من مُقَدَّمِهِ المدينة من مكة ، وُحِلَتْ لَهُ الْعَزَّةُ وهو يومئذ يصلي إليها في النبي بالمصلي
الفضاء ، وكانت الْعَزَّةُ لِلزَّيْرِ بْنِ الْعَوَام ، أعطاه إياها النَّجَاشِيُّ فَوَهَبَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى
الله عليه وسلم ؛ فَكَانَ يُخْرِجُ بِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الْعِيدِ ، وهى اليوم بالمدينة عند
المؤذنين ، يعنى يخرجون بها بين يدي الأئمة في زمانهم .

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : لما رجعنا من بنى قَيْنُقَاعَ ضَحِينَا
أول أضحي في ذى الحجة صبيحة عشر ، فكان أول أضحي رآه المسلمون ، وذبح
أهل الْيُسْرِ من بنى سامة ، فعددت في بنى سامة سبع عشرة أضحية .

وروى ابن زباله وابن شبة عن أبي هريرة قال : أول فطر وأضحي صلى

مكان مصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بالمدينة بفناء دار حكيم بن العداء عند العيد أصحاب الحامل .

وروى الثانی عن ابن أبي فروة أن النبی صلى الله عليه وسلم صلى في ذلك المكان .
وروى الأول عنه ما يقتضيه ؛ فإنه روى عن إبراهيم بن أبي أمية قال :
أدركتُ مسجداً في زمان عثمان عند حرف زاوية أبي يسار عند أصحاب الحامل ،
وليس ثم مسجد غيره ، وذلك المسجد هو الذي صَلَّى فيه النبی صلى الله عليه وسلم
يوم أضحى ، وَضَحَّى هناك هو وأصحابه حتى احتملت ضحايهم من عنده .
قال : وأخبرني من رأى الأنصار يحملون ضحايهم من هناك ، ثم روى عن
ابن أبي فروة قال : إن النبی صلى الله عليه وسلم صَلَّى في ذلك المسجد وهو خلف
الْمَجْزَرَةَ التي بفناء دار العداء بن خالد ، ويقال لها : دار أبي يسار .

قلت : فالروايات المذكورة مُتَّفَقَةٌ على الصلاة بالحلِّ المذكور ، ودارُ حكيم
ابن العداء هي دار أبيه العداء بن خالد بن هوذة بن بكر بن هوازن ؛ فلا مخالفة
في ذلك ، ولم أعلم محل داره ، غير أن الظاهر من قوله « عند أصحاب الحامل »
أنه موضع بأعلى السوق مما يلي المصلى ، وفي أول الروايات المذكورة بيان أن الصلاة
فيه كانت في أول الأمر .

وروى ابن زبالة أيضاً ما يخالفه بالنسبة إلى الأولية عن إبراهيم بن أبي أمية عن
شيخ من أهل السنن والثقة قال : أول عيد صَلَّاهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلى في حارة الدوس عند بيت ابن أبي الجنوب ، ثم صلى العيد الثاني بفناء دار
حكيم عند دار حفرة داخلا في البيت الذي بفناء المسجد ، ثم صلى العيد الثالث
عند دار عبد الله بن درة المزني داخلا بين الدارين دار معاوية ودار كثير بن
الصَّلْتِ ، ثم صلى العيد الرابع عند أحجار كانت عند الحنّاطين بالمصلى ، ثم صلى
داخلا في منزل محمد بن عبد الله بن كثير بن الصلت ، ثم صلى حيث يصلى
الناس اليوم .

تعدد موضع
صلاة العيد

وروى ابن شبة من طريق إبراهيم بن أبي أمية مولى بني عامر بن لؤي قال : سمعت ابن باكية يقول : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العيدَ عند دار الشفاء ، ثم صلى في حارة الدوس ، ثم صلى في المصلى ؛ فثبت يصلى فيه حتى توفاه الله تعالى .

وروى أيضاً عن ابن شهاب قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم العيدَ في موضع آل درة ، وهم حى من مَزَيْنَةَ ، ثم صلى دون ذلك في مكان أطم بني زريق عند أذنه اليسرى .

قلت : قوله « ثم صلى في المصلى فثبت يصلى فيه حتى توفاه الله تعالى » هو بمعنى قوله في الرواية التي قبلها « ثم صلى حيث يصلى الناس اليوم » يعنى بالمسجد المعروف بمسجد المصلى .

وقد نقل ابن شبة عن شيخه أبي غَسَّان وهو الكنانى من أصحاب مالك بين مصلى العيد أنه قال : ذرع ما بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى عنده دار مروان ابن الحكم وبين المسجد الذى يصلى فيه العيد بالمصلى ألف ذراع .

قلت : وقد اختبرته فكان كذلك ، وهذا المسجد هو المراد بقوله في حديث ابن عباس في الصحيح « إن النبي صلى الله عليه وسلم أتى في يوم عيد إلى العلم الذى عند دار كثير بن الصلت - الحديث » وكأنهم كانوا قبل اتخاذ المسجد بذلك المحل جعلوا الصلاة الشريف شيئاً يعرف به ، وهو المراد بالعلم بفتحيتين .

وقال ابن سعد : كانت دار كثير بن الصلت قبلة المصلى في العيد ، وهى تطل على بطحان الوادى في وسط المدينة ، انتهى . وليس المراد أنها متصلة بوادى بطحان ، بل بينهما بعد . ودار كثير هذه كانت قبله للوليد بن عقبة ، ثم اشتهرت بكثير بن الصلت ، وهو من التابعين ، ولد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فوق التعريف بداره ليقرب إلى ذهن السامع فهم ذلك ، وليس كثير بن الصلت هو

الذي اختطها ، خلافا لما وقع في كلام الحافظ ابن حجر حيث قال : وإنما بنى كثير بن الصلت داره بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة ، لكنها لما كانت شهيرة في تلك البقعة وصف المصلى بمجاورتها ، انتهى . وما أخذنا فيما قدمناه قول ابن شبة في دور بنى عبد شمس ونوفل : واتخذ الوليد بن عقبة بن أبي معيط الدار التي في مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم التي صلى إليها العيد ، وهي يصلى إليها اليوم لآل كثير ابن الصلت الكندي ، فجاء عثمان الوليد في الشراب ، فحلف لا يساكنه إلا وبينهما بطن واد ، فعارض كثير بن الصلت بداره هذه إلى دار كثير ببطحان التي يقال لها دار الوليد بن عقبة في شفير الوادي ، أي من العُدوة الغربية كما بينه في موضع آخر .

وأما الموضع المذكور لصلاة العيد أولا عند أصحاب الحامل - وهم الذين يبيعون الحامل ويصنعونها - فيظهر أنه المسجد المعروف اليوم بمسجد على رضى الله تعالى عنه الآتى ذكره .

تحديد المواضع التي صلى فيها العيد

وأما الموضع المذكور في الرواية الأخرى عند دار بن أبي الجنوب فلم أعلم محله ، غير أن دار ابن أبي الجنوب كانت بالحرة الغربية التي غربي وادي بطحان كما يؤخذ مما سيأتى في الخندق ومسجد الشجرة والمغرس .

وأما الموضع المذكور في قوله « عند دار عبد الله بن درة المزني إلى آخره » فقد تقدم أن منازل مُزَيِّنَة كانت في غربي المصلى وفي قبلتها . وتقدم أن دار كثير بن الصلت كانت قبلة المصلى ، ودار معاوية رضى الله تعالى عنه كانت في مقابلتها ، وسيأتى في بيان طريقه صلى الله عليه وسلم إلى قباء أنه كان يمر على المصلى ثم يسلك في موضع الزقاق بين الدارين المذكورتين ؛ فيكون ذلك المحل في قبلة المصلى اليوم : إما من المغرب ، وإما من المشرق ، والأول هو الأقرب .

وأما بقية المواضع المذكورة فلم أعرف جهاتها ، غير أن الذي يظهر أنها حول المصلى ، وبعضها بسوق المدينة ، لذكر الحناطين فيها ، وسيأتى في مشهد مالك

أَبْنُ سَنَانٍ أَنَّهُ بِطَرَفِ الْخَنَاطِينِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْمَسْجِدَ الْمَعْرُوفَ
الْيَوْمَ بِمَسْجِدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِالْحَدِيقَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْعَرِيشِيَّةِ ، كَمَا سَيَأْتِي
عَنِ الْمَطْرِيِّ .

وَأَمَّا مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَضْحَى إِلَى الْبَقِيعِ
فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَّاحًا وَخَطَبَ وَقَالَ : إِنْ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا
هَذَا أَنْ نَصَلِّيَ ، ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحِرَ - الْحَدِيثُ : فَظَاهِرُهُ أَنَّ الْمُرَادَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ ،
لَكِنِّي أَسْتَبْعِدُهُ ؛ لِأَنَّ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ مُؤَرِّخِي الْمَدِينَةِ لَمْ يَذْكُرُوا ذَلِكَ مَعَ اشْتِهَارِ
هَذَا الْحَدِيثِ ، وَكَذَلِكَ الْمَطْرِيُّ وَمَنْ تَبِعَهُ . وَأَغْرَبَ الْحَافِظُ ابْنُ حَبْرٍ فَقَالَ
فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْجُمَةِ الْبُخَارِيِّ لِلرَّجْمِ بِالْمُصَلَّى : الْمُرَادُ الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ يَصَلِّي
عِنْدَهُ الْعِيدَ وَالْجَنَازَ ، وَهُوَ مِنْ نَاحِيَةِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ ، اهـ .

وَمَا أَخَذَهُ فِي ذَلِكَ ظَاهِرُ هَذَا الْحَدِيثِ ، مَعَ مَا وَرَدَ مِنْ رَوَايَةِ أُخْرَى مِنَ الرَّجْمِ
عِنْدَ مَوْضِعِ الْجَنَازِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَوْضِعَ الْجَنَازِ فِي شَرْقِيِّ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ جَبْرِيلَ ،
وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الْبَقِيعِ ، وَأَمَّا الْمُصَلَّى حَيْثُ أُطْلِقَتْ فَإِنَّمَا يُرَادُ بِهَا الْمَوْضِعُ الْمَعْرُوفُ
الَّذِي قَدَمْنَاهُ فِي غَرْبِيِّ الْمَدِينَةِ ، وَبَقِيعُ الْغَرْقَدِ فِي شَرْقِيَّهَا ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ
حَبْرٍ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَلَى الصَّوَابِ كَمَا سَيَأْتِي عَنْهُ فِي الطَّرَفِ الثَّانِي ، وَعَلَى تَقْدِيرِ
أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ الْمُتَقَدِّمِ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَهُوَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي صَلَّى
فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ السَّنِينَ ، وَلَيْسَ هُوَ الْمُرَادُ إِذَا أُطْلِقَ الْمُصَلَّى
جَزْمًا . وَالَّذِي يَتَرَجَّحُ عِنْدِي أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبَقِيعِ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ سَوْقُ الْمَدِينَةِ ؛
لَمَّا قَدَمْنَاهُ فِيهِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يُسَمَّى بِقِيعِ الْجَبَلِ ، وَهُوَ أَحَدُ الْأَمَاكِنِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرَهَا
لِصَلَاةِ الْعِيدِ ، وَكَذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ « أَنِّي أَبِيعُ الْإِبِلَ بِالْبَقِيعِ
بِالدِّرَاهِمِ وَأَخَذُ مَكَانَهَا الدَّنَانِيرَ » كَمَا قَدَمْنَاهُ .

وَقَالَ الْجَمَالُ الْمَطْرِيُّ عَقِبَ نَقْلِهِ لَمَّا قَدَمْنَاهُ عَنْ ابْنِ زُبَالَةَ : وَلَا يَعْرِفُ مِنْ

المساجد التي ذكر لصلاة العيد إلا هذا المسجد الذي يصلى فيه اليوم ، ومسجد شماليه وسط الحديقة المعروفة بالعريضة المتصلة بقبة عين الأزرق ، ويعرف اليوم بمسجد أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، ولعله صلى فيه في خلافته ، ومسجد كبير شمالي الحديقة متصل بها يسمى مسجد على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، ولم يرد أنه رضى الله عنه صلى بالمدينة عيدا في خلافته ؛ فتكون هذه المساجد الموجودة اليوم من الأماكن التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العيد سنة بعد سنة وعيدا بعد عيد ؛ إذ لا يختص أبو بكر وعلى رضى الله عنهما بمسجدين لأنفسهما ويتركان المسجد الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قلت : ما ذكره من أنه لم يرد أن عليا رضى الله تعالى عنه صلى بالمدينة عيدا في خلافته ، أى فلا تظهر نسبة المسجد المذكور إليه ، وكأنه لم يقف على ما رواه ابن شبة عن سعد بن عبيد مولى ابن أزهر قال : صليت العيد مع على رضى الله عنه وعثمان رضى الله عنه محصوراً ؛ فصلى ثم خطب بعد الصلاة .

وروى أيضا عن الزهرى قال : صلى سَهْل بن خُثَيْف وعثمان محصور الجمعة ، وصلى يوم العيد على بن أبي طالب ؛ فالظاهر أنه صلى حينئذ بذلك المكان لكونه أحد المصليات التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، لا أنه ابتكر الصلاة فيه ، والله أعلم . ولم يكن المصلى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مسجداً ، بل كانت صحراء لا بناء بها ، ونهى صلى الله عليه وسلم عن البناء بها كما سيأتى ، ولهذا وقع الرجم بها . وذهب بعض العلماء إلى أن المصلى يثبت لها حكم المسجد ، وإن لم يُوقَفْ ، وهو مردود ؛ فإن مَنْ شاهد مصلاه صلى الله عليه وسلم وما ذكر من امتدادها إلى سوق المدينة كما قدمناه فيه وما بها من الدور والشوارع علم عدم صحة ذلك ، وحملُ الرجم المذكور في الحديث على أنه وقع بالقرب منها خلاف مقتضى اللفظ . والمسجد المتخذ بها اليوم إنما هو في بعضها ، وهو الحجل الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

مصلى العيد
بالصحراء

عليه وسلم ، وكذلك المسجدان الآخران ، والظاهر أن بناء الثلاثة كان في زمن عمر بن عبد العزيز :

وقد قدمنا ذكر الأول منها ، وهو المعروف اليوم بمسجد المصلى فيما نقله ابن شبة عن أبي غسان من الذَّرْع ؛ لما بينه وبين المسجد النبوى .

والثانى المنسوب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالحديقة المذكورة عن يساره مخزن لدواب الحديقة المذكورة ، ومدخل الدواب من باب المسجد الذى فى شاميه ، فيمتنه أهل الحديقة بمرور البهائم منه ، وربما حبسوها فيه ، فدخلته مرة فوجدته كالمزبلة ، وهو فى غاية الامتهان قد امتلأ بروث الدواب وبولها ، ولم أجد موضعاً للصلاة فيه فتكلمت مع شيخ الخدام الأمير إينال الناظر على الحديقة المذكورة فى أن يغير باب الخزن المذكور ، ويجعله من خارج المسجد ، فأمر فقيهه الفقيه الشهاب أحمد النوسى بالنظر فى ذلك ، فجعل على الموضع المسقف من المسجد المذكور الذى فيه الحراب جداراً فى شاميه يمنع من وصول البهائم إليه ، وكان فى جدار المسجد الغربى مما يلي القبلة هيئة باب مشبك ، فجعله باباً لذلك الحبل ، وبقيت رحبة المسجد التى فى شاميه دهليزا للدواب ، فكلمته فى ذلك فذكر أنه قيل له : إن المسجد هو ذلك المسقف فقط ، وجدران المسجد شاهدة بخلاف ذلك ، فليتنبه له .

والمسجد الثالث المنسوب لعلى رضى الله تعالى عنه كان قد تهدم ودثر حتى صار بعض الحجاج يدفن فيه من يموت فى زمن الموسم ، فإنه إلى جانب منزلة الحجاج ، فجدد بناءه الأمير زين الدين ضعيم المنصورى أمير المدينة الشريفة سنة إحدى وثمانين وثمانمائة^(١) .

وأما المسجد الأول المعروف اليوم بمسجد المصلى فلم يزل مَصُوناً ، وكان بابه لا يزال مفتوحاً فر بما يقع له انتهاك ، فأمر شيخ الخدام بغلقه ، وعمارته الموجودة اليوم لأدرى لمن تنسب ، إلا أنى رأيت على بابه حجراً قد انمحق بعض الكتابة

(١) جدده السلطان عبد المجيد العثمانى فى سنة ١٢٦٨ (حسب الله)

منه ، وفيه « أمر بتجديد هذا المسجد المنسوب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد خرابه
وذهاب عز الدين شيخ الحرم الشريف النبوى ، وذلك فى أيام السلطان الملك
الناصر حسن بن السلطان محمد بن قلاوون الصالحى » وما بعد ذلك قد اتمجى .
وابتداء ولاية السلطان حسن المذكور فى سنة ثمان وأربعين ، واستمر إلى أثناء
سنة اثنتين وستين وسبعائة ، وهذا المسجد بأبؤه فى حائطه الشامى قريبا
من محاذة محرابه ، ومن خارج بابه على يمين الداخل منه درج يصعد إلى موضع
لطيف على ميمنة الباب المذكور ، وقد أصلح ما تشعث من هذا المسجد الأمير
بردبك المعمار سنة إحدى وستين وثمانمائة فى دولة الأشرف إينال ، وأحدث لذلك
الموضع المتقدم وصفه فى ميمنة الباب المذكور درجة أخرى يتوصل بها إليه من
داخل المسجد ، وذلك الموضع هو الذى يقوم عليه الخطيب فى يوم العيد ، وأحدث
الأمير بردبك أيضا أمام ذلك الموضع من خارج المسجد مسقفا ليجلس عليه المبلغون
أمام الخطيب ، وفى يوم العيد يجتمع أهل السنة من أهل المدينة وأعيانهم بلمصلى
المذكور ، بحيث لا يبقى خارجه من أهل السنة إلا اليسير مع شيخ الخدام وجماعته ،
لأن العادة جرت بأن يكون صفهم أمام الخطيب فى الجمعة والعيد؛ لما ذكره البدر
ابن فرحون من أن أول قاض ولى لأهل السنة القاضى الإمام العلامة السراج
عمر بن أحمد الخضر سنة اثنتين وثمانين وستائة فى دولة المنصور قلاوون الصالحى ،
وكان القضاة قبل ذلك من الشيعة آل سنان ، وكانت الخطابة بأيديهم ، فانتزع
السلطان المشار إليه ذلك منهم للسراج ، فكانوا يؤذونه أذى شديدا .

قال ابن فرحون : أدركت من أذاهم له أنهم كانوا يرجونه بالخصباء وهو
يخطب على المنبر ، فلما كثر ذلك منهم تقدم الخدام وجلسوا بين أيديهم أمام
المنبر ، فذلك هو السبب فى إقامة صف الخدام قبالة الخطيب ، وخلفهم غلمانهم
وعبيدهم ، اه .

وقد استمر ذلك إلى اليوم ، فإذا صلى الإمام بأهل المسجد المذكور صلاة
العيد انصرف ، وخرج من بابه المذكور مخترقا للصفوف متخطيا للرقاب إلى أن

يصعد في أعلى تلك الدرج ، فيستدبر القبلة ويستقبل جهة الشام على عادة الخطباء ، ثم يخطب هناك ، فيصير جميع مَنْ في المسجد خلف ظهره ، ثم إن أهل المسجد يستدبرون القبلة ويستقبلون ظهره وغالب مَنْ يصلي خارج المسجد لا يشاهده أيضاً لحيلولة المسقف الحدث أمام ذلك الموضع ، وهذا كله مخالف للسنة ، ولما ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم في هذا المحل من قيامه في مُصَلَّاه مستقبلاً للناس وهم على صفوفهم كما سنوضحه ، وَمَنْ زعم أن هذا الموضع في محل قيام النبي صلى الله عليه وسلم وأنه صلى بذلك المحل على هذه الصفة الموجودة اليوم فقد أخطأ خطأ عظيماً وأساء الأدب ، فكيف يظن به صلى الله عليه وسلم أنه ينصرف عن أصحابه حتى يستدبرهم أو الكثير منهم ثم يخطب لهم ؟ وتترك الصحابة رضی الله تعالى عنهم طلعتهم البهية ويرضون باستدباره صلى الله عليه وسلم مع قيامه لمخاطبتهم ، وهم أعظم الناس أدباً وحرصاً على رؤيته الشريفة ، وكيف يتفق علماء الإسلام على أن السنة خلاف ذلك كما سيأتى ؟ فالمتعين تغيير هذه الهيئة ، والله أعلم .

الطرف الثانى : فيما جاء من أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بالمصلى على غير منبر مستقبلاً للناس .

قال البخارى في صحيحه ، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر ، ثم روى فيه حديث أبى سعيد الخدرى قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى ، فأول شيء يبدأ به الصلاة ، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوسٌ على صفوفهم ، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم ، فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه ، أو يأمر بشيء أمر به ، ثم ينصرف ، فقال أبو سعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر ، فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت ، وإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلى ، فجذبته بثوبه ، فجذبني ، فارتفع فخطب قبل الصلاة ، فقلت له : غيرتم والله ، فقال : أبا سعيد قد ذهب ما تعلم ، فقلت : ما أعلم والله خير مما لا أعلم ،

كيف صلى
الرسول العيد؟

فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة ، فجعلتها قبل الصلاة ، هذا لفظ رواية البخارى .

قال الحافظ ابن حجر : المراد بقوله إلى المصلى المصلى المعروف بالمدينة بينه وبين باب المسجد ألف ذراع ، قاله عمر بن شبة عن أبي غسان صاحب مالك ، وفي رواية ابن حبان من طريق داود : فينصرف إلى الناس قائماً في مُصَلَّاه .

قلت : وهذا معنى قوله في رواية البخارى «ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس» يعنى أنه يستدبر القبلة ويقف في مصلاه ، وقد ترجم البخارى لاستقبال الإمام الناس في خطبة العيد ، وأورد فيه طرفاً من حديث أبي سعيد المذكور، وقد صرح الأئمة بأن ذلك هو السنة .

قال الزين ابن المنير : وإنما أعاد البخارى هذه الترجمة مع أنه قدم نظيرها في الجمعة لدفع احتمال توهم أن العيد يخالف الجمعة في ذلك ، وأن استقبال الإمام في الجمعة يكون ضرورياً لكونه يخطب على منبر ، بخلاف العيد فإنه يخطب فيه على رجله لحديث أبي سعيد المذكور ، فأراد أن يبين أن الاستقبال سنة على كل حال .

من أحدث
منبر المصلى العيد

قال الحافظ ابن حجر : وهذا يقتضى أنه لم يكن في المصلى في زمان النبي صلى الله عليه وسلم منبر إلى أن اتخذ مروان ، ويدل عليه قول أبي سعيد «فلم يزل الناس إلى آخره» . ووقع في المدونة لمالك ، ورواه ابن شبة عنه قال : أول من خطب الناس في المصلى على منبر عثمان بن عفان ، كلهم على منبر من طين بنأه كثير بن الصلت ، وهذا مُعْضَل ، وما في الصحيحين أصح ؛ فقد رواه مسلم بنحو رواية البخارى ، ويحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك مرة ثم تركه حتى أعاده مروان ، ولم يطلع على ذلك أبو سعيد ، انتهى .

قلت : لكن روى أبو داود وغيره في حديث ذكر أنه غريب وأن سنده جيد عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : شكنا الناس إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم قُحُوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له بالمصلى . وفي رواية للترمذى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى الاستسقاء حتى أتى المصلى فرقى على المنبر ؛ فهذا يقتضى أن النبي صلى الله عليه وسلم خَطَبَ في الاستسقاء بالمصلى على منبر ، وكأن ذلك هو المستند لمن أحدث المنبر في خطبة العيد قياساً على الاستسقاء ، ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم خَصَّ الاستسقاء بذلك لتيسر رؤيته لعامة الناس فيها ، فيقتدون به في تحويل الرءاء عند تحويله ، وفي كيفية رفع اليدين في الدعاء ، ونحو ذلك مما يختص بخطبة الاستسقاء .

قال الحافظ ابن حجر : وقول أبي سعيد « غيرتم والله » صريحٌ في أنه هو المنكر ، ووقع في رواية مسلم « فقام إليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة ، قال : قد ترك ما هنالك ، فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه » فيحتمل أن يكون المنكرُ أبا مسعود الذى وقع في رواية عبد الرزاق أنه كان معهما ، ويحتمل أن يكون القصة تعددت ، ويدل على ذلك المغايرة بين روايتي عياض ورجاء ، ففي رواية عياض أن المنبر بُنِيَ له بالمصلى ، وفي رواية رجاء أن مروان أخرج المنبر معه ، ولأن إنكار أبي سعيد كان بينه وبينه ، وإنكار الآخر وقع على رؤوس الناس .

وقوله « إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة » يشعر بأن ذلك باجتهاد من مروان .

وقد اختلف في أول من خطب قبل الصلاة ، فرواية الصحيحين عن أبي سعيد أول من خطب قبل صلاة العيد مصرحة بأنه مروان .

وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن الحسن البصرى قال : أول من خطب قبل الصلاة عثمان ، صلى بالناس ثم خطبهم ، يعنى على العادة ، فرأى الناس لم يدركوا الصلاة ، ففعل ذلك ، أى صار يخطب قبل الصلاة . وهذه العلة غير التى اعتلَّ بها مروان ؛ لأن عثمان رضى الله تعالى عنه راعى مصلحة الجماعة فى

إدراكهم للصلاة ، وأما مروان فراعى مصلحتهم في استماعهم الخطبة ، لكن قيل : إنهم كانوا في زمن مروان يعمدون ترك سماع خطبته لما فيها من سبٍّ مَنْ لا يستحق السب ، والإفراط في مدح بعض الناس ، فعلى هذا إنما راعى مصلحة نفسه . ويحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك أحيانا ، بخلاف مروان فواظب عليه فلذلك نسب إليه .

وقد أوردنا بقية كلام الحافظ ابن حجر وغيره من الفوائد المتعلقة بذلك في كتابنا الموسوم « بالوفا » بما يجب لحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم « وبيننا فيه أن الدرج الموجودة التي يقوم عليها الخطيب اليوم ليست في الموضع الذي بنى لمروان ؛ لأن مروان وإن قدّم الخطبة على الصلاة فلما له في ذلك من المقصد . وأما جعله المنبر على خلاف السنة وجعله القوم أو بعضهم خلف ظهره فلا ثمره له ، وأيضاً فيبعد إقرار مَنْ جاء بعده على ذلك ، وأيضاً لو كان ذلك من فعله لأنكر عليه كما أنكر عليه ما تقدم ، ولو سلم أن تلك الدرج في موضع منبر مروان فالسنة تغيير ذلك واتباع ما صح من فعله صلى الله عليه وسلم ، كما خولف في أمر الخطبة واتباع بها فعله صلى الله عليه وسلم حيث جعلت بعد الصلاة ، والتثبت باستمرار أفعال الناس إنما يكون في شيء لم يعلم حكمه من جهة الشرع ، أما ما علم حكمه فالواجب اتباع الشرع فيه ، واعتقاد حدوث ما عليه الناس ، وتقديره بأقرب زمان ، وقد ذم الله تعالى قوماً تمسكوا في جحْد الحق بفعل سلفهم حيث قال حكاية عنهم : (إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون) فمن الواجب تطهير هذا المحل الشريف المنسوب للمصطفى صلى الله عليه وسلم عن هذه البدعة الشنعاء ، ولذلك بينا بعض الدرج عن يمين القائم في محراب المسجد المذكور كما ذكر العلماء أنه السنة ، وتكون مرتفعة بحيث يرى القائم عليها من خارج المسجد ، والذي يظهر أن تلك الدرج إنما جعلت للمبلغ ، وأن الخطيب إنما كان يقوم فيه على الأرض ؛ لأنه الثابت من فعله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم ، فكان بعض الخطباء قام عليها بعد ذلك فاستمر الأمر على ذلك ،
والله أعلم .

الطرف الثالث : فيما جاء في فضل المصلي الشريف ، والدعاء به ، ونهيه
صلى الله عليه وسلم عن تضييقه والبناء به .

أورد ابن شبة في ترجمة المصلي عن جناح النجار قال : خرجت مع عائشة
بنت سعد بن أبي وقاص إلى مكة ، فقالت لى : أين منزلك ؟ فقلت لها : بالبلاط ،
فقالت لى : تمسك به فإنى سمعت أبى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول « ما بين مسجدى هذا المسجد ومصلاى روضة من رياض الجنة » .

وقوله في هذه الرواية « ما بين مسجدى هذا المسجد - إلى آخره » يدفع
تأويلَ مَنْ أَوَّلَ حديث الأوسط للطبرانى بلفظ « ما بين حجرتى ومُصَلَّائى »
والحديث الذى رواه ابن زبالة من طريق عائشة بنت سعد عن أبيها بلفظ
« ما بين منبرى والمصلى » بأن المراد مُصَلَّاه الذى يصلى فيه فى المسجد ؛ لأنه
لا يصح أن يقال : ما بين هذا المسجد والمصلى الذى فيه ، ولهذا استدلت به
عائشة بنت سعد على الحث على التمسك بالدور التى بالبلاط ، يعنى الآخذة من
باب السلام إلى المصلى ؛ لأنها فيما بين المسجد ومصلى العيد ، وإذا كان ما بين
المسجدين المذكورين روضة فهما روضة من باب أولى ؛ لأن ذلك الفضل إنما حصل
لما بينهما بحصوله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وتردده صلى الله عليه وسلم فيما بينهما ،
فكيف بمحل سجوده وموقفه الشريف ؟

وروى ابن شبة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : كان النبى صلى الله
عليه وسلم إذا قَدِمَ من سفر فر بالمُعَسَلَى استقبل القبلة ووقف يدعو .
وعن أبى عطاء عن أبيه قال : قال لى سعيد بن المسيب : يا أبا محمد ، أتعرف
موضع دار كثير بن الصلت ؟ قلت : نعم ، قال : فإن النبى صلى الله عليه وسلم

خرج حتى انتهى إلى ذلك الموضع فقام وَصَفَ أصحابه خلفه فصلى على النجاشي حين مات في أرض الحبشة .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلى يَسْتَسْقِي ، فبدأ بالخطبة ، ثم صلى وكبر واحدةً افتتح بها الصلاة وقال : هذا مجعنا ومُسْتَمْطَرُنَا ومدعانا لعيدنا ولفطرننا وأضحانا ؛ فلا يبنى فيه لبنة على لبنة ولا جهة ، ورواه ابن زبالة إلا أنه قال : ثم قال : هذا مجعنا ومستمطرننا ومدعانا لعيدنا لفظرنا وأضحانا ، الحديث .

وروى يحيى عن داود بن أبي القرات قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المصلى فقال : هذا مستمطرننا ومُصَلَّانَا لأضحانا ولفطرننا ، لا يضيق ، ولا ينتقص منه شيء .

وسمّأتى في ترجمة أحجار الزيت أن النبي صلى الله عليه وسلم استسقى عندها قريبا من الزوراء .

الطرف الرابع : فيما جاء من أنه صلى الله عليه وسلم : كان يذهب إلى هذا المصلى الشريف من طريق ويرجع في أخرى ، وبيان كل من الطريقين .
روينا في صحيح البخاري في باب مَنْ خالف الطريق إذا رجع يوم العيد عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق .

بيان طريق
ذهاب النبي
للمصلى
ورجوعه

وروى ابن شبة عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ يوم العيد في طريق ويرجع في طريق آخر ، وفي رواية « كان يأخذ يوم العيد في طريق ويرجع في طريق آخر » .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى العيد في طريق لم يرجع فيه .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان إذا خرج إلى العيد رجَعَ في غير الطريق الذي أخذ فيه » .
وعنه رضي الله تعالى عنه أنه قال : ركن باب دارى هذا أحبُّ إلىَّ من زيتها ذهباً ، سَلَكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على دارى إلى العيد ، فجعلها يَسَاراً ، فمر على عضادة دارى مرتين في غداةٍ واحدة .

قلت : ولا مخالفة بين هذا وبين الرواية الأولى لأن دار أبي هريرة كانت بالبلاط عند زقاق عبد الرحمن بن الحارث كما قدمناه في الدور المحيطة بالبلاط الأعظم ، وبعدها إلى جهة المصلى قريباً منها دارُ سعد بن أبي وقاص .

وقد روى ابن شبة عن يحيى بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يأتي العيد ماشياً على باب سعد بن أبي وقاص ، ويرجع إلى أبي هريرة » وحينئذ فيمر على دار أبي هريرة في ذهابه ثم في رجوعه ؛ لأن الشافعى روى في الأم ومنها نقلت عن المطلب بن حنطب أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يغدو يوم العيد إلى المصلى من الطريق الأعظم ، فإذا رجع رجع من الطريق الأخرى على دار عمار بن ياسر » .

ورواه ابن زبالة عن محمد بن عمار بلفظ « كان يخرج إلى المصلى من الطريق العظمى على أصحاب الفساطيط ، ويرجع من الطريق الأخرى على دار عمار بن ياسر » وقد قدمنا أن دار عمار بن ياسر في زقاق عبد الرحمن بن الحارث الذي يسلك إلى البلاط عند دار أبي هريرة بابهاً يقابل دار عبد الرحمن بن الحارث ، ولها خَوْخَةٌ في كُتَّاب عروة ، فصَحَّ مروره صلى الله عليه وسلم عليها مرتين في غداةٍ واحدة مع ذهابه من طريق ورجوعه في أخرى .

وسياتى في ذكر طريقه صلى الله عليه وسلم إلى قباء ذهاباً وإياباً ما يصرح بأنه إذا رجع يمر على مسجد بنى زريق من كُتَّاب عروة حتى يخرج إلى البلاط ، يعنى من الزقاق المذكور ؛ لما قدمناه في وصف البلاط .

والطريق العظمى - كما قال المطري - هي طريقُ الناسِ اليوم من باب المدينة : أى الدرب المعروف بدرب سويقة إلى مسجد المصلى ، ولم يتعرض لبيان الطريق الأخرى ، وقد منَّ الله سبحانه وتعالى ببيانه فله الحمد على ذلك . وهذه الطريق هي المرادة بما رواه ابن زبالة عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يذبح أضحيته بيده إذا انصرف من المصلى على ناحية الطريق التى كان ينصرف منها » وتلك الطريق والمسكان الذى كان يذبح فيه مقابل المغرب مما يلي طريق بنى زريق ، أى أنه إذا انصرف من المصلى أتى موضعاً فى غربى طريق بنى زريق فذبح ، ثم سلك فى تلك الطريق ، وهي سالكة فى بنى زريق آخذة من قبلة المصلى إلى أن يمر بدار أبى هريرة كما تقدم ، ولهذا روى الواقدي عن عائشة وابن عمر وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم « كان يذبح عند طرف الزقاق عند دار معاوية » أى المتقدم ذكرها . وسور المدينة اليوم مانع من سلوك هذه الطريق فى الرجوع . ويستفاد من هذا أن المخالفة بين الطريقين لم تكن فى جميعهما ، إلا أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا وصلَ إلى محل البلاط الذى عند دار أبى هريرة لم يسلك فى بقية الطريق العظمى ، وهي الشارع اليوم إلى باب السلام ، بل يأخذ فى ميسرة البلاط إلى الشام ؛ لأن الظاهر أن غالب تلك الأماكن كانت براحاً ثم يعرج إلى جهة داره بعد ذلك . على أن ما ذكرناه فى وصف هذه الطريق مُقتَضٍ لأن طريقه صلى الله عليه وسلم فى ذهابه أقصر من طريق رجوعه كما لا يخفى ؛ فيعكر على القول بأن المستحب أن يذهب فى أطول الطريقين ويرجع فى أقصرهما .

وقد روى الشافعى رحمه الله تعالى فى الأم عقب ما قدمناه عنه وصف طريق أخرى الرجوع فيها أبعد من الذهاب أيضاً بكثير جداً ؛ فإنه روى عقب ذلك عن معاذ بن عبد الرحمن التيمى عن أبيه عن جده أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم رَجَعَ من المصلى يوم عيد فسلك على التمارين من أسفل السوق ، حتى إذا

كان عند مسجد الأعرج الذي هو عند موضع البركة^(١) التي بالسوق قام فاستقبل فجع أسلم فدعا ثم انصرف .

قال الشافعي عقبه : وأحبُّ أن يصنع الإمام مثل هذا ، وأن يقف في موضع فيدعو الله مستقبلاً القبلة ، وإن لم يفعل فلا كفارة ولا إعادة عليه ، هذا لفظ الأم ومنها نقلت .

ويؤيد هذا ما رواه يحيى عن محمد بن طلحة بن طویل قال : رأيت عثمان ابن عبد الرحمن ومحمد بن المنكدر ينصرفان من العيد فيقومان عند البركة التي بأسفل السوق ، قال : وسألت عثمان بن عبد الرحمن عن ذلك فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف عند ذلك المكان إذا انصرف من العيد .

وقد قدمنا عن ابن زبالة في سوق المدينة أن محمد بن المنكدر وعثمان بن عبد الرحمن وجماعة كانوا يقومون بفناء بركة السوق مستقبليين ، وأن عثمان بن عبد الرحمن قال : قد اختلف علينا في ذلك ؛ فقائل يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو هنالك ، وقائل يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم هنالك فينظر إلى الناس إذا انصرفوا من العيد .

قلت : وقد بينت رواية الشافعي المذكور أنه كان يدعو هنالك إذا انصرف من العيد ، ولا مانع من كونه مع ذلك ينظر إلى الناس المنصرفين من العيد أيضاً فلا اختلاف . وقد بينا هناك ما يقتضي أنه كان يسلك على سوق التمارين ، وهو في شامي المصلى مما يلي المغرب ، وبيننا أيضاً أن منازل أسلم كانت في غربي سوق المدينة إلى الشام بعد التمارين ، وذلك عند حصن أمير المدينة وما سفلى منه إلى جهة الشام مما يلي غربي سوق الشاميين عند منزل الحاج الشامي بالموسم ، وبيننا أن بركة السوق هي المنهل المدرج الذي على يسار المتوجه إلى ثَلِيَّةِ الْوَدَاعِ عند مشهد النفس الزكية ، والقائم عندها إذا استقبل فجع أسلم كان مستقبلاً للقبلة ، ولعل مسجد الأعرج الذي أشار الشافعي في روايته إلى أنه عندها هو الموضع الذي

(١) هي المنهل الذي بقرب مشهد النفس الزكية ، ويقال لها اليوم « عين الزكي » (حسب الله) .

هو قبلة مشهد النفس الزكية ، فإنه مسجد، وهو عند موضع البركة ، وما علمتُ المراد بالأعرج الذى نسب إليه المسجد المذكور .

وقد أنشأ قاضى الحرمين السيد الشريف العلامة محيى الدين عبد القادر الحنبلى الفاسى المكي مسجدا بمنزلة الحاج الشامى بالقرب من المنهل المذكور فى جهة قبلته^(١) .

إذا علمت ذلك فهذه الطريق تزيد على الطريق العظمى إلى المصلى بنحو ضعفها ، ويمكن سلوكها اليوم فى الرجوع من المصلى ، بخلاف الطريق السابقة ؛ لحيلولة السور .

وأهل المدينة اليوم يذهبون من الطريق العظمى ، ويرجعون فى بعض تلك الطريق السابقة ؛ لأنهم يأخذون من جهة قبلة المصلّى إلى المشرق خارج سور المدينة ، فيدخلون من درب البقيع ، وطريقهم هذه فى الرجوع أطول من الذهاب أيضاً ، ولو سلكوا الطريق المذكورة فى رواية الشافعى الثانية لكان أولى ، وليحصل الدعاء بذلك الحل الشريف اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن تقدم ذكره من السلف الصالح .

وقد فعلت ذلك فى عامنا هذا ، فسلكت فى الذهاب إلى المصلّى من الطريق العظمى ، ورجعت من أسفل السوق إلى أن قمت بفناء بركته المذكورة ، ثم انصرفت فدخلت المدينة من الباب الذى يلي حصن أمير المدينة ، واخيراً كله فى الاتباع ومجانبة الابتداع ، وأى بركة أعظم من ذهاب الإنسان إلى المصلّى فى ذلك اليوم السعيد فى طريق ذهب منها النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ثم صلاته بمُصَلَّاه الشريف ، ثم رجوعه فى طريقه التى رجع منها .

وقد قال المجد : وإذا ثبت بما رويناؤه - يعنى من الأحاديث المتقدمة - أن المصلّى الموجود هو مصلّى النبي صلى الله عليه وسلم فى الأعياد ، فالصلاة فيه تزداد فضلاً ومزية على كل مصلّى أىّ ازدياد ، ويخص الفائزون بالصلاة فيه من الله تعالى

(١) يعرف اليوم بمسجد السبق (حسب الله) .

بأسبغ نَعَمَ وأياد ، ويمنح الحائزون فضل الحضور إليها فواضل قصرت عنها معالي
معد وأيادى إِياد .

قلت : وأخبرني جماعة من المشايخ منهم شيخنا السكّال أبو الفضل محمد ابن
العلامة نجم الدين المرجاني وأخته المسندة أم كمال كماله والمسندة أم حبيبة زينب
ابنة الشهابي أحمد الشونكي وغيرهم إذنا عن المجد المشار إليه قال عقب ما تقدم
عنه : أنشدني أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الحموي كتابة عن أبي البركات
أيمن بن محمد بن محمد بن محمد الغرناطي لنفسه :

إِنَّ عِيداً بطيبة وصلاةً بمُصَلَّى الرسولِ في يوم عيد
نَعَمَ ضاق واسعُ الشكرِ عنها فَهَيَّ بُشْرَى لكل عبد سعيد
كم تمنيتها فَنِلْتُ التَمَنَى آخِرَ العمر من مكان بعيد
وإذا كان في البقيع ضَرِيحِي وتوسَّدْتُ طِيبَ ذاك الصعيد
فاشهدوا لي بكل خير وبشرٍ عند ربي ومُبدئى ومعيدى

والمستول من فضل الله تعالى أن يكمل لأهل هذا المصلى الشريف عظيم
منته يجعل منبره المنيف على طريقته صلى الله عليه وسلم وسنته ، بمنه وكرمه ، آمين

الفصل الثاني

في مسجد قباء ، وفضله ، وخبر مسجد الضَّرَّار

تأسيس
مسجد قباء

تقدم تأسيس النبي صلى الله عليه وسلم لمسجد قباء في الفصل العاشر من
الباب الثالث ، عند مقدمه صلى الله عليه وسلم قباء ، وبَسَطْنَا ذلِكَ هناك ، فراجع
وذكرنا هناك ما جاء من أن النبي صلى الله عليه وسلم عمل فيه بنفسه ، وأنه أسَّسه
وجبريل يَوْمُ به البيت ، وأنه كان يقال : إنه أقوَمُ مسجد قِبْلَةً ، وأنه صلى الله
عليه وسلم أسَّسه ثانيا بعد تحويل القبلة ، وقدمنا أيضاً قول عروة في الصحيح

في حديث الهجرة الطويل « فَلَمِثَ فِي بَنِي عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ،
وأسس المسجد الذي أسس على التقوى » .

وفي رواية عبد الرزاق عنه قال « الذين بنى فيهم المسجد الذي أسس على
التقوى هم بنو عمرو بن عوف » وكذا في حديث ابن عباس عند ابن عابد ولفظه
« ومكث في بني عمرو بن عوف ثلاث ليال ، واتخذ مكانه مسجدا فكان يصلي
فيه ، ثم بناه بنو عمرو بن عوف ، فهو الذي أسس على التقوى » وقد مرنا أيضاً أنه
أول مسجد بناه النبي صلى الله عليه وسلم وصلى فيه بأصحابه جماعة ظاهراً .

المسجد الذي
أسس على
التقوى

قال الحافظ ابن حجر : اختلف في المراد بقوله تعالى (مسجد أسس على
التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) فالجمهور على أن المراد مسجد قباء ، وهو
ظاهر الآية ، وتقدم في فضل المسجد النبوي حديث مسلم المشتمل على أن
أبا سعيد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال
« هو مسجدكم هذا » وفي رواية لأحمد والترمذي عنه : اختلف رجلان في المسجد
الذي أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد المدينة ، فسألاه عن ذلك ،
فقال : هو هذا ، وفي ذلك - يعني مسجد قباء - خير كثير ، وقد مرنا أيضاً الجمع
بأن كلا من المسجدين قد أسس على التقوى من أول يوم تأسيسه ، وأنهما المراد
من الآية ، وأن السر في اقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذكر مسجد المدينة
دفع توهم اختصاص ذلك بمسجد قباء ، كما هو ظاهر ما فهمه السائل وتفويها بمزية
مسجده الشريف .

قال الحافظ ابن حجر : والحق أن كلا منهما أسس على التقوى ، وقوله
تعالى في بقية الآية (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) يؤيد كون المراد مسجد قباء .
وعند أبي داود بإسناد صحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : نزلت (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) في أهل قباء ، قال : كانوا يستنجون
بالماء ، فنزلت فيهم هذه الآية .

قال الحافظ ابن حجر : فالسرفى جوابه صلى الله عليه وسلم بما تقدم دفع توهم
أن ذلك خاص بمسجد قباء .

قال النوارى وغيره : ليس هذا اختلافا ؛ لأن كلا منهما أسس على التقوى
وكذا قال السهيلي وزاد أن قوله تعالى (من أول يوم) يقتضى مسجد قباء ؛ لأن
تأسيسه كان فى أول يوم حلّ النبي صلى الله عليه وسلم بدار الهجرة .

روى أحمد وابن شبة ، واللفظ لأحمد ، عن أبى هريرة قال : انطلقت إلى
مسجد التقوى أنا وعبد الله بن عمر وسمرة بن جندب ، فأتينا النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا لنا : انطلق نحو مسجد التقوى ، فانطلقنا نحوه ، فاستقبلنا يداه على
كاهلئى أبى بكر وعمر ، فثرنا فى وجهه فقال : من هؤلاء يا أبا بكر ؟ فقال :
عبد الله بن عمر ، وأبو هريرة ، وسمرة .

وروى ابن شبة من طرق ما حاصله أن الآية لما نزلت أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم أهل قباء ، وفى رواية أهل ذلك المسجد ، وفى رواية بنى عمرو بن عوف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله قد أحسنَ عليكم الثناء فى الطهور ،
فما بلغ من طهوركم ؟ قالوا : نستنجى بالماء » .

وذكر أبو محمد المرجانى الجمع بأن كلا من المسجدين أسس على التقوى ،
ثم قال : فقد روى عن عبد الله بن بريرة فى قول الله عز وجل (فى بيوت أذن
الله أن ترفع) قال : إنما هى أربعة مساجد ، لم يبنهن إلا نبي : الكعبة بناها
إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وبيت أريحاء بيت المقدس ، بناه داود وسليمان ،
ومسجد المدينة ومسجد قباء اللذين أسسا على التقوى ، بناهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

قلت : وقال يحيى بن الحسين فى أخبار المدينة : حدثنا بكر بن عبد الوهاب
أنبأنا عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال « المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد قباء ،

قال الله جل ثنائه (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) وبكر ابن عبد الوهاب هو ابن أخت الواقدي صدوق ، وعيسى بن عبد الله يظهر لي أنه عيسى بن عبد الله بن مالك وهو مقبول ؛ فيكون جده حينئذ عبد الله بن مالك ، وهو شيخ مقبول يروى عن علي وابن عمر ؛ فالحديث حسن ؛ فتعين الجمع بما تقدم والله أعلم .

ما جاء في أن الصلاة فيه تعدل عمرة

روى الترمذي عن أسيد بن حضير الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الصلاة في مسجد قباء كعمرة » قال الترمذي : وفي الباب عن سهل ابن حنيف ، وحديث أسيد حديث حسن غريب ، ولا يعرف لأسيد شيء يصح غير هذا الحديث .

قلت : وأخرجه البيهقي وابن ماجه من طريق أبي بكر بن شعبة بإسناد الترمذي ، وهو جيد ، بلفظ « الصلاة في مسجد قباء كعمرة » .

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه شهد جنازة بالأوساط في دار سعد بن عبادة ، فأقبل ماشيا إلى بني عمرو بن عوف بقباء بني الحارث بن الخزرج ، فقليل له : أين تؤم يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أهل هذا المسجد في بني عمرو بن عوف ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ صَلَّى فِيهِ كَانَ كَعَدَلَ عَمْرَةٍ » .

ورواه ابن زبالة موقوفا ، ولفظه أن عبد الله بن عمر شهد جنازة في الأوساط من بني الحارث بن الخزرج ، ثم خرج يمشي ، فقالوا له : أين تريد يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أريد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ؛ هـ مَنْ صَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ كَانَ كَعَدَلَ عَمْرَةٍ .

وأخرج ابن ماجه وعمر بن شعبة بسند جيد عن سهل بن حنيف قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة » .

ورواه أحمد والحاكم وقال : صحيح الإسناد .
ورواه يحيى من طريقين فيهما مَنْ لم أعرفه بلفظ « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ ثُمَّ جَاءَ مَسْجِدَ قَبَاءَ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ كَانَ لَهُ عَدْلُ عَمْرَةٍ » .

ورواه الطبراني في الكبير عن سهل من طريق موسى بن عبيدة - وهو ضعيف - بلفظ « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ دَخَلَ مَسْجِدَ قَبَاءَ فَيَرْكَعُ فِيهِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ كَانَ ذَلِكَ عَدْلَ رَقَبَةٍ » .

ورواه ابن شبة عن سهل من طريق موسى بن عبيدة المذكور بلفظ « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وَضُوءَهُ ثُمَّ جَاءَ مَسْجِدَ قَبَاءَ فَرَكَعَ فِيهِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ كَانَ لَهُ عَدْلُ عَمْرَةٍ » .

ورواه أيضاً بسندٍ فيه يوسف بن طهمان - وهو ضعيف - عن سهل ابن حنيف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَخْرُجُ عَلَى طَهْرٍ إِلَى مَسْجِدِ قَبَاءَ لَا يَرِيدُ غَيْرَهُ حَتَّى يَصَلِّيَ فِيهِ إِلَّا كَانَ بِمَنْزِلَةِ عَمْرَةٍ » .

وروى الطبراني في الكبير بسندٍ فيه يزيد بن عبد الملك النوفلي - وهو ضعيف - عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ ثُمَّ عَمَدَ إِلَى مَسْجِدِ قَبَاءَ لَا يَرِيدُ غَيْرَهُ ، وَلَا يَحْمِلُهُ عَلَى الْغَدُوِّ إِلَّا الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِ قَبَاءَ ، فَصَلَّى فِيهِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ بِأَمِّ الْقُرْآنِ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ » .

وقال عمر بن شبة : حدثنا سويد بن سعيد قال : حدثنا أيوب بن صيام عن سعيد بن الرقيش الأسدي قال : جاءنا أنس بن مالك إلى مسجد قباء فصلى ركعتين إلى بعض هذه السواري ثم سلم وجلس وجلسنا حوله ، فقال : سبحان الله ! ما أعظمَ حقَّ هذا المسجد ، لو كان على مسيرة شهر كان أهلاً أن يؤتى ،

مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ يَرْيِدُهُ مُعْتَمِداً إِلَيْهِ لِيُصَلِّيَ فِيهِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَقْلَبَهُ اللَّهُ بِأَجْرِ عُمْرَةٍ .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : ومما يُقَوَّى هذه الأخبار ويدل على تظاهرها في العامة والخاصة قولُ عبد الرحمن بن الحكم في شعر له :

فَإِنْ أَهْلِكَ فَقَدْ أَقْرَرْتُ عَيْنًا مِنْ الْمُتَعَمِّرَاتِ إِلَى قِبَاءِ
مِنَ اللَّاتِي سَوَّاهُنَّ غَيْدَ عَلَيْنَ الْمَلَأَحَةِ بِالْبَهَاءِ

ما جاء في تفضيل الصلاة في بيت المقدس ، ومغفرة ذنوب مَنْ صلى فيه مع المساجد الثلاثة .

روى ابن شبة بسند صحيح من طريق عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قالت : سمعت أبي يقول : « لَأَنْ أَصَلِّيَ فِي مَسْجِدِ قِبَاءِ رَكَعَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ آتِيَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ مَرَّتَيْنِ ، لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي قِبَاءٍ لَضَرَبُوا إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْإِبِلِ » .

ورواه الحاكم عن عامر بن سعد وعائشة بنت سعد سمعا أباهما يقول : لَأَنْ أَصَلِّيَ فِي مَسْجِدِ قِبَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصَلِّيَ فِي مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قال الحاكم : وإسناده صحيح على شرطهما . وهذا شاهد لما روى عن محمد بن مسلمة المالكي أنه قال : إِنْ إِتْيَانَ مَسْجِدِ قِبَاءٍ يَلْزِمُ بِالْغُفْرِ ، وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ قُرْبَةً لَا يَلْزِمُ بِالْغُفْرِ .

وعن عاصم قال : أَخْبَرَنَا أَنَّ مَنْ صَلَّى فِي الْمَسَاجِدِ الْأَرْبَعَةِ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أَيُّوبَ : يَا ابْنَ أَخِي أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « مَنْ تَوَضَّأَ كَمَا أَمَرَ ، وَصَلَّى كَمَا أَمَرَ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » أَخْرَجَهُ أَبُو حَاتِمٍ وَقَالَ : الْمَسَاجِدُ الْأَرْبَعَةُ : الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ ، وَمَسْجِدُ الْمَدِينَةِ ، وَمَسْجِدُ الْأَقْصَى ، وَمَسْجِدُ قِبَاءٍ .

إِتْيَانُ الرَّسُولِ
مَسْجِدِ قِبَاءِ
ما جاء في إتيان النبي صلى الله عليه وسلم له راكباً وماشيا ، وصلاته فيه ، وتعيين الأيام التي كان صلى الله عليه وسلم يأتي قباء فيها هو وغيره من الصحابة .

روينا في الصحيحين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قباء ، أو يأتي قباء ، راكباً و ماشياً .
زاد في رواية لهما : فيصل في ركعتين .

وروى ابن شبة عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسجد قباء ، فصل في فيه ، فجعلت الأنصار يأتون وهو يصلي ، فيسألون عليه ، فخرج على صهيبة فقالت : يا صهيبة كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد على من سلم ؟ قال : يشير بيده .

وفي رواية للبخاري والنسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكباً و ماشياً » وكان عبد الله يفعل له .
وفي رواية لابن حبان في صحيحه « كل يوم سبت » . وفيها رد على من قال : إن المراد بالسبت الأسبوع .

وروى ابن شبة عن سعيد بن عمرو بن سليم مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يطرح له على حمار أنبجاني لكل سبت ، ثم يركب إلى قباء » .
ورواه ابن زبالة بنحوه ، وزاد « ويمشي حوله أصحابه » .

وروى ابن شبة عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يأتي قباء يوم الاثنين » .
وعن محمد بن المنكدر مرسل قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان ^(١) » .

ورواه يحيى عن ابن المنكدر عن جابر متصل . وفي كتاب رزين عن ابن المنكدر قال : أدركت الناس يأتون مسجد قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان .
وروى يحيى عن ابن المنكدر نحوه أيضاً .

وعن أبي غزية قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يأتي قباء يوم الاثنين ويوم الخميس ، فجاء يوماً من تلك الأيام فلم يجد فيه أحداً من أهله ،
(١) هذا باق إلى زماننا والناس يسمون ذلك العمرة (حسب الله) .

فقال : والذي نفسى بيده لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر في أصحابه نَنَقُلُ حِجَارَتَهُ عَلَى بَطُونِنَا ، يُؤَسِّسُهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بيده ، وجبريل يؤم به البيت ، ومحلوف عمر بالله لو كان مسجدنا هذا بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل ، ثم قال : اكسروا لى سَعَفَه واجتنبوا العَوَاهِنَ ، أى ما يلى القلب من السَّعَف ، فقطعوا السعفة ، فأتى بها ، فأخذ رزمة فربطها فمسحها ، قالوا : نحن نكفيك يا أمير المؤمنين ، قال : لا تكفوني .

وفى رواية لرزين عقب قوله « وجبريل يؤم به البيت » ثم أخذ أى عمر رضى الله تعالى عنه جراند فجعل يمسح جذرانه وسطحه ، فقيل له : نكفيك يا أمير المؤمنين ، فقال : لا تكفوني ، أنا أريد أن أكفيكم أتم مثل هذا ، وإن شئتم اعملوا مثل ما أعمل .

وقد استشكل الزين المراغى قوله « وجبريل يؤم به البيت » بأن ذلك كان قبل تحويل القبلة ، وقد أشرنا فيما تقدم لجوابه .

وأسند ابن زبالة عن شيخ من بنى عمرو بن عوف قال : أتانا عمر بن الخطاب بقباء فقال لخياط بسدة الباب : انطلق فأتني بجريدة وإياك والعَوَاهِنَ ، فأتاه بجريدة ، ففشرها وترك لها رأسا فضرب به قبلة المسجد حتى نفض الغبار .

ورواه ابن شبة ، إلا أنه قال : عن شيوخ من بنى عمرو بن عوف أن عمر رضى الله تعالى عنه جاءهم بقباء نصف النهار ، فدخل مسجد قباء ، فأمر رجلا يأتية بجريدة رطبة ، الخبر بنحوه .

وروى ابن زبالة عن زيد بن أسلم قال : الحمد لله الذى قرَّب منا مسجد قباء ، ولو كان بأفُق من الآفاق لضربنا إليه أكباد الإبل .

وفى صحيح البخارى : كان سالم مولى أبى حذيفة رضى الله تعالى عنهما يؤم المهاجرين الأولين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فى مسجد قباء ، فيهم أبو بكر وعمر .

ورواه ابن شبة عن ابن عمر ، ولفظه : وكان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأولين وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار في مسجد قباء ، فيهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة وزيد وعامر بن ربيعة رضوان الله عليهم .
وروى أيضاً عن أبي هاشم قال : جاء تميم بن زيد الأنصاري إلى مسجد قباء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مُعَاذًا أَنْ يَصِلِي بِهِمْ ، فجاء صلاة الفجر وقد أَسْفَرَ فقال : ما يمنعكم أَنْ تُصَلُّوا ؟ ما لكم قد حبستم ملائكة الليل وملائكة النهار ؟ قالوا : يمنعنا أَنَا نَنْتَظِرُ صَاحِبَنَا ، قال : فما يمنعكم إِذَا احْتَبَسَ أَنْ يَصِلِي أَحَدَكُمْ ؟ قالوا : فَأَنْتَ أَحَقُّ مِنْ يَصِلِي بِنَا ، قال : أَرْضَوْنَ بِذَا ؟ قالوا : نعم ، فصلي بهم ، فجاء معاذ فقال : مَا حَمَلَكَ يَا تَمِيمُ عَلَى أَنْ دَخَلْتَ عَلَىَّ فِي سِرِّبَالِ سَرَبَلْنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فقال : يا رسول الله إِنْ هَذَا تَمِيمٌ دَخَلَ فِي سِرِّبَالِ سَرَبَلْتَنِيهِ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَا تَقُولُ يَا تَمِيمُ ؟ فقال مثل الذي قال لأهل المسجد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هَكَذَا فَاصْنَعُوا مِثْلَ الَّذِي صَنَعَ تَمِيمُ بِهِمْ ، إِذَا احْتَبَسَ الْإِمَامُ .

وروى ابن زبالة عن عويم بن ساعدة أن سعد بن عويم بن قيس بن النعمان كان يصلي في مسجد قباء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي زمان أبي بكر حتى توفي ، [وفي] زمان عمر بن الخطاب فأمر عمر مجمع بن حارثة أن يصلي بهم بعد أن رَدَّه ، وقال له : كُنْتُ إِمَامَ مَسْجِدِ الضَّرَّارِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كُنْتُ غُلَامًا حَدَّثَنَا ، وَكُنْتُ أَرَى أَنْ أَمْرَهُمْ عَلَى أَحْسَنَ ذَلِكَ ، وَقَدْ مُونِي لَمَّا مَعِيَ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَأَمَرَهُ فَصَلَّى بِهِمْ .

ما جاء في تعيين مُصَلَّاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ ، وَذَرَعُهُ
روى ابن زبالة أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى إِلَى الْأَسْطُوَانِ الثَّالِثَةِ فِي
مسجد قباء التي في الرحبة .
المسكان الذي
كان الرسول
يصلي فيه
بمسجد قباء

ونقل ابن شبة عن الواقدي أنه قال : عن مجمع بن يعقوب عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش قال : كان المسجدُ في موضع الأسطوان الخَلْقَة الخارجة في رحبة المسجد .

وعن ابن رقيش قال : بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء ، وقَدَّم القبلة إلى موضعها اليوم ، وقال : جبريلُ يؤمُّ بي البيت . قال ابن رقيش : فحدثني نافع أن ابن عمر كان بعدُ إذا جاء مسجد قباء صلى إلى الأسطوان الخَلْقَة يقصد بذلك مسجدَ النبي صلى الله عليه وسلم الأول .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : وأخبرني مَنْ أُنِقُّ به من الأنصار من أهل قباء أن موضع قبلة مسجد قباء قبل صَرْف القبلة أن القائم كان يقوم في القبلة الشامية فيكون موضع الأسطوان الشارعة في رَحْبَة مسجد قباء التي في صفِّ الأسطوان الخَلْقَة المقدمة التي يقال لها إن مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حَرَفِهَا .

قال : وأخبرني أيضاً أن مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد قباء بعد صَرْف القبلة كان إلى حرف الأسطوان الخَلْق كَثِير منها المقدمة إلى حرفها الشرقي ، وهي دون محراب مسجد قباء عن يمين المصلى فيه .

وروى ابن زبالة عن عبد الملك بن بكر بن أبي ليلى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى في مسجد قباء إلى الأسطوان الثالثة في الرحبة إذا دخلت من الباب الذي بفناء دار سعد بن خيثمة .

قلت : والباب المذكور هو المسدود اليوم يظهر رَسْمُهُ من خارج المسجد في جهة المغرب ، وكان شارعاً في الرواق الذي يلي الرحبة من المسقف القبلي ؛ فالأسطوان الثالثة في الرحبة هي الأسطوان التي عندها اليوم محراب في رحبة المسجد ؛ لانتطابق الوَصْف المذكور عليها ؛ فهي المراد بقول الواقدي « كان المسجدُ في موضع الأسطوان الخَلْقَة الخارجة في رحبة المسجد وهي التي كان ابن عمر يصلي

إليها . ومقتضى ما تقدم عن أبي غسان أن هذه الأسطوانة عندها مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأول قبل تحويل القبلة ، وأن مصلاه بعد التحويل كان إلى الأسطوانة التي في صف هذه الأسطوانة مما يلي القبلة ، وهي الثالثة من أسطوان الرحبة المذكورة ؛ فإنها الموصوفة بما ذكره من كونها دون الحراب على يمين المصلى فيه ، والمصلى إلى حرفها الشرقي يكون محاذيا لحراب المسجد ؛ فالرواق القبلي مزيد في المسجد ، وجعلوا الحراب به في محاذة المصلى الشريف من الأسطوان المذكورة . لكن قوله في الرواية الأخرى « وقدم القبلة إلى موضعها اليوم » يقتضى أنه لم يزد أحد في جهة القبلة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فينبغي أن ينبرك بالصلاة عند محراب القبلة ، وعند الحلين من الأسطوانتين المذكورتين .

وقد اقتصر يحى في بيان مصلى النبي صلى الله عليه وسلم على الأسطوان التي في الرحبة ؛ فذكر رواية ابن زبالة ، ثم روى عن معاذ بن رفاع قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى إلى الأسطوان الخارجة ، وهي في صف الخلقة ، وإنما كان موضعها يومئذ كهيئة العريش . ثم ذكر أن موسى بن سلامة حدثه أنه رأى أبا الحسن على بن موسى الرضى يصلى إلى هذه الأسطوان الخارجة . ثم قال يحى : ورأيت غير واحد من أهل بيتي منهم عبد الله وإسحاق أبنا موسى بن جعفر وحسين بن عبد الله بن عبد الله بن حسين يصلون إلى هذه الأسطوان الخارجة إذا جاءوا قباء ، ويذكرون أنه مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ورأيت من أهل بيتي من يأتي قباء فيصل إلى إليها من يقتدى به ممن لا أبالي أن لا أرى غيره في الفقه والعلم ، انتهى .

وعن يمين مستقبل الأسطوانة المذكورة هيئة محاريب في رحبة المسجد لم أعلم أصلاً ، وبالرواق الذي يلي الرحبة قريبا من محاذة محراب المسجد دكة مرتفعة عن أرض المسجد يسيراً أمامها محراب فيه حجر منقوش فيه قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه - الآية) وبعدها ما لفظه :

هذا مقامُ النبي صلى الله عليه وسلم ، جُدِّدَ هذا المسجد في تاريخ سنة إحدى وسبعين وستمائة ، ولم يتبين اسمُ مَنْ جدد المسجد . وظاهر حال مَنْ صنع ذلك في هذا الحل أنه محلُّ المصلَّى الشريف ، وفيما قدمناه ما يردّه ، وقد اغترَّ المجدُّ بذلك فجزم بأن تلك الدكة هي أول موضع صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكأنه حين ألَّفَ كتابه كان غائبا عن المدينة ، فوصف تلك الدكة بقوله : وفي صحنه مما يلي القبلة شِبْهُ محرابٍ على مصطبة هو أول موضع ركع فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكأنه وصفها بأنها في صحن المسجد ليجامع ما تقدم عن المؤرخين في وصف المصلّى الشريف . ولا يصح القول بأنها كانت أولا في رحبة المسجد ؛ لاحتمال أنه زيد بعده في المسقف القبلي رواق ؛ لما سنبينه من أن أروقة المسجد ورخبته كانت على ما هي عليه اليوم ، لم يزد فيها شئ بعد ما ذكره المؤرخون .

ثم رأيت ما ذكره المجدُّ بحدوثه في رحلة ابن جبير ، وكانت عام ثمان وسبعين وخمسمائة ، فتلك الدكة التي يعينها ابن جبير كانت في صحن المسجد عند الأسطوانة التي إليها اليوم المحراب في رحبة المسجد ، فيوافق ما أطبق عليه الناسُ وكأنها دَثَرَتْ على طول الزمان ، ثم أعيدت في غير محلها ؛ فإنه ذكر أنها بصحن المسجد مما يلي القبلة ، ووصف أروقة المسجد بما هي عليه اليوم ؛ فليست الدكة الموجودة اليوم لحدوثها بعده .

وأما الحظيرة التي بصحن المسجد فلم أرَ في كلام المتقدمين تعرضا لذكرها ، والشائعُ على السنة أهل المدينة أنها مَبْرَكُ ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبه جزم المجدُّ تبعا لابن جبير في رحلته ؛ فقال : وفي وسط المسجد مَبْرَكُ الناقة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وعليه حظيرة قصيرة شبه روضة صغيرة يتبرك بالصلاة فيه ، انتهى .

وهو محتمل ؛ لأن أصل مسجد قباء كان مَرَبَدًّا لسككثوم بن الهدم ، وعليه

نزل النبي صلى الله عليه وسلم على ما أسلفناه ، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم فأسسه مسجدا . وقيل فيه غير هذا مما قدمناه .

وقال ابن زبالة : حدثنا عاصم بن سويد عن أبيه قال : وكان مسجد قباء على سبع أساطين ، وكانت له درجة لها قبة يؤذن فيها يقال لها النعامة ، حتى زاد فيه الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد ذلك .

قلت : وعدد كل صف من أساطينه اليوم بين المشرق والمغرب سبع أيضا . وقال الزين المراغي عقب نقل ذلك عن ابن زبالة : فيحتمل أن هذه — يعني الصفة المذكورة في كلام ابن زبالة — صفة بنائه عليه الصلاة والسلام ، ويؤكد قولهم « ولم يزل مسجد قباء على ما بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن بناه عمر بن عبد العزيز » أي زمن الوليد .

قلت : وما أيد به الاحتمال المذكور لم أره في كلام أحد من المؤرخين غير المطري ومن تبعه .

وقد روى ابن شبة ما يصرح بخلافه عن أبي سلامة بن عبد الرحمن ، قال : إن ما بين الصومعة إلى القبلة زيادة زادها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه .

قلت : والصومعة هي المنارة التي في ركنه الغربي مما يلي الشام ، وسيأتي في ترجمة غرة أنه اسم أطم لبني عمرو بن عوف ابتليت المنارة في موضعه .

وقال ابن النجار : كان النبي صلى الله عليه وسلم نزل بقباء في منزل كلثوم بن الهدم ، وأخذ مربد فأسسه مسجدا وصلى فيه ، ولم يزل ذلك المسجد يزوره صلى الله عليه وسلم ويصلي فيه أهل قباء ، فلما توفي صلى الله عليه وسلم لم تزل الصحابة تزوره وتُعَظِّمُه .

ولما بنى عمر بن عبد العزيز مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قباء ووسعه ، وبناه بالحجارة والجص ، وأقام فيه الأساطين من الحجارة بينها عواميد الحديد والرصاص ، ونقشه بالفسيفساء ، وعمل له منارة ، وسقفه بالساج ، وجعله

أروقة ، وفي وسطه رحبة ، وتهدّم على طول الزمان حتى جدّد عمارته جمال الدين الأصفهاني وزير بني زنكي الملوك ببلاد الموصل .

قلت : وكان تجديد الجوّاد لمسجد قباء في سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، كما قاله المطري .

وفيا قدمناه من صورة ما كتب في محراب الدكة التي بالرواق الذي يلي الرحبة ما يقتضي أنه جدّد بعد ذلك في سنة إحدى وسبعين وستمائة . وبالمسجد منقوش أيضا ما يقتضي أن الناصر بن قلاوون جدّد فيه شيئا سنة ثلاث وثلثين وسبعائة ، وجدّد غالب سقفه الموجود اليوم الأشرف برسبای على يد ابن قاسم الحلبي أحد مشايخ الخُدّام سنة أربعين وثمانمائة .

وقد سقطت منارته سنة سبع وسبعين وثمانمائة ، فجُدّدها متولى العمارة في زماننا الجنب الخواجكي الشمسي بن الزمن - عامله الله بلطفه - في سنة إحدى وثمانين وثمانمائة في أثناء عمارته السابقة بالمسجد النبوي بعد هدمها إلى الأساس ، وهدم الأسطوانة التي كانت لاصقة بها ، وكانت تلك الأسطوانة محكمة بالرصاص ، وأعيدت بغير رصاص ، وأبدلوا من أحجارها ما قدمنا أنهم أدخلوه في أسطوان الصندوق التي في جهة الرأس الشريف بالمسجد النبوي .

وهدم متولى العمارة أيضا ما يلي المنارة المذكورة من سور المسجد إلى آخر بابه الذي يليها في المغرب ، وأعاد بناء ذلك ، وجدّد بعض سقفه ، وبني السبيل والبركة المقابلين للمسجد في المغرب بالحديقة المعروفة بالسراج العيني الموقوفة على قرابته ، وقد كانت المنارة الأولى ألطف من هذه فزاد في طولها ؛ فإن ابن النجار قال : وطول منارته من سطحه إلى رأسها اثنان وعشرون ذراعا ، وعلى رأسها قبة طولها نحو عشرة أذرع ، قال : وعرض المنارة من جهة القبلة عشرة أذرع شافّة ، ومن المغرب ثمانية ، وذكر قبل ذلك أن ارتفاع المسجد في السماء عشرون ذراعا ؛

فيكون جملة طول المنارة الأولى اثنين وخمسين ذراعا من أعلاها إلى أسفل الأرض ، وهو يقرب لما نقله ابن شبة في وصف المنارة المذكورة ، فإنه قال : وطول منارته خمسون ذراعا ، وعرضها تسعة أذرع وشبر في تسعة أذرع ، انتهى . وذرع هذه المنارة المجددة اليوم من الأرض الخارجة عن المسجد إلى أعلى قبتها أحد وستون ذراعا ، وعرضها تسعة أذرع في المشرق والقبلة ، وهناك بابها .

ونقل ابن شبة عن أبي غسان أن طول مسجد قباء وعرضه سواء ، وهو ست وستون ذراعا . قال : وطول ذراع في السماء تسعة عشر ذراعا ، وطول رحبته التي في جوفه - يعني صحنه - خمسون ذراعا ، وعرضها ستة وعشرون ذراعا . وذكر ابن الفجار نحوه ، فقال : طوله ثمانية وستون ذراعا تشف^(١) قليلا ، وعرضه كذلك .

قلت : وقد اختبرت ذلك فكان ذراع طوله من المشرق إلى المغرب مما يلي الشام ثمانية وستين ذراعا ونصفا ، وكان عرضه من القبلة إلى الشام تسعة وسبعين ذراعا ، وذرع طوله بين المشرق والمغرب مما يلي جدار القبلة أربعين من سبعين ذراعا ييسير ، وطول ذراع في السماء من أرض المسجد إلى سقفه تسعة عشر ذراعا ، وطوله من خارجه من البلاط الذي في غريبه إلى أعلى شراريقه أربعة وعشرون ذراعا ، وذرع طول صحنه من المشرق إلى المغرب أحد وخمسون ذراعا ، وعرض صحنه من القبلة إلى الشام ستة وعشرون ذراعا وربع ، وهذا الصحن هو الذي عبر عنه أبو غسان بالرحبة في جوفه ؛ فصيح بذلك أن رحبة المسجد اليوم على ما كانت عليه في زمن أبي غسان وغيره من المؤرخين الذين قدمنا كلامهم ، وأن ما قدمناه في بيان مصلّى النبي صلى الله عليه وسلم بكونه عند الحراب الذي بجانب الأسطوانة التي في رحبة المسجد اليوم صحيح ، وأن ما قاله المجدد من كون تلك الدكة المتقدم وصفها بصحن المسجد غير صحيح .

(١) تشف تنقص .

وقال ابن جبير في رحلته : إن مسجد قباء سبع بلاطات ، يعنى أروقة كما هو في زماننا ، ويانه أن المسقف القبلي ثلاثة أروقة ، والشامى اثنان ، وفي المغرب رواق واحد يلي باب المسجد اليوم ، وفي المشرق في مقابلته رواق واحد أيضاً .

وذكر ابن النجار في عدد أساطينه ما يوافق كونه على سبعة أروقة أيضاً ؛ فقال : وفي المسجد تسعة وثلاثون أسطواناً ، بين كل أسطوان وأسطوان سبعة أذرع شافئة .

قلت : وعددها اليوم كذلك ؛ لأن جهة القبلة ثلاثة صفوف كل صف سبعة أساطين بين المشرق والمغرب ، وجهة الشام صنفان كل صف سبعة أيضاً ، وفيما يلي الرحبة من المغرب أسطوانتان ، وفيما يليها من المشرق أسطوانتان ، وجملة ذلك ما ذكره .

ووقع فيما نقله ابن شبة عن ابن عساكر في النسخة التي وقعنا عليها تصحيف في عدد الأساطين ، وما قدمناه هو الصواب .

قال ابن النجار : وفي جُدرانها طاقات نافذة إلى خارج في كل جانب ثمان طاقات ، إلا الجانب الذى يلي الشام فإن الثامنة فيها المنارة .

قلت : ولما أادوا بناء ما هدموه مما حول المنارة المذكورة في زماننا سدّوا من الجهة الشامية طاقة أخرى مما يلي المنارة المذكورة ، وسدّوا مما يليها من جهة المغرب ثلاث طاقات أيضاً ، فإنهم جعلوا الجدار في بنائهم مُصمّتا كله ، والله أعلم .

بيان ما ينبغى أن يُزار بقباء من الآثار تتميا للفائدة

منها : دار سعد بن خيثة ، وقد تقدم أن باب مسجد قباء المسدود في المغرب يقفّ دار سعد بن خيثة ، وهى في قبلة مسجد قباء ، والجانب الذى يلي هذا الباب المسدود منها يدخله الناس للزيارة ويسمونه مسجد على رضى الله تعالى عنه ، وكأنه المراد بما سياتى في الفصل الرابع في مسجد دار سعد بن خيثة .

دار سعد

ابن خيثة

وروى ابن شبة عن أبي أمامة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم « اضطجع في البيت الذي في دار سعد بن خيثمة بقاء » وعن ابن وقش أن النبي صلى الله عليه وسلم « دخل بيت سعد بن خيثمة بقاء ، وجلس فيه » وروى ابن زبالة عنه أنه قال : يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم تواضاً من المهراس الذي يلي دار سعد بن خيثمة بقاء .

ومنها : دار كلثوم بن الهدم ، وهي إحدى الدور التي قبلي المسجد أيضاً ، يدخلها الناس للزيارة والتبرك . وقد قدمنا نزوله صلى الله عليه وسلم على كلثوم ابن الهدم بداره لما قدم بقاء ، وكذلك أهله وأهل أبي بكر حين قدموا .

قبلي

ومنها بئر أريس ، وسيأتي ما جاء فيها في الآثار ، قال ابن جبير في رحلته : وبازائها دار عمر ، ودار فاطمة ، ودار أبي بكر ، رضى الله تعالى عنهم ! . ولعله يريد أما كن نزولهم قبل التحوّل إلى المدينة ، والله أعلم .

بئر

أريس

ما جاء في بيان طريقه صلى الله عليه وسلم إلى بقاء ذاهبا وراجعا .

طريق النبي
إلى بقاء

قال أبو غسان فيما نقله ابن شبة : أخبرني الحارث بن إسحاق قال : كان إسحاق بن أبي بكر بن إسحاق يحدث أن مبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركبه إلى بقاء أن يمر على المصلى ، ثم يسلك في موضع الزقاق بين دار كثير ابن الصلت ودار معاوية بالمصلى ، ثم يرجع راجعا على طريق دار صفوان بن سلمة التي عند سقيفة محرق ، ثم يمر على مسجد بني زريق من كتّاب غرّة حتى يخرج إلى البلاط ، قال : فذكر إسحاق أنه رأى الوليد بن عبد الملك سلك هذه الطريق على هذه الصفة في مبدئه ورجعته من بقاء .

طريق
صفوان بن
سلمة

قلت : وهو يقتضي أن طريقه صلى الله عليه وسلم كانت من جهة الدرب المعروف اليوم بدرب سويقة في الذهاب والرجوع ؛ لأن المصلى ومسجد بني

زريق في جهته ، وقد سبق في المصلى أن دار كثير بن الصلت كانت قبلة المصلى ،
وسبق ما يؤخذ منه أن دار معاوية رضى الله عنه كانت مقابلها .

وقوله « حتى يخرج إلى البلاط » أى الآخذ من باب السلام إلى جهة درب
سويقة ؛ لما سبق في الكلام على المصلى من رجوعه صلى الله عليه وسلم على مسجد
بنى زريق من كتّاب عُرْوَة حتى يخرج إلى البلاط من زقاق دار عبد الرحمن بن
الحارث المتقدم بيانه في الدور التي في ميمنة البلاط المذكور ، وكثير من الناس
اليوم يسلكون إلى قباء من طريق درّب البقيع ؛ لكونها أقصد يسيراً .

فزع الطريق

وقد ذرعت الطريق من هذه الجهة فكان بين عتبة باب المسجد النبوى
المعروف بباب جبريل وعتبة باب مسجد قباء سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع
بذراع اليد المتقدم تحريره يشف يسيراً ، وذلك ميلان وخمسا سبع ميل . وسيأتى
في ترجمة قباء ما وقع للناس من الخبط في بيان هذه المسافة ، فإن أسقطت حصة
ما بين باب جبريل وباب درب البقيع من ذلك كانت المسافة بين باب سور
المدينة المذكور وباب مسجد قباء ميلين إلا مائتى ذراع وثلاثاً وثلاثين ذراعاً ،
والله سبحانه وتعالى أعلم .

ما جاء في مسجد الضّرّار مما يُنوّه بقدر مسجد قباء

روى البيهقى في الدلائل عن ابن عباس في قوله تعالى : (والذين اتخذوا مسجداً
ضراراً) هم أس من الأنصار اُبتنوا مسجداً فقال لهم أبو عامر : اُبنوا مسجداً كم ،
واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح ، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأت
بجند من الروم ، فأخرج محمداً وأصحابه ، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا : إنا فرغنا من بناء مسجدنا فنحُب أن تصلّى فيه وتَدْعو بالبركة
فأنزل الله عز وجل : (لا تَقُمْ فيه أبداً ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم)

بنا مسجداً
الضرار

يعنى مسجد قباء (أحق أن تقوم فيه) إلى قوله: (على شفا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ
به في نار جهنم) يعنى قواعده (والله لا يهدى القوم الظالمين).

وروى ابن شبة عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان موضعُ مسجد قباء
لامرأة يقال لها لية، كانت تربط حماراً لها فيه، فابتنى سعدُ بن خيثمة مسجداً،
فقال أهل مسجد الضرار: أنحن نصلى في مَرَبط حمار لية؟ لا، لعمر الله، لَكُنَّا
نَبْنِي مسجداً فنصلى فيه حتى يجيء أبو عامر فيؤمنا فيه، وكان أبو عامر قرّاً من
الله ورسوله فلهحق بمكة، ثم لحق بعد ذلك بالشام فتنصرفت بها، فأنزل الله
تعالى: (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً) الآيات.

وعن سعيد بن جبير أن بنى عمرو بن عوف ابتنوا مسجداً، وأرسلوا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعوه ليصلى فيه، ففعل فاتاهم فصلى فيه، فحسدّهم
إخوتهم بنو فلان بن عمرو بن عوف، يشك، فقالوا: لا، بنى نحن مسجداً
وندعو النبي صلى الله عليه وسلم فيصلى فيه كما صلى في مسجد إخوتنا، ولعل أبا
عامر يصلى فيه، وكان بالشام، فابتنوا مسجداً، وأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه
وسلم ليصلى، فقام ليأتيهم، وأنزل القرآن (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً
وتفرقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، وليحلفن إن أردنا
إلا الحسنى، والله يشهد إنهم لكاذبون، لا تقم فيه أبداً، لمسجد أسس على
التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا، والله
يحب المطهرين، أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس
بنيانه على شفا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ به في نار جهنم؟ والله لا يهدى القوم الظالمين
لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم) قال: قال عكرمة:
إلى أن تقطع قلوبهم (والله عليم حكيم).

وأسند الطبرى فيما قاله ابن عطية عن ابن إسحاق عن الزهرى وغيره أن النبی

حرق مسجد
الضرار

صلى الله عليه وسلم « أَقْبَلَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ حَتَّى نَزَلَ بِذِي أَوَانَ بَلَدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْمَدِينَةِ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَكَانَ أَصْحَابُ مَسْجِدِ الضَّرَّارِ قَدْ كَانُوا أَتَوْهُ وَهُوَ يَتَجَهَّزُ
إِلَى تَبُوكَ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا قَدْ بَنَيْنَا مَسْجِدًا لِذِي الْعِلَّةِ وَالْحَاجَةِ وَاللَّيْلَةِ
الْمَطِيرَةِ ، وَإِنَّا نَحِبُّ أَنْ تَأْتِنَا فَتُصَلِّيَ لَنَا فِيهِ ، فَقَالَ : إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ وَحَالِ
شُغْلٍ ، وَلَوْ قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَتَيْنَاكُمْ فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ ، فَلَمَّا قَفَلَ وَنَزَلَ بِذِي أَوَانَ
نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي شَأْنِ مَسْجِدِ الضَّرَّارِ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَالِكََ
ابْنَ الدَّخْشَمِ وَمَعْنُ بْنَ عَدَى ، أَوْ أَخَاهُ عَاصِمُ بْنَ عَدَى ، فَقَالَ : انْطَلِقَا إِلَى هَذَا
الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلَهُ فَاهْدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ ، فَانْطَلَقَا مُسْرِعِينَ ففَعَلَا وَحَرَّقَاهُ بِنَارٍ
فِي سَعَفٍ .

وَفِي رِوَايَةٍ ذَكَرَهَا الْبُغَوِيُّ أَنَّ الَّذِينَ أَمَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِدْمَهُ
وإِحْرَاقَهُ انْطَلَقُوا سَرِيعًا حَتَّى أَتَوْا سَالِمَ بْنَ عَوْفٍ ، وَهُمْ رَهْطُ مَالِكَ بْنِ الدَّخْشَمِ
فَقَالَ مَالِكُ : أَنْظِرُونِي حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ بِنَارَ مَنْ أَهْلِي ، فَدَخَلَ أَهْلُهُ فَأَخَذَ سَعَفًا
مِنَ النَّخِيلِ ، فَأَشْعَلَ فِيهِ نَارًا ثُمَّ خَرَجُوا يَشْتَدُّونَ حَتَّى دَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَفِيهِ أَهْلُهُ
فَحَرَّقُوهُ وَهَدَمُوهُ ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَهْلُهُ ، وَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَّخِذَ ذَلِكَ
كُنَاسَةً تُلْقَى فِيهَا الْجِيفُ وَالنَّتْنُ وَالْقُمَامَةُ .

وَقَالَ ابْنُ النِّجَارِ : هَذَا الْمَسْجِدُ بَنَاهُ الْمُنَافِقُونَ مُضَاهَاةً لِمَسْجِدِ قُبَاءَ ، وَكَانُوا
يَجْتَمِعُونَ فِيهِ وَيَعْبُدُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ .

أسماء بناة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ الَّذِينَ بَنَوْهُ اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا : خَدَامُ بْنُ خَالِدٍ ،
مَسْجِدِ الضَّرَّارِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكٍ وَمِنْ دَارِهِ أَخْرَجَهُ ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ مِنْ
بَنِي أُمِيَّةَ بْنِ زَيْدِ أَيْ أَحَدِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَمُعْتَبٌ بْنُ قَشِيرٍ مِنْ بَنِي ضَبِيْعَةَ
ابْنِ زَيْدٍ ، وَأَبُو حَبِيبَةَ بْنِ الْأَذْعَرِ ، وَعِيَادُ بْنُ حَنِيفٍ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ،
وَجَارُ بْنُ عَامِرٍ ، وَابْنَاهُ مَجْعُ وَزَيْدٌ ، وَنَبْتِلُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَنَخْرَجُ وَمَجَادُ بْنُ

عثمان ، سبعتهم من بني ضبيعة ، ووديعه بن ثابت من بني أمية بن زيد ، انتهى .

وقال بعضهم : إن رجلاً من بني غنم بن عوف وبني سالم بن عوف كان فيهم نفاق حسدوا قومهم بني عمرو بن عوف ، وكان أبو عامر المعروف بالراهب - وسماه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاسق - منهم .

قلت : وهو من بني ضبيعة أحد بني عمرو بن عوف من الأوس ، وتقدم أن بني غنم بن عوف وبني سالم بن عوف من الخزرج وليسوا بقباء ، ففي هذا القول نظر

قال : فكتب أبو عامر وهو بالشام إلى المنافقين من قومه أن يبنوا مسجداً مقاومة لمسجد قباء وتحقيراً له ، فإني سأتي بجيش أخرج به محمداً وأصحابه من المدينة فبنوه وقالوا : سيأتي أبو عامر ويصلي فيه ، وتتخذ متعبداً ، وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى (وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله) .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت (لا تقم فيه أبداً) كان لا يمر بالطريق التي فيها المسجد ، وهذا مما يؤيد ما قدمناه من أن المراد من قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى) مسجد قباء .

وقال ابن عطية : روى عن ابن عمر أنه قال : المراد بالمسجد المؤسس على التقوى هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد يعني بقوله تعالى : (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) هو مسجد قباء ، وأما البنيان الذي أسس على شفا جرف هار فهو مسجد الضرار بالإجماع .

وقوله « فانهار به في نار جهنم » قال ابن عطية : الظاهر منه وما صح من خبرهم وهدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجدهم أنه خارج نخرج المثل لهم : أي حالهم كمن ينهار بنيانه في نار جهنم . وقيل : بل ذلك حقيقة ، وأن ذلك المسجد

بعينه انهارَ في نار جهنم ، قاله قتادة وابن جريج . وروى عن جابر بن عبد الله وغيره أنه قال : رأيتُ الدخانَ يخرج منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه حين انهارَ حتى بلغَ الأرضَ السابعة ، ففزع لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أنهم لم يُصلُّوا فيه أكثرَ من ثلاثة أيام ، وانهارَ في الرابع . قال ابن عطية : وهذا كله بإسناد لين ، والأول أصح .

وأُسند الطبري عن خلف بن يامين أنه قال : رأيتُ مسجدَ المنافقين الذي ذكر في القرآن ، ورأيتُ فيه مكانًا يخرج منه الدخان ، وذلك في زمن أبي جعفر المنصور .

وقيل : كان الرجل يدخل فيه سَعَفَةً فتخرج سوداء محترقة ، ونقل عن ابن مسعود أنه قال : جهنم في الأرض ، ثم تلا (فانهار به في نار جهنم) .

قال الجلال المطري : وأما مسجد الضَّرَّار فلا أثر له ، ولا يعرف له مكان فيما
الخلاف
في موضع
مسجد الضرار حول مسجد قباء ، ولا غير ذلك .

قلت : وهو كذلك ، لكن بالنسبة إلى زمنه وزمننا ؛ فقد قال ابن جُبَيْر في رحلته : وهذا المسجد مما يتقرب الناسُ إلى الله برَّجِه وهدْمِه وكان مكانه بقباء عارض به اليهودُ مسجدَ قباء .

وقوله « اليهود » صوابه المنافقون .

وقال ابن النجار : وهذا المسجد قريب من مسجد قباء ، وهو كبير ، وحيطانه عالية ، وتؤخذ منه الحجارة ، وقد كان بناؤه مليحًا ، انتهى .

وهذا يقتضي وجوده في زمن ابن النجار على تلك الحالة ، وقد قال المطري : إنه وَهْم لا أصل له ، وتعقبه المجد بأنه لا يلزم من وجوده زمان ابن النجار كذلك استمراره ، وقد تبع ابن النجار في ذلك غيره إن لم يكن شاهدَه ، فهذا البشاري

يقول : ومنها مسجد الضَّرَّارِ يَتَطَوَّعُ العوامُ بِهِدْمَهُ ، وتبعه ياقوت في معجمه ، وابن جبير في رحلته ، انتهى .

وقال ابن النجار أيضاً ، في ذكر المساجد المعروفة في زمنه ما لفظه : واعلم أن بالمدينة مساجدَ خَرَّاباً فيها المحاريب وبقايا الأساطين وتنقض وتؤخذ حجارتها : منها مسجدُ بَقْبَاءَ قريب من مسجد الضَّرَّارِ فيه أسطوان قائمة . قلت : وهذا غيرُ معروفٍ اليوم ، وهو صريح في أشتهار مسجد الضرار في زمنه بقباء حتى عرف به المسجد المذكور .

ووقع في كلام عياض في المشارق ، وتبعه المجدُّ ، ما يقتضى أن مسجد الضَّرَّارِ بذى أوان ؛ فإنه قال في ذروان : إن روايته بلفظ ذى أوان وهم . قال : وهو موضع آخر على ساعة من المدينة ، هو الذى بنى فيه مسجد الضرار ، هذا لفظه .

ولعل مراده هو الذى وقع ذكر بنائه به في حديث مسجد الضرار ؛ لما قدمناه من أن أصحابه جاءوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بذى أوان ، وأخبروه ببنائه ، والله أعلم .

الفصل الثالث

في بقية المساجد المعلومة العين في زماننا بالمدينة الشريفة وما حولها
اعلم أن الاعتناء بهذا الغرض متعين ؛ فقد قال البغوى من الشافعية : المساجد التى ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيها لو نذر أحد الصلاة في شيء منها تعين كما تتعين المساجد الثلاثة ، واعتناء السلف بتتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم معلومٌ — سيما ما جاء في ذلك عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما — وقد استفرغنا الوسع في تتبعها .

فمنها : مسجد الجمعة ، ويقال «مسجد الوادى» قد تقدم في الفصل الحادى عشر مسجد الجمعة

من الباب الثالث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خَرَجَ من قباء مُقَدِّمَهُ المدينة أدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في بطن الوادي ، وادي ذى صُلب - بضم أوله - وأن ابن إسحاق قال : إن الجمعة أدركته في وادي رَانُونَا ، يعني ببني سالم ، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ، وفي رواية لابن زبالة « فمر على بني سالم فصلى فيهم الجمعة في القليب ^(١) ببني سالم ، وهو المسجد الذي في بطن الوادي » وفي رواية له « صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أول جمعة بالناس في القليب ^(١) ببني سالم فهو المسجد الذي بناه عبد الصمد » .

والمراد أن موضع المسجد يسمى بالقليب ^(١) ، وسيأتي في أودية المدينة أن سَيْلَ ذى صُلب وسيل رَانُونَا بِصِلَانٍ إلى موضع مسجد الجمعة ، فلا مخالفة بين هذه العبارات ، وإن غَلَبَ اشتهار اسم رانونا على ذلك الموضع دون بقية الأسماء . وروى ابن شبة عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم « جَمَعَ في أول جمعة حين قدم المدينة في مسجد بني سالم في مسجد عاتكة » وعن إسماعيل بن أبي فديك عن غير واحد ممن يَثِقُ به من أهل البلد أن أول جمعة جمعها النبي صلى الله عليه وسلم حين أقبلَ من قباء إلى المدينة في مسجد بني سالم الذي يقال له مسجد عاتكة .

وقال المطري : في شمالي هذا المسجد أُطْمَ خراب يقال له « المزدلف » أُطْمَ عتبان بن مالك ، والمسجدُ في بطن الوادي صغير جداً ، مبنى بحجارة قدر نصف القامة ، وهو الذي كان يحول السبيل بينه وبين عتبان بن مالك إذا سال ؛ لأن منازل بني سالم بن عوف كانت غربيَّ هذا الوادي على طرف الحرة ، وآثارهم باقية هناك ، فسأل عتبان رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى له في بيته في مكان يتخذه مُصَلًى ، ففعل صلى الله عليه وسلم .

قلت : قصة عتبان المشار إليها مروية في الصحيح بلفظ أن عتبان أتى رسول

(١) وقع في الخلاصة « العسيب » وفي أصول هذا الكتاب « الغيب » وكلاهما

تحريف صوابه ما أثبتناه بالقاف وباءين بينهما ياء على صورة التصغير (عن حسب الله)

الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، قد أنكرتُ بَصْرَى ، وأنا أصلى لقومي ، فإذا كانت الأمطار سال الوادى الذى بينى وبينهم لم أستطع أن آتى مسجدهم فأصلى بهم ، الحديث .

وسياتى فى المساجد التى لا تعلم عينها أن بنى سالم لهم مسجد آخر هو مسجدهم الأكبر ؛ فالذى يظهر أنه المراد من حديث عتبان ، وأما هذا فهو مسجدهم الأصغر وقد تهدم بناؤه الذى أشار إليه المطرى ، فجرده بعض الأعاجم على هيئته اليوم ، مُقَدَّمَهُ رِوَاقٌ مُسَقَّفٌ فيه عقدان بينهما أسطوان ، وخلفه رحبة ، وطوله من القبلة إلى الشام عشرون ذراعاً ، وعرضه من الجدار الشرقى إلى الغربى مما يلي محرابه ستة عشر ذراعاً ونصف ، وكان سقفه قد خربَ فجُدده المرحوم الخواجا الرئيس الجَوَادُ المفضَّلُ شمس الدين قاوان تغمده الله برحمته .

ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت غسان ليس فى الأطم المذكور ، بل عند أصله كما سيأتى .

ومنها : مسجد الفضيف - بفتح الفاء وكسر المعجمة بعدها مثناة تحتية وخاء مسجد الفضيف معجمة - قال المطرى : ويعرف اليوم بمسجد الشمس وهو شرقى مسجد قباء على شفير الوادى ، على نشزٍ من الأرض ، مَرَّضُومٌ بحجارة سود ، وهو مسجد صغير .

وروى ابن شبة وابن زبالة ويحيى فى عدة أحاديث أن النبى صلى الله عليه وسلم « صلى بمسجد الفضيف » .

وروى الأولان - واللفظ لابن شبة - عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : حاصرَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم بنى النضير ، فضرب قبته قريباً من مسجد الفضيف ، وكان يُسَلَّى فى موضع مسجد الفضيف ستَّ ليالٍ ، فلما حرمت الحمر خرج الخبرُ إلى أبى أيوبَ فى نفر من الأنصار ، وهم يشربون فيه فَضِيخاً ، فحلّوا وكاء السقاء فهاقوه فيه ؛ فبذلك سُمى مسجد الفضيف .

قال الزين المرائي : وذلك قبل اتخاذ الموضع مسجداً ، أو كان الإعلام بنجاسة الخمر بعد ذلك ، لكن المشهور تحرير الخمر في شوال سنة ثلاث ، ويقال أربع ، وعليه يتمشى ؛ لأن غزوة بني النضير سنة أربع على الأصح .

قلت : الحديث إنما تضمن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الحل في حصار بني النضير ، ولا يلزم من ذلك اتخاذ مسجداً حينئذ ؛ فيجوز أن يكون بناؤه مسجداً تأخر إلى أن حرمت الخمر ، علي أن أحمد روى في مسنده من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم يعني أتى بفضيخ في مسجد الفضيف فشر به ، فلذلك سمي مسجد الفضيف .

ورواه أبو يعلى ولفظه : أتى بجر فضيف ينش^(١) وهو في مسجد الفضيف فشر به ، فلذلك سمي مسجد الفضيف ، وفيه عبد الله بن نافع مولى ابن عمر ، ضعفه الجمهور ، وقيل فيه : يُكْتَب حديثه ، وهو أولى بالاعتماد في سبب تسمية المسجد المذكور بذلك ؛ لأن ابن زبالة ضعيف ، وأما ابن شبة فرواه من طريق عبد العزيز بن عمران وهو متروك ، ولم أرَ في كلام أحد من المتقدمين تسمية المسجد المذكور بمسجد الشمس .

وقال الجحد : لا أدري لم اشتهر بهذا الاسم ، ولعله لكونه على مكان عال في شرقي مسجد قباء أول ما تطلع الشمس عليه ، قال : ولا يظن ظان أنه المكان الذي أعيدت الشمس فيه بعد الغروب لعل رضى الله تعالى عنه ؛ لأن ذلك إنما كان بالصهباء من خيبر ، قال عياض في الشفاء : كان رأس النبي صلى الله عليه وسلم في حجر على رضى الله تعالى عنه وهو يُوحى إليه ، فغربت الشمس ولم يكن على صلى العصر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَصَلَّيْتَ يَا عَلِي ؟ قال : لا ، فقال : أَلْهَمَ إِنْهُ كَانَ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ ، فَأَرَدْتُ عَلَيْهِ الشَّمْسَ ، قَالَتْ أَسْمَاءُ : فَرَأَيْتَهَا غَرَبَتْ ثُمَّ رَأَيْتَهَا طَلَعَتْ بَعْدَ مَا غَرَبَتْ ، وَوَقَعَتْ عَلَى الْجِبَالِ وَالْأَرْضِ ، وَذَلِكَ بِالصَّهْبَاءِ فِي خَيْبَرَ ، قَالَ عِيَاضُ : خَرَّجَهُ الطَّحَاوِيُّ فِي مَشْكَلِ الْحَدِيثِ ،

(١) ينش : يغلى ويفور ، وبابه ضرب (حسب الله) .

وقال : إن أحمد بن صالح كان يقول : لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء ؛ لأنه من علامات النبوة .

قال المجذ : فهذا المكان أولى بتسميته بمسجد الشمس دون ما سواه ، وصرح ابن حزم بأن الحديث موضوع ، قال : وقصة رد الشمس على علي رضي الله تعالى عنه باطلة بإجماع العلماء وسفه قائله .

قلت : والحديث رواه الطبراني بأسانيد قال الحافظ نور الدين الهيثمي : رجال أحدها رجال الصحيح ، غير إبراهيم بن حسن ، وهو ثقة ، وفاطمة بنت علي ابن أبي طالب لم أعرفها ، انتهى .

وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس ، وابن مردويه من حديث أبي هريرة ، وإسنادهما حسن ، ومن صححه الطحاوي وغيره ، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، بعد ذكر رواية البيهقي له : وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده له في الموضوعات ، انتهى .

وهذا المسجد مربع ذرعه من المشرق إلى المغرب أحد عشر ذراعاً ، ومن القبلة إلى الشام نحوها .

ومنها : مسجد بني قريظة ، وهو شرقي مسجد الشمس ، بعيد عنه ، بالقرب من الحرّة الشرقية ، على باب حديقة تعرف بحاجزة هي وقف للفقراء ، قاله المطري وقد قدمنا في منازل يهود أن أطم الزبير بن باطا كان في موضع مسجد بني قريظة وعنده خراب أبيات من دور بني قريظة شمالي باب الحديقة المذكورة ، وبقربه ناس نزول من أهل العالية ، وقد روى ابن شبة من طريق محمد بن عقبة بن مالك عن علي بن رافع وأشياخ قومه أن النبي صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنَ الْخَضِرِ ، فَأَدْخَلَ ذَلِكَ الْبَيْتَ فِي مَسْجِدِ بَنِي قَرِيظَةَ » فذلك المكان الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم شرقي بني قريظة عند موضع المنارة التي هُدمت ، هذا لفظ ابن شبة ؛ فينبغي الصلاة في مسجد بني قريظة مما يلي محل المنارة في شرقي المسجد .

مسجد
بني قريظة

وقد روى ذلك ابن زبالة عن محمد بن عتبة ، إلا أنه لم يعين المحل المذكور ، بل قال : فأدخل الوليد بن عبد الملك حين بنى المسجد ذلك البيت في مسجد بنى قريظة ، ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم صلى في مقدم المسجد أيضا ، وإلا لجعلوا ما عند المنارة مقدمة .

قلت : الظاهر أن هذا المسجد هو المذكور في حديث الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد ، فأتى على حمار ، فلما دنا قريبا من المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار « قوموا إلى سيّدكم أو خيركم » ثم قال « إن هؤلاء قد نزأوا على حكمك » فقال : تقتل مقاتلتهم وتَسبي ذريتهم ، الحديث .

فقوله « قريبا من المسجد » ليس المراد به مسجد المدينة ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن به حينئذ ، ولذا قال الحافظ ابن حجر : وقوله « فلما بلغ قريبا من المسجد » أي الذي أعدّه النبي صلى الله عليه وسلم أيام مُحاصرتِه لبني قريظة للصلاة فيه ، وأخطأ مَنْ زعم أنه غلط من الراوى لظنه أنه أراد بالمسجد المسجد النبوي بالمدينة فقال : إن الصواب ما وقع عند أبي داود من طريق شعبة بإسناد الصحيح بلفظ « فلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم » انتهى . وإذا حمل على ما سبق لم يكن بين اللفظين اتفاق ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال ابن النجار : وهذا المسجد اليوم باقٍ بالعوالي ، كبير ، وفيه ست عشرة أسطوانة قد سقط بعضها ، وهو بلا سقف ، وحيطانه مهدومة ، وقد كان مبنيا على شكل بناء مسجد قباء ، وحوله بساتين ومزارع .

وذكر في ذُرْعهِ شيئا ظاهرا أنه تحريف فإنه قال : طوله نحو العشرين ذراعا وعرضه كذلك ، وهذا لا يطابق ما عليه المسجد اليوم ، ولا ما قدّمه هو من الوصف ولعله خن أن ذُرْعَهُ كذلك في حال غييبته عنه ، فقد قال المطري : إن ذُرْعَهُ نحو من خمسة وأربعين ذراعا ، وعرضه كذلك .

قال : وكان فيه أساطين وعقود ومَنارة في مثل موضع منارة قباء ، فتهدَّم على طول الزمان ، ووقعت منارته ، وأثرُها اليوم باقٍ تعرف به ، وأخذت أحجاره جميعاً . قال المطري : وبقي أثره إلى العشر الأول بعد السبعائة ، فجدَّد وبنى عليه حظير مقدار نصف قامة ، وكان قد نسي فمن ذلك التاريخ عُرِف مكانه .

قلت : وهو اليوم على الهيئة التي ذكرها المطري ، وقد اختبرتُ ذرعَه فكان من القبلة إلى الشام أربعة وأربعين ذراعاً وربعاً ، ومن المشرق إلى المغرب ثلاثة وأربعين ذراعاً ، وقد جدَّد بناء جداره الشجاعى شاهين الجالى شيخ الحرم النبوى وناظره عام ثلاث وتسعين ومائمائة .

مشرية
أم إبراهيم

ومنها : المسجد الذى يقال له « مَشْرُبة أم إبراهيم عليه السلام » .

وروى ابن زباله ويحيى من طريقه وابن شبة من طريق أبي غسان عن ابن أبي يحيى عن يحيى بن محمد بن ثابت أن النبی صلى الله عليه وسلم « صَلَّى في مَشْرُبة أم إبراهيم » .

وروى ابن شبة فيما جاء في صدقات النبی صلى الله عليه وسلم عن ابن شهاب أن تلك الصدقات كانت أموالاً لمُخَيَّرِيق ، كما سيأتى ، وعدَّ منها مَشْرُبة أم إبراهيم ، ثم قال : وأما مشربة أم إبراهيم فإذا خَلَفَتْ بيت مدرَّاس اليهود فُجِئت مالَ أبى عُبَيْدة بن عبيد الله بن زمعة الأسدى فمَشْرُبة أم إبراهيم إلى جنبه ، وإنما سميت مشربة أم إبراهيم لأن أم إبراهيم ابن النبی صلى الله عليه وسلم ولدته فيها ، وتعلَّقت حين ضربها المَخاضُ بخشبة من خشب تلك المَشْرُبة ، فتلك الخشبة اليوم معروفة ، انتهى ما رواه ابن شبة عن ابن شهاب .

قال ابن النجار : وهذا الموضع بالعِوَالى من المدينة بين النخيل ، وهو أكمة قد حُوِّطَ عليها بِلَبَنِ ، والمشرية : البستان ، وأظنه قد كان بستاناً لمارية النقبطية أم إبراهيم ابن النبی صلى الله عليه وسلم .

قلت : قال في الصحاح : المشربة بالكسر - أى بكسر الميم - إناء يشرب فيه ، والمَشْرُبة بالفتح : الغرفة ، وكذلك المشربة بضم الراء ، والمشارب : العَلَالى ، وليس في كلامه إطلاق ذلك على البستان ، والظاهر أنها كانت عِلْيَّة في ذلك البستان ، وهو أحدُ صَدَقَاتِ النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الذى يناسب ما تقدم من رواية ابن شبة في سبب تسميتها بذلك .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب : ذكر الزبير أن مارية ولدت إبراهيم عليه السلام بالعالية في المال الذى يقال له اليوم مَشْرُبة أم إبراهيم بالقف .

وروت عُمَرُة عن عائشة حديثاً فيه ذكر غيرها من مارية ، وأنها كانت جميلة ، قالت : وأعجبَ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أنزلها أولَ ما قدم بها في بيت لحرثة بن النعمان ، وكانت جارتنا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة النهار والليل عندها ، حتى قدعنا لها - والقذع الشتم - فحوَّلَهَا إلى العالية ، وكان يختلف إليها هناك ، فكان ذلك أشدَّ ، ثم رزقها الله الولدَ وحرَّمناه منه .

قال المجد : والمشربة المذكورة مسجدُ شماليّ بنى قُرَيْظَةَ قريب من الحرّة الشرقية في موضع يعرف بالدشت ، بين نخل تعرف بالأشراف القواسم ، من بنى قاسم بن إدريس بن جعفر أخى الحسن العسكرى ، قال : وذَرَعَتُهُ فكان طوله نحو عشرة أذرع وعرضه أقل من ذلك بنحو ذراع ، وليس عليه بناء ولا جدار ، وإنما هو عُرْبِيصَة صغيرة ^(١) على رويبة ، وقد حُوِّطَ عليها برضم لطيف من الحجارة السود ، قال : وعلى شماليّ المشربة دار متهدّمة لم يَبْقَ من معالمها سوى بعض الجدران ، يظن الناس أنه مكان دار أبى سيف القبر . والذى يغلب على ظنى أن ذلك بقايا أُطَمِ بنى زَعُوراء ، فإن الزبير بن بكار قال مانصه : وكان بنوز عوراء عند مَشْرُبة أم إبراهيم ، ولهم الأُطَم الذى عندها ، وبنوز عوراء من قبائل اليهود . قلت : دار أبى سيف القبر التى كان إبراهيم ابنُ النبي صلى الله عليه وسلم مسترضعاً فيها إنما هي في دار بنى مازن بن النجار كما سيأتى . وما ذكره في وصف

(١) في أصول هذا الكتاب وفي الخلاصة « عريضة » بالضاد معجمة ، وصوابه ما أثبتناه بالصاد مهملة بزنة التصغير (عن حسب الله) .

المسجد المذكور قريب مما هو عليه اليوم ، لكنّ ذرّعه من القبلة إلى الشام أحد عشر ذراعاً ، ومن المشرق إلى المغرب أربعة عشر ذراعاً راجحة ، وفي جهة المشرق منه سقيفة لطيفة ، وبالقرب منه في جهة المغرب نخيل تعرف بالزبيريات . وسيأتي أسماؤها الذي كان للزبير بن العوام فتصدق به ، وفيه مسجده الآتي ، والله أعلم . ومنها : مسجد بنى ظفر من الأوس ، ويعرف اليوم بمسجد البغلة ، وهو بطرف

مسجد
بنى ظفر

الحرة الشرقية في شرق البقيع ^(١) ، طريقه من عند القبة المعروفة بفاطمة بنت أسد أمّ علي رضي الله تعالى عنهما بأقصى البقيع ، وقد روى يحيى عن جعفر بن محمود ابن محمد بن مسامة أن النبي صلى الله عليه وسلم « صلّى في مسجد بنى معاوية » أي الآتي « ومسجد بنى ظفر » .

وقال ابن زبالة : إن إبراهيم بن جعفر حدثه بذلك عن أبيه جعفر المذكور . وروى ابن شبة عن الحارث بن سعيد بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم « صلّى في مسجد بنى حارثة ومسجد بنى ظفر » .

وروى يحيى عن إدريس بن محمد بن يونس بن محمد الظفري عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « جلس على الحجر الذي في مسجد بنى ظفر » وأن زياد بن عبيد الله كان أمر بقلعه حتى جاءت مشيخة بنى ظفر وأعلموه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس عليه ، فردّه ، قال : فقلّ امرأة نزر ولدها تجلس عليه إلا حملت . قال يحيى عقبه : مسجد بنى ظفر دون مسجد بنى عبد الأشهل ، قال : وأدركت الناس بالمدينة يذهبون بنسائهم حتى ربما ذهبوا بهنّ بالليل فيجلسن على هذا الحجر .

قلت : ولم أزل أتأمل في سر ذلك حتى اتضح لي بما رواه الطبراني برجال ثقات عن محمد بن فضالة الظفري ، وكان من صحب النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاهم في مسجد بنى ظفر ، فجلس على الصخرة التي في مسجد بنى ظفر اليوم ومعه عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأناس من

(١) لعل الأصل « شرقه البقيع » (حسب الله) .

أصحابه ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم قارئاً فقرأ حتى أتى على هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اضطرب^(١) لحياه . فقال : « أرى ربَّ شهيد على من أنا بين ظهرانيه ، فكيف بن لم أر » ؟

قلت : ولم يزل الناس يصفون الجلوس على ذلك الحجر للمرأة التي لا تلد ، ويقصدون ذلك المسجد لأجله ، غير أنى لم أر فيه حجراً يصلح للجلوس عليه ، إلا أن فى أسفل كتف بابه عن يسار الداخل حجراً مُثبتاً من داخله ، فكأنه هو المراد ، والناس اليوم إنما يقصدون حجراً من تلك الصخور التي هي خارجه فى غريبه فيجلسون عليه ، وهذا بعيد لأن الرواية المتقدمة مُصرحة بأنه فى المسجد . وقال المطرى : وعند هذا المسجد آثار فى الحرة من جهة القبلة ، يقال : إنها أثر حافر بغلة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى غريبه أى غربى أثر الحافر أثر على حجر كأنه أثر مرفق يُدْ كَر أن النبي صلى الله عليه وسلم اتسكأ عليه ، ووضع مرفقه الشريف عليه ، وعلى حجر آخر أثر أصابع ، والناس يُتبركون بها .

قلت : ولم أقف فى ذلك على أصل ، إلا أن ابن النجار قال فى المساجد التي أدرکها خراباً مالفظه : ومسجدان قريب البقيع ، وذكر ما سيأتى عنه فى مسجد الإجابة ، ثم قال : وآخر يعرف بمسجد البغلة فيه أسطوان واحد ، وهو خراب ، وحوله كثير من الحجارة فيها أثر يقولون : إنه أثر حافرى بغلة النبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى . وقد بنى ما تهدم منه بعد ابن النجار ، إلا أنه لم يجعل له سقفاً ، فليس به شيء من الأساطين . ورأيت فيه حجر رخام عن يمين محرابه قد كتب فيه ماصورته : خلد الله ملك الإمام أبى جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين ، عرسنة ثلاثين وستائة ، وذرعته فكان مربعاً ، طوله من القبلة إلى الشام أحد وعشرون ذراعاً ، ومن المشرق إلى المغرب مثل ذلك ، والله أعلم .

ومنها : مسجد الإجابة ، وهو مسجد بنى معاوية بن مالك بن عوف من الأوس ، كما قدمناه فى المنازل مع بيان ما وقع للمطرى ومن تبعه من الوهم فى جعلهم

(١) فى نسخة « اضطربت » (حسب الله) .

مسجد
الإجابة

من بنى مالك بن النجار من الخزرج ، وبيان منشأ الوهم ، وما ناقض المطرى به كلامه عند ذكره مسجد بنى جديلة ، وهو مسجد أبى الآتى فى الفصل بعده .
وقد روينا فى صحيح مسلم من حديث عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَقْبَلَ ذات يوم من العالية ، حتى إذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركع ركعتين ، وصلينا معه ، ودعا رَبَّهُ طويلاً ، ثم انصرف إلينا فقال : سألتُ ربى ثلاثاً فأعطانى اثنتين ، ومنعنى واحدة ، سألتُه أن لا يهلك أمتى بالسَّنة فأعطانى ، وسألتُه أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها ، فسألتُه أن لا يجعل بأسَهُم بينهم فمنعنيها ، فهذا سبب تسمية هذا المسجد بمسجد الإجابة .

وروى ابن شبة بسند جيد ، وهو فى الموطأ ، عن عبد الله بن عبد الله بن جابر ابن عتيك قال : جاءنا عبدُ الله بن عمر فى بنى معاوية ، وهى قرية من قرى الأنصار ، فقال : تَدْرُونَ أين صَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم فى مسجدكم هذا ؟ فقلت : نعم ، وأَشْرَفْتُ له إلى ناحية منه ، قال : فهل تدرُونَ ما الثلاث التى دعا بهن فيه ؟ قلت : نعم ، قال : فأخبرنى ، قلت : دعا أن لا يظهر عليهم عدو من غيرهم ، وأن لا يهلكهم بالسنين ، فأعطيهما ، ودعا أن لا يجعلَ بأسَهُم بينهم ، فمنعها ، قال : صدقت ، فلن يزال الهرج إلى يوم القيامة .

وعن سعد بن أبى وقاص أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فمرَّ بمسجد بنى معاوية ، فدخل فركع فيه ركعتين ، ثم قام فنادى رَبَّهُ ، ثم انصرف .
ونقل ابن شبة أيضاً عن أبى غسان عن محمد بن طلحة أنه قال : بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى معاوية على يمين الخراب نحواً من ذراعين .

قلت : فينبغى أن يتحرَّى بالصلاة ذلك المحل ، وأن يكون الدعاء فيه قائماً بعد الصلاة ؛ للرواية المتقدمة .

وهذا المسجد هو المراد بقول ابن النجار في المسجدين اللذين أدرکہما خرابا
قريب البقيع أحدهما يعرف بمسجد الإجابة وفيه أسطوانات قائمة ومحراب مليح
وباقية خراب .

قلت : ليس به اليوم شئ من الأساطين ، وقد رُمِّ ما تحرب منه ،
وهو في شمالي البقيع على يسار السالك إلى العريض ، وسط تلوه هي آثار قرية
بنی معاوية ، وذَرَعَتُهُ فكان من المشرق إلى المغرب خمسة وعشرين ذراعا ينقص
يسيرا ، وكان من القبلة إلى الشام عشرين ذراعا ينقص يسيرا .

مسجد الفتح

ومنها : مسجد الفتح ، والمساجد التي حوله في قبلته ، وتعرف اليوم كلها
بمساجد الفتح ، والأول المرتفع على قطعة من جبل سَلَع في المغرب غربيه وادي
بطحان ، وهو المراد بمسجد الفتح حيث أطلقوه ، ويقال له أيضا « مسجد
الأحزاب » و« المسجد الأعلى » .

وروي في مسند أحمد برجال ثقات عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله
عليه وسلم « دَعَا في مسجد الفتح ثلاثا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ،
فاستجيبَ له يوم الأربعاء بين الصلاتين ، فعُرِفَ البُشْرُ في وجهه » قال جابر :
فلم ينزل بي أمر مهم غليظ إلا تَوَخَّيْتُ تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة ،
ورواه ابن زبالة والبزار وغيرهما .

وروي في مسند أحمد أيضا بإسناد فيه رجل لم يُسَمَّ عن جابر أيضا أن النبي
صلى الله عليه وسلم « أتى مسجدَ يعنى ، الأحزاب ، فوضع رداءه وقام ، ورفع يديه
مدا يدعو عليهم ، ولم يصل ، ثم جاء ودعا عليهم وصلى » .

وروي ابن شبة عن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
« قَعَدَ على موضع مسجد الفتح وحَمِدَ الله ودعا عليهم وعرض أصحابه وهو عليه » .
وعن سعيد مولى المهديين قال « أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من الجرف ،
فأدركته صلاة العصر فصلاها في المسجد الأعلى » .

وروى ابن زبالة ويحيى وابن النجار من غير طريقهما عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « مرَّ بمسجد الفتح الذي على الجبل وقد حضرت صلاة العصر ، فرَقِي فصلِي فيه صلاة العصر » .

وروى ابن زبالة عن المطلب مرسلًا أن النبي صلى الله عليه وسلم « دَعَا في مسجد الفتح يوم الأحزاب حتى ذهب الظهر وذهبت العصر وذهبت المغرب ، ولم يصل منهن شيئًا ، ثم صلاهن جميعًا بعد المغرب » .

قلت : وفيه بيان الشغل الذي أخر لأجله تلك الصلاة ؛ فإن المعروف تأخيرها أو تأخير العصر فقط كما في الصحيح من غير بيان هذا السبب ، وذلك كان قبل مشروعية صلاة الخوف .

وروى أيضا عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم « دَخَلَ مسجد الفتح فخطا خطوة ثم الخطوة الثانية ، ثم قام ورفع يديه إلى الله حتى روى بياض إبطيه - وكان أعفر الإبطين - فدَعَا حتى سقط رداؤه عن ظهره ، فلم يرفعه حتى دعا ودعا كثيرا ، ثم انصرف » .

وعن جابر قال « صَلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من وراء مسجد الفتح نحو المغرب » .

ورواه ابن شبة عنه بلفظ « دَعَا النبي صلى الله عليه وسلم على الجبل الذي عليه مسجد الفتح من ناحية المغرب ، وصلى من وراء المسجد » أى فى الرحبة . قال ابن شبة : قال أبو غسان : وسمعتُ غيرَ واحدٍ ممن يوثق به يذكر أن الموضع الذي دعا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الجبل هو اليوم إلى الأسطوان الوسطى الشارعة فى رحبة المسجد .

قلت : ويستفاد منه أن الصلاة والدعاء هنالك يتحرَّى بهما وسط المسجد فى الرحبة مما يلي سقفه ، ومقتضى الرواية الأولى أن تكون أقرب إلى جهة المغرب ، وإذا ضمنت إلى ذلك الرواية المتقدمة من أنه صلى الله عليه وسلم « خطا خطوة

ثم الخطوة الثانية ، ثم قام ورفع يديه « ظهر لك أن طريقه صلى الله عليه وسلم كانت من جهة الدرجة الشمالية .

وروى يحيى عن هارون بن كثير عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « دَعَا يوم الخندق على الأحزاب في موضع الأسطوانة الوسطى من مسجد الفتح » قال يحيى : فدخلت مع الحسين بن عبد الله مسجد الفتح ، فلما بلغ الأسطوانة الوسطى من المسجد قال : هذا مَوْضِعُ مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الذى دعا فيه على الأحزاب ، وكان يصلى فيه إذا جاء مسجد الفتح . وروى ابن شبة عن جابر قال : دعا النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد المرتفع ، وَرَفَعَ يديه مدا .

وعن سالم أبي النصر قال : دعا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق « اللَّهُمَّ منزل الكتاب ، ومُنْشِئُ السحاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم » .

وروى ابن زبالة من طريق عمر بن الحكم بن ثوبان قال : أخبرني مَنْ صلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد الفتح ثم دعا فقال « اللَّهُمَّ لَكَ الحمد هَدَيْتَنِي مِنَ الضلالة ، فلا مُكْرَمَ لِمَنْ أَهَنْتَ ، ولا مُهَيَّنَ لِمَنْ أَكْرَمْتَ ، ولا مُعَزَّزَ لِمَنْ أَذَلَّتْ ، ولا مُذِلَّ لِمَنْ أَعَزَّزْتَ ، ولا ناصِرَ لِمَنْ خَذَلْتَ ، ولا خاذِلَ لِمَنْ نَصَرْتَ ، ولا معطى لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا رازِقَ لِمَنْ حَرَمْتَ ، ولا حارِمَ لِمَنْ رَزَقْتَ ، ولا رافعَ لِمَنْ خَفَضْتَ ، ولا خافضَ لِمَنْ رَفَعْتَ ، ولا خارقَ لِمَنْ سَتَرْتَ ، ولا ساترَ لِمَنْ خَرَقْتَ ، ولا مقربَ لما باعدت ، ولا مباعدَ لما قربت » .

وذكر القرطبي دعاء آخر في رواية يتضمن أن الدعاء وقع من النبي صلى الله عليه وسلم هناك في الليلة التي أرسل الله فيها الرياح على الأحزاب ، ولا مانع من أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم دعا في تلك الليلة أيضا هناك ، ولفظه : ولما اشتد الأمر على المسلمين وطال المُقَامُ في الخندق قام عليه الصلاة والسلام على التل الذى عليه مسجد الفتح في بعض الليالى وتوقع ما وعده الله من النصر . وقال : مَنْ

يذهب لياتينا بخبرهم ؟ قال : فانطلق حذيفة بسلاحه ، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يقول « يا صرّيح المَكْرُوبين ، ويا مُجيب المضطرين ، ويا كاشف همي وغمي وكربي ، فقد ترى حالي وحال أصحابي » فنزل جبريلُ فقال : إن الله سمع دَعْوَتَكَ وكَفَاكَ هَوَلَ عَدُوِّكَ ، فخرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ، وبسط يديه ، وأرخى عينيه ، وهو يقول : شكراً كما رحمتني ورحمت أصحابي ، وأخبره جبريل بأن الله مُرْسِلٌ عليهم ريحاً ، فبشر أصحابه بذلك .

قلت : فينبغي أن يدعى بذلك كله هناك ، فيقول : اللهم يا صرّيح المستصرخين والمكروبين ، ويا غياث المستغيثين ، ويا مفرج كرب المكروبين ، ويا مجيب دعوة المضطرين ، صلِّ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، واكشف عني كربى وغمى وحزنى وهمى ، كما كشفت عن حبيبك ورسولك صلى الله عليه وسلم كربيه وحزنه وغمه وهمه فى هذا المقام ، وأنا أتشفع إليك به صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، يا حنان يا منان يا ذا الجود والإحسان .

ويقدم عليه ما فى الصحيح من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يدعوا عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرضين رب العرش الكريم » . وكذلك دعاء الشافعى رحمه الله تعالى الذى دعا به عند دخوله على الرشيد فى محنته فقد روى أبو نعيم بإسناد من طريق الشافعى أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا به فى يوم الأحزاب ، ورفع غير صحيح كما قال البيهقى ، لكنه دعاء عظيم ، وفى ألفاظه اختلاف ، وقد جمعت بينها وهو « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم » ثم قال « وأنا أشهد بما شهد الله به ، وأستودع الله هذه الشهادة ، وهى وديعة لى عند الله يؤدّيها لى يوم القيامة ، اللهم إنى أعوذُ بنور قدسِكَ وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل

آفةٍ وعاهةٍ ومن طوارق الليل والنهار ، وطارق الجن والإنس ، إلا طارقاً يطرُقُ
 بخير ، اللهم أنت غيائي فبك أغوث ، وأنت ملاذى فبك ألوذ ، وأنت عياذى
 فبك أعوذ ، يامن ذلتُ له رقاب الجبابرة ، وخضعت له أعناق الفراعنة ، أعوذ
 بجمال وجهك وكرم جلالك من خزيك وكشف سترك ، ومن نسيان ذكرك ،
 والإضراب عن شكرك ، أنا فى حِرْزِكَ وكَنَفِكَ وكلاءتك فى ليلى ونهارى ،
 ونومى وقرارى ، وظعنى وأسفارى ، وحياتى ومماتى ، ذكرك شِعارى ، وثناؤك
 دنارى ، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، تنزيهاً لاسمك وعظمتك ، وتكريماً
 لسُبُحات وجهك ، أجرنى من خزيك ومن شر عبادك ، واضرب على سُرَادِقَاتِ
 حفظك ، وقضى سيئات عذابك ، وجُدْ على ، وعِدْنى منك بخيراً يا أرحم الراحمين ،
 ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم الكريم ، والصلاة على النبى المرتضى محمد
 وآله وصحبه وسلم .

قلت : ومما يدل على اشتهاى الاستجابة بهذا المسجد فى يوم الأربعاء وقصد
 السلف له فى ذلك اليوم حتى النساء ما حكاها الأديب شهاب الدين أبو الثناء
 محمود فى كتابه « منازل الأحباب » من رؤية عتبة بن الحباب بن المنذر بن
 الجموح امرأة ممن يزور هذا المسجد فى يوم الأربعاء مع نسوة المرة بعد الأخرى
 وذكر قصته فى تزوجه بها ، وإنشاده :

يا للرجال ليوم الأربعاء أما ينفك يحدث لى بعد النهى طرباً
 ما إن يزال غزال فيه يظلمنى يهوى إلى مسجد الأحزاب مُنتقبا
 يخبرُ الناس أن الأجر همتهُ وما أتى طالباً للأجر محتسباً
 لو كان يبغي ثواباً ما أتى ظهراً مُضمخاً بفتيت المسك مُحتَضباً

وفى كلام الزبير بن بكار ما يقتضى نسبة هذه الأبيات مع زيادة فيها
 لعبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى ، وأنه كان إمام المسجد المذكور فإنه قال :
 ولما ولى الحسن بن زيد المدينة منع عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى أن يؤمَّ

الناس في مسجد الأحزاب ، فقال له : أصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ لمْ منعْتَنِي مَقَامِي ومَقَامِ
أَبَائِي وأَجْدَادِي قَبْلِي ؟ قال : ما منعَكَ مِنْهُ إلا يَوْمَ الأَرْبَعاءِ ، يريدُ قولَه :

* يا للرجالِ ليومِ الأَرْبَعاءِ *

وذكر الأبيات الأربعة المتقدمة وزاد عقبها أربعة أخرى ، وهى :

فإن فيه لمن يَبْغِي فَوَاضِلَهُ فَضْلاً وللطالب المرتاد مُطْلَباً
كم حُرَّةٌ دُرَّةٌ قَدْ كُنْتُ أَلْفَهَا تَسُدُّ مِنْ دُونِهَا الأبْوابَ والحُجُبَا
قد ساع فيه لها مَشَى النهار كما ساع الشرابُ لَعْطَشَانِ إذا شَرِبَا
أخرجن فيه ولا ترعين ذا كذب قَدْ أَبْطَلَ اللهُ فِيهِ قولَ مَنْ كَذَبَا

قال المجد : وأما تسميته يعنى المسجد الأعلى بمسجد الفتح فيحتمل أنه سُمِّيَ
به لأنه أُجِيبَتْ فِيهِ دعوةُ النَبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الأحزاب ، فكان فَتْحًا
على الإسلام أو أنزل الله عليه صلى الله عليه وسلم سورة الفتح هناك ، انتهى .

قلت : وبالثانى جزم ابن جبير فى رحلته ، لكن جاء فى خبر أن النَبِيَّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كان قد تَقَنَّعَ بثوبه يوم الخندق واضطجع لما أتاه أصحابه
بخبز بنى قريظة ، ثم إنه رَفَعَ رأسه فقال : بشروا بفتح الله ونصره » كما فى
مغازى ابن عقبة ، فلعل ذلك كان فى موضع هذا المسجد ، فسعى بذلك لوقوع
البشارة بالفتح فيه .

وأيضاً فقد روى القرطبي ما يقتضى أن النَبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أرسل
حُدَيْفَةَ ليأتيه بخبز الأحزاب كان بمحل هذا المسجد .

وقد قال ابن عقبة : إن حذيفة لما رجع وجد النَبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائماً
يصلى ، ثم انصرف إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فأصبح
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد فتح الله عز وجل لهم وأقر أعينهم ، اهـ .
وروى ابن شبة عن أسيد بن أبى أسيد عن أشياخهم أن النَبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« دَعَا على الجبل الذى عليه مسجد الفتح ، وصلى فى المسجد الصغير

الذى بأصل الجبل على الطريق حين يصعد الجبل» . وروى ابن زبالة عن معاوية ابن عبد الله بن زيد ، نحوه .

وعن معاذ بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى في مسجد الفتح الذى على الجبل وفي المساجد التى حوله » .

المساجد التى
حول مسجد
الفتح

قلت : وظاهره أن المساجد حوله ثلاثة لأنه أقل الجمع ، وهو ما صرح به ابن النجار فقال : إن مسجد الفتح على رأس جبل يصعد إليه بدرَج ، وقد عمر عمارة جديدة ، أى عمارة ابن أبى الهيثماء الآتية فإنه أدركها .

قال : وعن يمينه فى الوادى نخل كثير ، ويعرف ذلك الموضع بالسيحى ، أى بالياء آخر الحروف . ومساجد حوله - وهى ثلاثة - قبلة الأول منها خراب ، وقد هدم وأخذت حجارته ، والآخران معموران بالحجارة والجص ، وهما فى الوادى عند النخل ، انتهى .

وقال المطرى : إن المسجدين اللذين فى قبلة مسجد الفتح تحته يعرف الأول منهما يعنى الذى يلي مسجد الفتح بمسجد سلمان الفارسى . والثانى الذى يلي القبلة - يعنى فى قبلة مسجد سلمان - يعرف بمسجد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ثم ذكر ما تقدم عن ابن النجار من أنه كان معهما مسجد ثالث ، ثم قال : وهذا لم يبق له أثر .

قلت : وفى قبلة المسجد المعروف بأمر المؤمنين جانحا إلى جهة المشرق يلحق طرف جبل سلع الذى فى قبلة المساجد رضم من حجارة رأينا الناس يتبركون بالصلاة بينها . وقد تأملتها فوجدت فى طرفها مما إلى المشرق حجراً من المقام الذى يجعل منه الأساطين ، وهو مثبت فى الأرض بالجص ، فترجح عندى أنه أثر أسطوان ، وأن ذلك هو المسجد الذى يشير إليه ابن النجار ، وما ذكره المطرى من نسبة المسجد المذكورين لسلمان وعلى رضى الله تعالى عنهما شائع على ألسنة الناس ، ويزعمون أن الثالث الذى ذكر المطرى أنه لم يبق له أثر مسجد أبى بكر

رضى الله تعالى عنه ، وبعض العامة يسمى مسجد سلمان بمسجد أبي بكر
رضى الله عنه ، ولم أقف في ذلك كله على أصل .

قال المطري : ويصعد إلى مسجد الفتح بدرجتين شمالية وشرقية ، وكان فيه
ثلاث أسطوانات من بناء عمر بن عبد العزيز ، فلذلك قال في الحديث « موضع
الأسطوانة الوسطى » .

قلت : والمراد أنها ثلاث أساطين بين المشرق والمغرب ، فسقفه رواق واحد
فقط كما هو عليه اليوم ، قال المطري : سكنه تهمذم على طول الزمان فجده الأمير
سيف الدين الحسين بن أبي الهيجاء أحد وزراء العبيديين ملوك مصر في سنة
خمس وسبعين وخمسمائة ، وكذلك جدد بناء المسجدين اللذين تحته من جهة القبلة
في سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

قلت : واسمه اليوم مرسوم على مسن في أعلى قبلة مسجد الفتح ، وفي أعلى
قبلة المسجد الذي يليه . وفيه ذكر العمار في التاريخ المذكور .

وأما المسجد الآخر - وهو الذي في قبلتهما ، المنسوب لأمر المؤمنين عليّ -
فتهمذم بناؤه ، فجده الأمير زين الدين ضعيم بن حشرم المنصوري أمير المدينة
الشريقة في سنة ست وسبعين وثمانمائة ، وكان سقفه عقداً ، وفيه مسن عليه اسم
ابن أبي الهيجاء كالمسجدين الآخرين ، فجعل سقفه خشباً على أسطوان واحد ،
وسقف كل من مسجد الفتح والذي في قبلته رواق واحد مقبوعاً محكماً ، وفي
كل منهما ثلاث قناطر آخذة من المشرق إلى المغرب ، والظاهر أن الرحبة التي
خف الرواق المذكور لم تغير عن حالها القديم . وذرع المسجد الأعلى من القبلة إلى
الشام عشرون ذراعاً ينقص يسيراً ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلي القبلة سبعة عشر
ذراعاً . وذرع المسجد الأسفل المنسوب لسلمان رضي الله تعالى عنه من القبلة إلى
الشام أربعة عشر ذراعاً شافعة ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلي القبلة سبعة عشر
ذراعاً . وذرع المسجد الذي يليه - وهو المنسوب لعلي رضي الله عنه - من القبلة
إلى الشام ثلاثة عشر ذراعاً شافعة ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلي القبلة ستة
عشر ذراعاً شافعة .

مسجد
بنى حرام
الكبير

وينبغي لقاصد مساجد الفتح أن يزور مسجد بنى حرام الكبير ، وهو غير
مسجدهم الصغير الآتى ذكره ، وهذا المسجد هو الذى اتخذوه لشعبهم من سلع
لما تحوّلوا إليه على ما قدمناه فى ذكر المنازل ؛ لما فيه مما يقتضى أنهم تخلّوا إليه بإذن
النبي صلى الله عليه وسلم لهم .

وقد روى رزين عن يحيى بن قتادة بن أبى قتادة عن مشيخة من قومه أن
النبي صلى الله عليه وسلم « كان يأتى دور الأنصار فيصلّى فى مساجدهم » .
وقد منّا هناك أيضاً أن عمر بن عبد العزيز زاد فيه على بناء أهله له مدماً كئین
من أعلاه ، وطابق سقفه ، وكان أولاً بخشب وجريد ، وجعل فيه زيت مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فهذا يقتضى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى
فيه ، لكن تقدم أيضاً ما يقتضى أن بنى حرام إنما انتقلوا للشعب المذكور فى
زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه .

وروى ابن شبة فى ذكر المساجد التى يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى
فيها ، ويقال إنه لم يصل فيها ، عن حرام بن عثمان أن النبي صلى الله عليه وسلم
لم يصل فى مسجد بنى حرام الأكبر ، ثم روى ما قدمناه من الاختلاف فى وقت
تحوّلهم إلى ذلك المحل .

فيتلخص من ذلك أنه مما اختلف فى صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فيه ،
ولذلك ، لم يفرد بالذكر ، وقد ظهر لى محله فى قرية بنى حرام بشعبهم غربى جبل
سلع على يمين السالك إلى مساجد الفتح من الطريق القبلىة ، وعلى يسار السالك
إلى المدينة من مساجد الفتح ، فإذا جاوزت البطن الذى فيه مساجد الفتح وأنت
قاصد المدينة يَلْقَاكَ بعد ذلك بطن مُتسع من سلع فيه آثار قرية هى قرية
بنى حرام ، وذلك شعبهم ، وقد انهدم المسجد بأجمعه ، وبقي أساسه وآثار
أساطينه من الخزر المكسر ، وفيها آثار الرصاص وعُمد الحديد وآثار الرمل
بأرضه ، ولعل الله تعالى يبعث له من يحييه .

وينبغي لقاصد المسجد المذكور أن يزور كهف بنى حرام قرب شعبهم كهف بنى حرام المذكور؛ لما سيأتى فى ذكر عين النبي صلى الله عليه وسلم عن عبد الملك بن جابر ابن عتيك أن النبي صلى الله عليه وسلم « تَوَضَّأَ مِنَ الْعَيْنَةِ الَّتِي عِنْدَ كَهْفِ بَنِي حَرَامٍ » قال : وسمعتُ بعضَ مشيختنا يقول : قد دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الكهف .

وفى رواية أنهم كانوا - يعنى الصحابة - يخرجون مع النبي صلى الله عليه وسلم ويخافون البيات ، فيدخلونه كهف بنى حرام ، فيبيت فيه ، حتى إذا أصبح هبط ، وإنه نقر العينة التى عند الكهف .

ولما روى ابن شبة عن يحيى بن النصر الأنصارى أن النبي صلى الله عليه وسلم « جَلَسَ فِي كَهْفِ سَلْعٍ » والمراد به كهف بنى حرام .

ولما روى الطبرانى فى الأوسط والصغير عن أبي قتادة قال : خرج معاذ بن جبل فطلب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجده ، فطلبه فى بيوته فلم يجده ، فاتبعه فى سكة سكة حتى دُلَّ عليه فى جبل ثواب ، فخرج حتى رقى جبل ثواب فنظر يميناً وشمالاً فبصر به فى الكهف الذى اتخذ الناس إليه طريقاً إلى مسجد الفتح ، قال معاذ : فإذا هو ساجدٌ ، فهبطت من رأس الجبل وهو ساجد فلم يرفع حتى أسأتُ به الظن ، فظننته أنه قد قُبِضَتْ رُوحُهُ ، فقال : جاءنى جبريل بهذا الموضع فقال : إن الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك : ما تحبُّ أن أصنِّعَ بأمّتك ؟ قلت : الله أعلم ، فذهب ثم جاء إلى فقال : إنه يقول : لا أسوءُك فى أمّتك ، فسجدت فأفضل ما تقرب به إلى الله عز وجل السجود .

قلت : وجبل ثواب لم أقف له على ذكر ، ولكن يؤخذ من قوله فى هذا الكهف إنه الذى اتخذ الناس إليه طريقاً إلى مسجد الفتح أنه جبل سَلْعٍ ، والمراد اتخذ الناس إلى الكهف طريقاً إلى طريق مسجد الفتح ، فهو كهف بنى حرام بقرينة ما سبق ، والكهف كما فى الصحاح : شبه البيت المنقور فى الجبل ، وهذا

الكهف يظهر أنه الذي على يمين المَتَوَجِّه من المدينة إلى مساجد الفتح من الطريق القبليّة أيضاً إذا قَرُبَ من البطن الذي هو شعب بني حرام في مقابلة الحديقة المعروفة اليوم بالنقيينة عن يساره.

وكذلك الحِصْنُ المعروفُ بحصن حمل يكون في جهة يساره فهناك مجرى سائلة تسيل من سَلْعٍ إلى بطحان ، فإذا دخل في تلك السائلة وصعد يسيراً من سلع طالبا جهة المشرق كان الكهف المذكور على يمينه ، وعنده أثر نقر ممتد في الجبل هو مجرى السائلة المذكورة ، وإذا صعد الإنسان من ذلك المجرى وكان في أعلاه وجد كهفاً آخر ، لكنه صغير جداً ، والأول أقرب إلى كونه المراد ، ولعل ذلك النقر هو المراد فيما يتعلق بالعينة ، وإذا حصل المطر بسَلْعٍ سالت تلك السائلة ، ويبقى هناك مواضع يتحصل فيها الماء ثم يجري منها ؛ فينبغي التبرك بها ، والله أعلم .

مسجد القبلتين

ومنها : مسجد القبلتين ، قال رزين : وهو مسجد بني حَرَامٍ بالقاع ، وتبعه ابن النجار فمن بعده ، وزاد المطري وتبعه من بعده أنه الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم النخامة في قبلته فحَكَّهَا بِعُرْجُونٍ كان في يده ، ثم دعا بخلوق فجَعَلَهُ على رأس العُرْجُونِ ثم جعله في موضع النخامة ، فكان أوَّلَ مسجد خُلِقَ ، وهذا كله مردود ؛ لأن ابن زبالة قال كما قدمناه في المنازل : إن بني سَوَادٍ بن غنم بن كعب نزلوا عند مسجد القبلتين ، ولهم مسجد القبلتين ، ونزل بنو عبيد بن عدى بن غنم ابن كعب عند مسجد الخربة ، ونزل بنو حَرَامٍ بن كعب بن غنم بن كعب عند مسجد بني حرام الصغير الذي بالقاع ، وابتنوا أوطأً يقال له جاعص كان في السهل بين الأرض التي كانت لجابر بن عتيك وبين العين التي عملها معاوية بن أبي سفيان ، وحينئذ فلا يصح كون مسجد بني حرام الصغير هو مسجد القبلتين . وكان هؤلاء الجماعة فهموا من وصف مسجدهم هذا بالصغير أن مسجدهم الكبير هو مسجد القبلتين ، وليس كذلك ؛ لما قدمناه من أن مسجدهم الكبير نقل أن النبي

صلى الله عليه وسلم لم يُصَلِّ فيه ، وأنه الذى بشعب سَلْع ، وأيضا فقد صرح ابن زبالة بأن مسجد القبلتين لبني سواد ، وأيضا فاسمُ القاع إنما يناسب ما قدمناه فى بيان منازل بنى حرام فى غربى مساجد الفتح ، فمسجد بنى حرام هذان المساجد التى لا تعلم اليوم عَيْنُهَا ، ولكن تعلم جهتها . ومما يوضح المغايرة بين مسجد بنى حرام وبين مسجد القبلتين ، ويصرح بخطأ ما ذهب إليه مَنْ جعلهما متحدين أن ابن شبة روى عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد الخربة ، وفى مسجد القبلتين ، وفى مسجد بنى حرام الذى بالقاع . ورواه أيضا ابن زبالة عن جابر بلفظ « صَلَّى فى مسجد القبلتين وفى مسجد بنى حرام بالقاع » ولم يذكر مسجد الخربة ؛ فانتَضَحَ بذلك ما قلناه ، وتعين اجتناب ما عداه ، وما ذكره المطرى من كون مسجد القبلتين أول مسجد خُلِقَ أخذه من ورود ذلك فى مسجد بنى حرام لظنه اتحادهما ؛ فاجتنبه .

وقال ابن زبالة : وحدثني موسى بن إبراهيم عن غير واحد من مَشَيْخَةِ بنى سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى مسجد القبلتين » وقد قدمنا فى الفصل الثالث من الباب الرابع الاختلاف فى تعيين المسجد الذى وقع فيه تحويلُ القبلة وسُنَّتِهِ والصلاة التى وقعَ ذلك فيها ، وفى بعض تلك الروايات أن ذلك كان بمسجد القبلتين ، وأن الواقديَّ قال : إن ذلك هو الثابت عنده

وروى يحيى عن عثمان بن محمد بن الأحنس قال : زار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم امرأة - وهى أم بشر من بنى سلمة - فى بنى سلمة ، فصنعت له طعاما ، قالت أم بشر : فهم يأكلون من ذلك الطعام إلى أن سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الأرواح ، فذكر حديثها فى أرواح المؤمنين والكافرين ، ثم قال : فجاءت الظهرُ فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فى مسجد القبلتين الظهر ، فلما أن صَلَّى ركعتين أَمَرَ أن يوجه إلى السكبة ، فاستدار رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم إلى الكعبة واستقبل الميزاب ؛ فهي القبلة التي قال الله تعالى « فلنولينك قبلة ترضاها » فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين .

وفي رواية له : فلما صلى ركعتين أمر أن يولى وجهه إلى الكعبة ، فاستدار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة والمسجد مسجد القبلتين ، وكان الظهر يومئذ أربعا منها ثنتان إلى بيت المقدس وثلثان إلى الكعبة .

قلت : وهذا ما أشار إليه ابن سعد بقوله : ويقال إنه صلى الله عليه وسلم زار أم بشر بن البراء بن معرور في بني سامة ، فصنعت له طعاماً وحانت الظهر ، فصلى بأصحابه ركعتين ، ثم أمر أن يوجه إلى الكعبة ، فاستداروا إلى الكعبة ، فسمى المسجد مسجد القبلتين .

وتقدم ما قاله الزمخشري من صرف القبلة في هذا المسجد في صلاة الظهر ، وإنه صلى الله عليه وسلم تحول في الصلاة وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال .

وروى ابن زبالة عن محمد بن جابر قال : صُرفت القبلة ونُفِرَ من بني سامة يصلون الظهر في المسجد الذي يقال له مسجد القبلتين ، فأتاهم آت فأخبرهم وقد صلوا ركعتين ، فاستداروا حتى جعلوا وجوههم إلى الكعبة ، فبذلك سُمي مسجد القبلتين . قال المجد : فعلى هذا كان مسجد قباء أولى بهذه التسمية ؛ لما ثبت في الصحيحين من وقوع نحو ذلك به .

وقد أطنب المجد هنا فيما جاء في تخليق القبلة لتوهمه أن مسجد القبلتين هو المراد ، وذلك وهم لما أسلفناه ، وهذا المسجد - كما قال المطري - بعيد من مساجد الفتح من جهة المغرب على رابية على سفير وادي العقيق ، يعني العقيق الصغير . قلت : وهو مرتفع عن سفير وادي العقيق كثيرا ، وكأنه أراد بذلك بيان مناسبة ما ادّعاه من تسمية موضعه بالقاع ، وقد جدد سقف هذا المسجد وأصلحه الشجاعى شاهين الجالى شيخ الخدامين عام ثلاث وتسعين وثمانمائة ، والله أعلم .

ومنها : مسجد السقيا^(١) ، سُقْيَا سَعْدِ الْآتِي ذَكَرَهَا فِي الْآبَارِ ، فِي شَاخِي الْبُئْرِ مَسْجِدُ السَّقْيَا الْمَذْكُورَةِ قَرِيبًا مِنْهَا جَانِحًا إِلَى الْمَغْرِبِ يَسِيرًا فِي طَرِيقِ الْمَارِّ إِلَى الرَّقِيقِينَ مِنْ طَرِيقِ الْعَقِيقِ ، وَهَذَا الْمَسْجِدُ ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي مَنْسَكِهِ فِي الْمَسَاجِدِ الَّتِي تُزَارُّ بِالْمَدِينَةِ .

وَرَوَى ابْنُ شَبَةَ فِي تَرْجَمَةِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي صَلَّى فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسَاجِدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، قَالَ : عَرَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْلَمِينَ بِالسَّقْيَا الَّتِي بِالْحَرَةِ مُتَوَجِّهًا إِلَى بَدْرِ وَصَلَّى بِهَا .

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي الْفَصْلِ الرَّابِعِ مِنَ الْبَابِ الثَّانِي مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِحَرَّةِ السَّقْيَا الَّتِي كَانَتْ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ائْتُونِي بِوَضُوءٍ ، فَتَوَضَّأُوا ثُمَّ قَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَكَ وَخَلِيلَكَ وَدَعَاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَرَكَةِ ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ تَبَارِكَ لَهُمْ فِي مُدَّهِمْ وَصَاعِهِمْ مِثْلَ مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ .

وَقَدَّمْنَا أَيْضًا أَنَّ ابْنَ شَبَةَ رَوَاهُ بَنَحْوَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْحَرَةِ بِالسَّقْيَا الَّتِي كَانَتْ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ائْتُونِي بِوَضُوءٍ ، فَلَمَّا تَوَضَّأُوا قَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ثُمَّ كَبَّرَ ثُمَّ قَالَ ، الْحَدِيثَ بَنَحْوِهِ .

وَتَقَدَّمَ أَيْضًا رَوَايَةُ الطَّبْرَانِيِّ لَهُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ ، وَأَنَّ أَحْمَدَ رَوَى بِرِجَالِ الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « صَلَّى بِأَرْضِ سَعْدٍ بِأَصْلِ الْحَرَّةِ عِنْدَ بَيْتِ السَّقْيَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُكَ وَعَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ دَعَاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ ، وَأَنَا مُحَمَّدُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ مِثْلَ مَا دَعَاكَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ لِمَكَّةَ ، أَنْ تَبَارِكَ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَمُدَّهِمْ وَثَمَارِهِمْ ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ

(١) هَذَا الْمَسْجِدُ هُوَ الْقُبَّةُ الَّتِي فِي خَارِجِ بَابِ الْعَنْبَرِيَّةِ الْيَوْمَ (حَسَبَ اللَّهِ) .

إليها مكة ، واجعل ما بها من وباء بجم ، اللهم إني حرّمت ما بين لا بتيها كما حرّمت على لسان إبراهيم الحرم .

وقال الواقدي في غزوة بدر : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند بيوت الشّقياء ، فحدثني ابن أبي ذئب عن المقبري عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى عند بيوت الشّقياء ودعا يومئذ لأهل المدينة : اللهم إن إبراهيم عبدك وخليتك ونيبك ، الحديث .

وروي أيضا عن سعد بن أبي وقاص قال : خرجنا إلى بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعنا سبعون بعيرا ، وكانوا يتعاقبون الثلاثة والأربعة والاثنا عشر على بعير ، وكنت أنا من أعظم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غني وأرجلهم رجلة^(١) وأرماهم بسهم لم أركب خُطوة ذاهبا ولا راجعا . وقال صلى الله عليه وسلم حين فصل من يثرب للسّقياء : اللهم إنهم حُفّة فأحملهم ، وعرة فأكسهم ، وجياع فأشبعهم ، وعالة فأغنهم من فضلك ، قال : فما رجّع أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد ظهرا للرجل البعير والبعيران ، واكتسى من كان عاريا ، وأصابوا طعاما من أزوادهم ، وأصابوا فداء الأسرى فأغنى به كل عائل .

وروي ابن زبالة عن عمر بن عبد الله الديناري وعمار بن حفص أن النبي صلى الله عليه وسلم عرّض جيش بدر بالسّقياء ، وصلى في مسجدّها ، ودعا هنالك لأهل المدينة أن يبارك لهم في صاعهم ومُدّهم ، وأن يأتيهم بالرزق من ههنا وههنا . قال : واسم البئر السّقياء ، واسم أرضها الفلجان .

قلت : ولم يكن هذا المسجد معروفا ، ولم يذكره المطري ، بل تردد في البئر بين البئر التي في الحل المذكور وبين البئر المعروفة بزعم ، ومال إلى ترجيح أنها

(١) الرجلة -- بضم الراء وسكون الجيم -- الشدة ، والأرجل : الوصف منه

التي في المحل المذكور ، فاتفق أني جئت إلى ذلك المحل وتطلبت المسجد ، فرأيت محله رضا ، فأرسلت إليه بعض المعلمين وأمرته أن يتتبع الأساس بالحفر من داخله فظهر محراب المسجد وتربيعة و بناؤه بالحجارة المطابقة بالحص ، وقد بقي منه في الأرض أزيد من نصف ذراع فيه بياض المسجد بالقصة بحيث يعلم الناظر أنه من البناء العمري ، وخرج الناس أفواجا لرؤيته والتبرك به ، ثم بُني والله الحمد على أساسه الأول ، وهو مربع ، مساحته نحو سبعة أذرع في مثلها .

مسجد ذباب
(الراية)

ومنها : مسجد ذباب ، ويعرف اليوم بمسجد الراية ، ولما لم يعرفه المطري قال : وليس بالمدينة مسجد يعرف غير ما ذكر إلا مسجدا أعلى ثنية الوداع عن يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام ، ومسجدا آخر على طريق السافلة ، ولم يرد فيهما نقل يعتمد عليه .

قال الزين المراغي في بيان المسجد الأول : وكأنه يريد به المسجد المعروف بمسجد الراية .

قلت : هو مراده ؛ لوجوده في زمنه ، ولم يعدّه في المساجد وأطلق على محل ثنية الوداع لقربه منها ، وهو مبنى بالحجارة المطابقة على صفة المساجد العمرية ، وكان قد تهدم فجدده الأمير جانبك النيروزي رحمه الله تعالى سنة خمس أوست وأربعين وثمانمائة ، وقد اتضح لنا ما جاء في هذا المسجد بحمد الله تعالى لأن الإمام أبا عبد الله الأسدي في المتقدمين لما عدد في كتابه الأماكن التي تزار في المدينة الشريفة قال : مسجد الفتح على الجبل ، ومسجد ذباب على الجبل ، انتهى . وذباب : اسم الجبل الذي عليه المسجد المذكور كما سنوضحه .

وقد روى ابن زباله وابن شبة عن عبد الرحمن الأعرج أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى على ذباب .

وروى الثاني عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري قال : ضرب النبي صلى الله عليه وسلم قَبْته على ذباب .

وعن الحارث بن عبد الرحمن قال : بعثت عائشة رضي الله تعالى عنها إلى مروان بن الحكم حين قتل ذبابا وصلبه على ذباب تقول : مَوْقِفٌ صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واتخذته مَصْلَبًا .

قال أبو غسان : وذباب رجل من أهل اليمن عدّا على رجل من الأنصار ، وكان عاملاً لمروان على بعض مساعي اليمن ، وكان الأنصاري عدّا على رجل فأخذ منه بقرة ليست عليه ، فتبع ذباب الأنصاري حتى قدم المدينة ، ثم جلس له في المسجد حتى قتله ، فقال له مروان : ما حملك على قتله ؟ قال : ظمئني بقرة لي ، وكنت امرأ خبيث النفس فقتلته ، فقتله مروان وصلبه على ذباب .

وتقدم من رواية ابن شبة في اتخاذ المقصورة في المسجد ما يقتضي أن الرجل الذي ظلمه ساعى مروان اسمه دب ، وأنه إنما همّ بقتل مروان ، فأخذه مروان ، فذكر له السبب المتقدم وأنه حبسه ثم أمر به فقتل .

وقال ابن شبة : قال أبو غسان : وأخبرني بعض مشايخنا أن السلاطين كانوا يصلبون على ذباب ، فقال هشام بن عروة لزياد بن عبيد الله الحارثي : يا عجبا ، يصلبون على مَضْرِبِ قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكفّ عن ذلك زياد وكفت الولاية بعده عنه .

قلت : وقد جعل المطري في الكلام على الخندق مَضْرِبَ قبة النبي صلى الله عليه وسلم هو محل مسجد الفتح من سَنَع ؛ لظنه أن الخندق لم يكن إلا في غربي سَنَع ، وكأنه لم يطلع على ما هنا . ولم أر لما ذكره أصلا في كلام غيره ، وقد غاير أبو عبد الله الأسدي بين مسجد الفتح ومسجد ذباب كما قدمناه ، وسيأتي ما يؤخذ منه أن الخندق كان شامياً المدينة بين حَرَّتَيْهَا الشرقية والغربية .

وفي اتخاذ المسجد على هذا الجبل رد لما أوّل به الطبراني الصلاة عليه بالدعاء فإنه روى بسند فيه عبد المهيمن بن عباس بن سهل عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على ذباب ، قال الطبراني عقبه : بلغني أن ذبابا جبل بالحجاز

وقوله « صلى » أى بارك عليه .

قلت : صرح ابن الأثير بأنه جبل بالمدينة ، وفي الاكتفاء فى غزوة تبوك ما لفظه : فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبى معه على حدة عسكره أسفل منه نحو ذباب .

وقد قال الكمال الدميرى : إن فى كتب الغريب أن النبى صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له ذباب ، وإن البكرى قال : هو جبل بجبانة المدينة . وتقدم فى منازل بنى الديل حول ثنية الوداع ذكر الجبانة ، وكذا فى ذكر البلاط .

وقال الواقدى فى كتاب الحرة : إنهم لما اصطَفُوا لقتال جيش الحرّة على الخندق ، وكان يزيد بن هرمز فى موضع ذباب إلى مربد النعم معه الدهم من الموالى ، وهو يحمل رايتهم ، وهو أميرهم ، وقد صف أصحابه كراديس بعضها خلف بعض إلى رأس الثنية أى ثنية الوداع .

وهذا كله صريح فى أن ذبابا هو الجبل المذكور ، ولعل السبب فى اشتهاى مسجده بمسجد الراية ما ذكره الواقدى من أن يزيد بن هرمز كان فى موضعه ومعه راية الموالى .

وقد تقدم فى منازل يهود قول ابن زبالة : وكان لأهل الشوط الأطم الذى يقال له السرعى ، وهو الأطم الذى دون ذباب ، وسيأتى فى ترجمة الشوط أنه قريب من منازل بنى ساعدة ، وقد رأيت لذباب ذكرا فى أما كن كثيرة جدا ، وكلها متفقة على وصفه بما يدل على أنه الجبل الذى عليه مسجد الراية ، بحيث زال الشك عندى فى ذلك .

ويؤخذ مما سيأتى فى ترجمة الخندق أن الصخرة - التى خرجت من بطن الخندق وهم يحفرونه ، وضربها النبى صلى الله عليه وسلم بالمعول الحديث - كانت تحته ، لكنه سعى فى تلك الرواية ذو باب بزيادة واو ، والله أعلم .

مسجد القبيح ومنها : المسجد اللاصق بجبل أحد على يمينك وأنت ذاهب إلى الشعب الذي فيه المهراس ، وهو صغير قد تهدم بناؤه .

قال الزين المراغى : ويقال : إنه يسمى مسجد القبيح . قلت : وهو مشهور بذلك اليوم ، ويزعمون أن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس - الآية) نزلت فيه ، ولم أقف على أصل لذلك .

وقال المطرى : يقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه الظهر والعصر يوم أحد ، بعد انقضاء القتال ، وكأنه لم يقف فيه على شيء .

وقد روى ابن شبة بسند جيد عن رافع بن خديج أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد الصغير الذى بأحد في شعب الحرار على يمينك لازق بالجبل .

مسجد في ركن جبل عينين ومنها : مسجد في ركن جبل عينين الشرقى على قطعة منه ، وهذا الجبل كان عليه الرثمة يوم أحد ، وهو في قبلة مشهد سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه ، وقد تهدم غالب هذا المسجد .

قال المطرى : يقال : إنه هو الموضع الذى طعن فيه حمزة رضى الله تعالى عنه . قلت : وكذا هو مشهور اليوم ، وقد ذكر المجد هذا المسجد والذى بعده وقال : ينبغى اغتنام الصلاة فيهما ؛ لأنهما لم يبنيا إلا عملاً للزائرین ، ومشهدا للقاصدين ، وقول من قال إن الأول طعن مكانه حمزة والثانى صُرع فيه فوق لم يثبت فيه أثر ، وإنما هو قول مستفيض .

ثم قال : ويذكر بعض الناس أن المسجد الأول - يعنى هذا - كسِرَ في مكانه ثنية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ما كان من ابتلاء الله تعالى صفيه وخليله عليه الصلاة والسلام ، كل ذلك مقالات يذكروها أهل المدينة لم يرد بها نقل .

قلت : وكلامه وكلام المطرى صريح في أنهما لم يقفا على ما جاء فيه .

وسياتى فى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ما رواه ابن شبة من أنه لما قتل أقام فى موضعه تحت جبل الرثمة وهو الجبل المذكور ، ثم أمر به النبي صلى الله عليه وسلم فحُمِلَ عن بطن الوادى ، وهذا هو محل المسجد الثانى .

وأما هذا المسجد فقد روى ابن شبة فيه عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحدٍ على عينين الطرب الذى بأحدٍ عند القنطرة ، وكأنه يعنى بالقنطرة قنطرة العين التى كانت قديماً هناك . وأشار إليها المطرى بقوله عقب ذكر هذا المسجد : وقد تجددت هناك عين ماء ، جددتها الأمير بدر الدين ودى بن جمار صاحب المد ، مفيضها بالقرب من هذا المسجد ، انتهى .

والعين اليوم دائرة ، وقد تقدم فى غزوة أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم فى ذهابه إلى أحدٍ بات بالشيخان^(١) وأدْلَجَ فى انسحر فانتهى إلى موضع القنطرة ، فحانت الصلاة فصلّى بأصحابه الصبح صفوفا عليهم السلاح ؛ فيحتمل أن المراد بذلك هذا المسجد ، ويحتمل - وهو الأظهر - أن يراد به المسجد الآتى ذكره عقبه ؛ لأن فى رواية ابن شبة ذكر صلاة الظهر وأن الموضع من نفس الجبل عند القنطرة ، وفى هذه الرواية صلاة الصبح وأن ذلك فى موضع القنطرة ، والله أعلم .

ومنها : مسجد فى شمالى المسجد المذكور قبله قرب عينين أيضاً ، على شفير مسجد العسكر الوادى ، قد تهدم أكثره ، وكان مبنياً بالحجارة المنقوشة المطابقة على هيئة البناء العمرى ، وفيه بقايا آثار الأساطين ، ولم أقف فيه على شيء سوى ما قدمته من الاحتمال الثانى فى الرواية المتقدمة .

وذكر المطرى أنه يقال : إنه مَصْرَع حمزة رضى الله تعالى عنه ، وإنه مشى بطعنته من الموضع الأول إلى هناك فصْرَع رضى الله تعالى عنه .

(١) قال شارح القاموس : «وشيخان مبنياً على الكسر على ما ضبطه ابن الأثير : موضع بالمدينة على ما كتبها أفضل الصلاة والسلام ، وهو معسكره صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وبه عرض الناس » اهـ

وقد أشرنا فيما سبق إلى أصل ما جاء في أن الموضع الثاني مكانُ مقتله ، وإنما أثبتته في المساجد - مع ما قدمته من أني لم أقف فيه على شيء صريح - لأن ابن شبة قال ما لفظه : قال أبو غسان : وقال لي غير واحد من أهل العلم من أهل البلد : إن كل مسجد من مساجد المدينة ونواحيها مبني بالحجارة المنقوشة المطابقة فقد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن عمر بن عبد العزيز حين بنى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم سأل الناس يؤمئذ متوافرون عن المساجد التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بناها بالحجارة المنقوشة المطابقة ، انتهى .

وقد ذكر هذا المسجد أبو عبد الله الأسدي من المتقدمين ، وسماه مسجد العسكر ، فقال في تعديد المساجد : ومسجد العسكر ، ومسجد يمين هذا في أصل الجبل ، انتهى ؛ فيتأيد ذلك الاحتمال الثاني المذكور في الرواية المتقدمة لتسميته بمسجد العسكر ، على أنه قد ورد من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة وقد قُتل ومُثل به فلم ير منظرًا كان أوجع لقلبه منه ، فقال : رحمك الله أي عمّ ، فلقد كنتَ وُصُولًا للرحم ، فعُولًا للخيرات ، فوالله لئن أظفرني الله بالقوم لأمثلنَّ بسبعين منهم ، فما برح حتى نزل : « وإن عاقبتُم فعاقبُوا بمثل ما عوقبتُم به ، ولئن صبرتمْ لهو خير للصابرين » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى نصبر . وروى أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة وصلى عليه حينئذٍ .

قلت : فهذا ما جاء في أن الموضع المذكور مقتل حمزة كافٍ في إثباته في المساجد ، وسيأتي في بيان المشاهد الخارجة عن البقيع عند ذكر مشهد حمزة رضي الله تعالى عنه بيان أن الحجرَ المثبت على قبره اليوم أخطأ واضعه ، وأنه إنما نقل من هذا المسجد عند تهديمه ، وفيه مكتوب بعد البسملة (إنما يعمرُ مساجد الله - الآية) هذا مصرع حمزة بن عبد المطلب ومُصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

عمره حسين بن أبي الهيجاء سنة ثمانين وخمسمائة ، وكأنه جدّده فلما تهدم وسقط ذلك المسن نقل إلى المشهد المذكور كما سنوضحه .

وأما المسجد المقابل لمشهد سيدنا حمزة في شرقيه وعند بابه فحدث ، لم يذكره المطري ولا غيره ، وليس له أصل في المساجد المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم .

ومنها : مسجد صغير جداً طوله ثمانية أذرع في ثمانية أذرع على يمين طريق مسجدي أبي ذر الغفاري السالك إلى أحد من طريق الأسواق ، فإذا جاوز البقيع المعروف ببقيع الأسواق قليلاً كان على يمينه طريق إذا مشى فيها يسيراً وجد هذا المسجد عند النخيل المعروفة بالبحير ، وهو ثاني المسجدين اللذين ذكرهما المطري بقوله : وليس بالمدينة مسجد يعرف غير ما ذكر إلا مسجداً على ثنية الوداع ومسجداً آخر صغيراً جداً على طريق السابلة ، وهي الطريق اليمنى الشرقية إلى مشهد حمزة رضي الله تعالى عنه ، يقال : إنه مسجد أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، ولم يرد فيهما نقل يعتمد عليه .

قلت : روى البيهقي في شعب الإيمان عن مولى لعبد الرحمن بن عوف قال : قال عبد الرحمن : كنت نائماً في رحبة المسجد ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً من الباب الذي يلي المقبرة ، قال : فلبثت شيئاً ثم خرجت على أثره فوجدته قد دخل حائطا من الأسواق ، فتوضأ ثم صلى ركعتين فسجد سجدة أطال فيها ، فلما تشهد تبدأت له ، فقلت : بأبي وأمي حين سجدت أشفقت أن يكون الله قد توفأك من طولها ، فقال : إن جبريل عليه السلام بشرني أنه من صلى على صلى الله عليه ، ومن سلم على سلم الله عليه . قال البيهقي : وقد روينا من وجه آخر عن محمد بن جبير عن عبد الرحمن ، ومن وجه آخر عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن لم يذكر فيه الركعتين ، بل ذكر السجود فقط ، فزاد عبد الواحد في حديثه : فسجدت لله شكراً . ورواه ابن زبالة بالطريق الأولى بلفظها ، إلا أنه قال : فقلت بأبي وأمي لقد سجدت سجدة أشفقت

بأبي وأمي
بأبي وأمي
(قريب من)
(يقينا)

إلى آخره . ورواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبزار ، إلا أن في روايتهم : فحُثُّهُ وقد خرج ، فاتبعته ، فدخل حائطاً من حيطان الأسواق ، فصلى فأطال السجود ، فقلت : قَبِضَ اللهُ روحَ رسوله صلى الله عليه وسلم لا أراه أبداً ، فخرنت وبكيت ، فرفع رأسه ، فدعاني فقال : ما الذى بك ؟ أو ما الذى وراءك ؟ فقلت : يا رسول الله أطلت السجود فقلت قبض الله رسوله لا أراه أبداً ، فخرنت وبكيت ، قال : سجدت هذه السجدة شكراً لربى فى أبلانى فى أمتى أنه قال : مَنْ صلى عليك منهم صلاة كتب له عشر حسنات ، وهذا اللفظ للبزار .

قلت : والأسواق قريبة من موضع هذا المسجد جداً ، ويحتمل أنه محل السجدة المذكورة ، بل هو الظاهر ؛ فلذلك أثبتناه . وحديث عبد الرحمن هذا أخرجه الإمام أحمد بلفظ : خَرَجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فتوجَّه نحو صدقته فدخل فاستقبل القبلة ، فخر ساجداً فأطال السجود حتى ظننت أن الله قبض نفسه فيها ، فدنوتُ منه ، فرفع رأسه وقال : مَنْ هذا ؟ قلت : عبد الرحمن ، قال : ما شأنك ؟ قلت : يا رسول الله سجدت سجدة ظننت أن يكون الله قد قبض نفسك فيها ، فقال : إن جبريل أتانى فبشرنى فقال : إن الله عز وجل يقول : مَنْ صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، قال البيهقى فى الخلافات عن الحاكم قال : هذا صحيح ، ولا أعلم فى سجدة الشكر أصح من هذا الحديث ، انتهى .

وقوله « نحو صدقته » ينبغى تحمله على الرواية المتقدمة ، ولا يمتنع أن يكون بعض حوائط الأسواق كان من صدقة النبى صلى الله عليه وسلم ، مع أن بالقرب منه موضعاً يعرف قديماً وحديثاً بالصدقة ، أو أن القصة متعددة ، والله أعلم . ومنها : مسجد على يمين الخارج من درب البقيع على ما ذكره البرهان ابن فرحون فإنه قال عقب ذكر المسجد المتقدم قبل هذا : إنه لم يرد فيه شيء يعتمد ، ثم قال : وكذلك المسجد الذى فى أول البقيع على يمين الخارج من درب الجمعة ، انتهى .

مسجد أبى
بن كعب
(بنى جديلة)
(البقيع)

قلت : يعنى الموضع الذى فى غربى مشهد عقيل وأمّهات المؤمنين ، وبه اليوم
أسطوان قائمة ، وبلغنى أنه كان به عقدان سَقَطَا ، وبقاياها شاهدة بأنه كان مبنيا
بالحجارة المنقوشة والقصة كالبناء العُمَرى ، وقد اتخذ بعض الأشراف الوحادة
رحبته التى فى شامى الأسطوان مقبرة .

وقد ذكر المر جاني أيضاً مسجداً بالبقيع ، وذكّر من عند نفسه أنه موضع
مُصَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم العيد بالبقيع ، ولعله يعنى هذا المسجد ، وقد قدمنا
فى ذكر المصلّى ما يردده .

والذى ظهر لى أن هذا المسجد هو مسجد أبى بن كعب رضى الله عنه ،
ويقال له : مسجد بنى جديلة ؛ لأننا قدمنا فى منازل بنى النجار أن بنى جديلة
ابتنوا أطماً يقال له مشعط كان فى غربى مسجدهم الذى يقال له مسجد أبى ، وفى
موضع الأطم بيتٌ يقال له بيت أبى نبيه ، وسيأتى فى ذكر قبور أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم وابنته الزهراء رضى الله تعالى عنهن بالبقيع ما يقتضى أن فى
أوله مما يلى هذه الجهة زقاقا يعرف بزقاق نبيه ، وخوخة تعرف بخوخة آل نبيه .
وفى كلام ابن شبة ما يقتضى مجاورة البقيع لبنى جديلة واتصالهم به ؛ فنرجح عندى
أنه مسجد أبى رضى الله تعالى عنه ، وسيأتى عن المطرى ذكر مسجد أبى فيما علمت
جهته ولم تعلم عينه من المساجد .

وروى عمر بن شبة عن يحيى بن سعيد قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم
يختلف إلى مسجد أبى فيصل فى غير مرة ولا مرتين ، وقال : لولا أن يميل الناس
إليه لأكثرت الصلاة فيه .

وعن أبى بكر بن يحيى بن النضر الأنصارى عن أبيه أن النبي صلى الله عليه
وسلم لم يُفصل فى مسجد مما حوّته المدينة إلا مسجد أبى بن كعب ، ثم ذكر
مساجد ستأتى .

وروى ابن زبالة عن يوسف الأعرج وربيعة بن عثمان أن النبي صلى الله عليه
وسلم صَلَّى فى مسجد بنى جديلة ، وهو مسجد أبى بن كعب .

وفي شامى مشهد عقيل أسفل السكومة مسجد صغير طريقه من بين التراب
التي هناك أسفل محرابه موجود ، ولم يتعرض لذكره في المساجد وليس هو على
هيات البناء العُمري ، والله أعلم .

مساجد المصلى

ومنها : مساجد المصلى الثلاثة التي ذكرناها في الفصل الأول فراجع .

مسجد ذى
الخليفة

ومنها : مسجد ذى الخليفة ميقات أهل المدينة ، والمسجد الذى في قبلته ،
وسيان في المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم بين الحرمين مع
بيان محلها من وادى العقيق الكبير .

مسجد مقمل

ومنها مسجد مقمل ، ذكره المجد هنا ، والصواب ذكره في المساجد الخارجة
عن المدينة ؛ لأنه كما سيأتى على يومين منها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الفصل الرابع

في المساجد التي علمت جهتها ، ولم تعلم عينيها بالمدينة الشريفة

مسجد أبى
بن كعب

منها : مسجد أبى بن كعب ببني جديلة ، ويقال : مسجد بني جديلة من بني
النجار ، على ما تقدم في المسجد الذى بالقيع عن المطرى من أن هذا المسجد
لا تعرف عينه ، قال : ومنازل بني جديلة عند بئر ماء شامى سور المدينة .

مسجد بنى
حرام

ومنها : مسجد بنى حرام من بني سامة من الخزرج ، قد تقدم في مسجد
القبليتين توهيم من جعله إياه ، وما ورد من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بكل
منهما . وروى ابن زبالة عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في
مسجد بنى حرام الذى بالقاع ، وأنه رأى في قبلته نخامة ، وكان لا يفارقه عرجون
ابن طاب يتخصر به ، فحسكه ثم دعا بخلوق فجعله على رأس العرجون ، ثم جعله
على موضع النخامة ، فكان أول مسجد خلق . ومنازل بني حرام بالقاع في غربى
مساجد الفتح ووادى بطحان عند جبل بنى عبيد والعين التي أجزاها معاوية
رضى الله تعالى عنه .

مسجد الخربة

ومنها : مسجد الخربة لبني عبيد من بني سامة ، وتقدم أن منازلهم كانت

عند مسجدهم هذا إلى الجبل الذي يقال له جبل الدويخل جبل بنى عبيد ، وذلك قرب منازل بنى حرام في المغرب ، والقاصِدُ إلى مسجد القبلتين من جهة مساجد الفتح يمر بمنازلهما ، وقد تقدم في مسجد القبلتين ما روى من صلاته صلى الله عليه وسلم بهذا المسجد . وروى ابن زبالة عن يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة عن مشيخته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي السلافة أم البراء بن معرور في المسجد الذي يقال له مسجد الخربة دبر القرصة^(١) ، وصلى فيه مرارا .

قلت : وسيأتي أن هناك نخل جابر بن عبد الله المذكورة قصته في قضاء دينه هناك ، ولم يتعرض المطري ومن تبعه لذكر هذا المسجد . وقد روى يحيى بن الحسن في كتابه خبر ابن زبالة المذكور ، ورأيت في النسخة التي رواها طاهر بن يحيى عن أبيه يحيى لفظ: دبر القرصة^(١) ، ثم قال عقبه ما لفظه : قال لنا طاهر بن يحيى : هذا في بني حارثة ، وكانت القرصة^(١) ضيعة ، وهي عند بيت سعد بن معاذ ، انتهى وهو مخالف لما تقدم عن ابن زبالة في المنازل ، والله أعلم .

ومنها : مسجد جهينة وبلي ، وروى ابن شبة عن معاذ بن عبد الله بن مسجد جهينة أبي مريم الجهني وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد جهينة ، وعن يحيى بن النضر الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل في مسجد مما حوته المدينة إلا مسجد أبي ، ثم قال : ومسجد جهينة ، إلى آخر ما ذكره ، وعن جابر بن أسامة الجهني قال : لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه بالسوق فقلت : أين تريدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : نخطُّ لقومك مسجداً ، فرجعت فإذا قومي قيام وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطَّ لهم مسجداً وغرَّزَ في القبلة خشبةً أقامها فيها ، وعنه أيضاً قال : خطَّ النبي صلى الله عليه وسلم مسجد جهينة لبلي . وروى ابن زبالة عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطَّ المسجد الذي لجهينة ولمن هاجر من بلي ، ولم يصل فيه . وعن خارجة بن الحارث بن رافع بن مكيث الجهني عن أبيه عن جده

(١) في نسخة « القراصة » بزيادة ألف بعد الراء في كل المواضع ، وانظر ص ٨١٤ الآتية .

قال : جاء النبي صلى الله عليه وسلم يعودُ رجلاً من أصحابه من جهينة من بنى الربعة يقال له أبوسريم ، فعاده بين منزل بنى قيس العطار الذى فيه الأراكاة وبين منزلهم الآخر الذى بلى دار الأنصار ، فصلى فى ذلك المنزل ، قال : فقال نفر من جهينة لأبى مريم : لو لحقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته أن يخط لنا مسجدا ، فقال : احتملوني ، فحملوه فلحق النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا أبا مريم ؟ فقال : يا رسول الله لو خططت اقومى مسجدا ، قال : فجاء النبي صلى الله عليه وسلم مسجد جهينة ، وفيه خيام لبلى ، فأخذ ضلعا أو محجنا فخط لهم ، قال : فالمنزل لبلى ، والخطبة لجهينة .

قال الجمل المطرى : وهذه الناحية اليوم معروفة غربى حصن صاحب المدينة ، والصور القديم بينها وبين جبل سلع ، وعنده آثار باب من أبواب المدينة خراب ، ويعرف إلى تاريخه - وهو سنة أربعين وسبعائة - بدرج جهينة ، والناحية من داخل الصور بينه وبين حصن صاحب المدينة ، انتهى .

قلت : قوله « من داخل الصور » إن أراد به الصور الموجود اليوم فليس بصحيح ؛ لأن ما كان داخل هذا الصور فيما بينه وبين حصن صاحب المدينة فهو من السوق كما تقدم بيانه ، ومنازل هؤلاء كانت فى غربى السوق قبلى ثنية عثعث المنسوية إلى سليع - وهو الجبل الذى عليه حصن أمير المدينة ويمتد فى جهة المغرب إلى بنى سامة - وإن أراد أن الناحية المذكورة من داخل الصور القديم فصحيح ، غير أن الداخل فيه بعضها لا كلها .

ومنها : المسجد الذى عند بيوت المطرفى ، وهو المتقدم ذكره فى منازل مسجد بنى غفار بنى غفار .

روى ابن زبالة عن أنس بن عياض عن غير واحد من أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى المسجد الذى عند بيوت المطرفى ، عند خيام بنى

غفار، وأن تلك المنازل كانت منازل آل أبي رهم كُثُوم بن الحصين الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال المطري : وليست الناحية معروفة اليوم .

قلت : عرف مما تقدم في منازل بني غفار وفي دار السوق أنها في غربي سوق المدينة بالقرب من منزل جهينة الذي يلي ثنية عثعث من جهة القبلة .

مسجد بني
زريق

ومنها : مسجد بني زريق — بتقديم الزاي كزير — من الخرج .

روى ابن زبالة عن عمر بن حفظة أن مسجد بني زريق أول مسجد قرئ فيه القرآن ، وأن رافع بن مالك الزرقى لما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل عليه في العشر سنين التي خلت ، قال : فقدم به رافع المدينة ، ثم جمع قومه فقرأ عليهم في موضعه ، وهو يومئذ كوم ، قال : وعجب النبي صلى الله عليه وسلم من اعتدال قبلته .

وعن مروان بن عثمان بن المعلى قال : أول مسجد قرئ فيه القرآن مسجد بني زريق .

وعن يحيى بن عبد الله بن رفاع قال : توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وعجب من اعتدال قبلته ، ولم يصل فيه .

وروى ابن شبة عن معاذ بن رفاع الزرقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل في مسجد بني زريق ، وتوضأ فيه ، وعجب من قبلته ، ولم يصل فيه ، وكان أول مسجد قرئ فيه القرآن .

قلت : تقدم في المنازل أن محل قرية بني زريق في قبلة المصلى وما والاها في المشرق داخل السور وخارجه ، وتقدم في ذكر الدور المحيطة بالبلاط الممتد من باب المدينة المعروف بدرب سويقة إلى باب السلام ما يبين أن هذا المسجد كان في قبلة الدور التي عن يمين السالك من درب سويقة المذكور قريباً منه ، وهو

المذكور في حديث السياق بين الخيل التي لم تضر ، قال عياض : وبينه وبين ثنية الوداع ميل أو نحوه .

قلت : وبين ثنية الوداع وبين الموضع الذي ذكرناه نحو الميل ، وهو قريب من جهة محاذة ثنية الوداع في جهة القبلة .

وقد حدث في جهة قبلة المصلى مما يلي المغرب مسجدان ، أحدهما شمس الدين محمد بن أحمد السلاوي بعد الخمسين وثمانمائة : الأول منهما على شفير وادي بطحان على عذوته الشرقية ، والثاني بعده في جهة القبلة على رابية مرتفعة من الوادي أيضا في غربيه في مقابلة المطرية ، وكان موضعه في تلك الرابية فكان يطبخ فيه الأجر ، وإنما نهت على ذلك لئلا يتقدم العهد بهما فيظن أن أحدهما مسجد بني زريق ؛ لكون ذلك بالناحية المذكورة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

مسجدان لبني
ساعة

ومنها : مسجدان لبني ساعة من الخرج ، وسقيقتهم .
روى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني ساعة ، وجلس في سقيقتهم القصوى . وعن العباس بن سهل أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني ساعة في جوف المدينة . وعن سعد بن إسحاق بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني ساعة الخارج من بيوت المدينة . وعن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس في سقيقة بني ساعة القصوى . وعن عبد المنعم بن عباس عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس في السقيقة التي في بني ساعة ، وسقاه سهل بن سعد في قدح .
وروى ابن زبالة حديث سهل بن سعد المتقدم ، ثم روى عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في سقيفته التي عند المسجد ، ثم امتسقاني فحُضْتُ له وطبة ، فشرب ثم قال : زدني ، فحُضْتُ له أخرى فشرب ، ثم قال : كانت الأولى أطيب من الآخرة ، فقلت : ها يا رسول الله من شيء واحد .

قوله « فحضت له » كذا هو في نسخة ابن زبالة . ورواه المطري كذلك ، وكذا كان في خط الزين المراغي ، ثم رأيت مصلحا « فحضت له » وكان الذي ألقى الميم أخذ ذلك من كون الوطْب سقاء اللبن ؛ فالمناسب له الخض ، ولا مانع من إطلاق الخوض على الخض .

وقد تلخص من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني ساعدة ، وجلس في سقيفتهم ، والجلوس في سقيفتهم مذكور في الصحيح ، وهي السقيفة التي وقعت بيعة أبي بكر رضي الله تعالى عنه فيها ، والظاهر أنها كانت عند دار سعد بن عبادة ، ويدل على ذلك ما في الصحيح من حديث الجوينية — وهي العائذة — من حديث سهل بن سعد حيث ذكر دخول النبي صلى الله عليه وسلم عليها ، وخروجه من عندها ، ثم قال : فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه ، ثم قال : اسقنا يا سهل ، فخرجت لهم بهذا القدح فسقيتهم فيه ، الحديث . فطلبه صلى الله عليه وسلم من سهل بن سعد أن يسقيه وقد جلس في سقيفتهم دال على قرب منزله منها ، ويدل لذلك أيضا اجتماع الأنصار بها عند سعد رضي الله تعالى عنه يوم السقيفة ، وكان سعد مريضا ، وقد أسلفنا في منازل بني ساعدة أنهم افترقوا في أربعة منازل ؛ فنزلهم الأول في شرقي سوق المدينة وفيه بئر بضاعة هو المراد بحديث الصلاة في مسجد بني ساعدة في جوف المدينة .

وأما مسجد بني ساعدة الخارج عن بيوت المدينة فيظهر أنه في منزلهم الرابع ، وأنه في شامي ذباب الجبل الذي عليه مسجد الراية ؛ لما سيأتي في ترجمة الشوط من أن في رواية لابن سعد أن الجوينية أنزلت بالشوط من وراء ذباب في أطم . وفي رواية أخرى « فنزلت في أجم بني ساعدة » .

وأما سقيفة بني ساعدة فيظهر أنها في منزلهم الثالث ، وهو منزل بني أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف ؛ لأنهم رهط سعد ، ولأن جراره التي كان يسقي

سقيفة بني
ساعدة

فيها الماء بعد وفاة أمه كانت لها ، وهو قريب من منزلهم الرابع ، كما يؤخذ مما قدمناه في المنازل ، وذلك في شامى سوق المدينة قرب ذباب .

وقد ترجَّحَ عندي الآن خطأ ما قدمته هناك من احتمال أن تكون جرار سعد عند الموضع المعروف اليوم بسقيفة بنى ساعدة قرب مقعد الأشراف الواحدة من سويقة . وقد قدمنا قول المطري إن قرية بنى ساعدة عند بئر بضاعة ، والبئر وسط بيوتهم ، قال : وشمالى البئر اليوم إلى جهة المغرب بقية أطم من أطام المدينة نقل أنه في دار أبي دجانة الصغرى التى عند بئر بضاعة ، وأبو دجانة من بنى ساعدة ، ذكر ذلك في بيان مسجد بنى ساعدة وسقيفتهم مقتصر على مسجد واحد ، وقال : إنه مسجد بنى ساعدة رهط سعد بن عبادة ، وليس ما ذكره منزل رهط سعد ؛ لما قدمناه .

وأغرب رزين العبدري فزعم أن سقيفة بنى ساعدة معروفة بقاء ، وهو وهم وروى ابن زباله عن هند ابنة زياد زوجة سهل بن سعد الساعدي قالت : لما دخلت على سهل رأيت المسجد فى وسط البيت فقلت : ألا إلى العريش أو إلى الجدار ، فقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم جلس ههنا ، وهو البيت الذى صار لابن حمران .

ومنها : مسجد بنى خدارة إخوة بنى خدرة من الخزرج .

روى ابن شبة عن شيخ من الأنصار أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى خدارة ، وحلق رأسه فيه . وعن هشام بن عروة أنه صلى الله عليه وسلم صَلَّى به . وعن عمرو بن شرحبيل أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على الحجر الذى فى أجم سعد بن عبادة عند جرار سعد ، وصَلَّى فى مسجد بنى خدارة قلت : قد تقدم ذكر جرار سعد فى منزل بنى ساعدة الثالث ، وبيان أنها كانت حدَّ سوقِ المدينة من جهة الشام قرب ثنية الوداع ، وأن منازل بنى خدارة كانت بجرار سعد .

مسجد بنى
خدارة

وقال المطري : هذه الدار قبلي دار بني ساعدة وبئر بضاعة مما يلي سوق المدينة .

وإذا تأملت ما قدمناه في منازل بني ساعدة علمت أن هذه هي دارهم الثالثة التي بها رَهْط سعد ، وعندها السقيفة ، وليس بها لبني ساعدة مسجد ، وينبغي أن لا يغفل عما قدمناه من حدوث مسجد في منزلة الحاج الشامي قبلي المنهل الذي عند مشهد النفس الزكية ، أنشأه قاضي الحرمين العلامة محي الدين الحفيلي هناك ؛ فلا يتوهم أنه أحد هذه المساجد ، والله أعلم .

مسجد راتج

ومنها : مسجد راتج ؛ لم يتعرض المطري ومن تبعه لذكره . وقد روى ابن شبة عن خالد بن رباح أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في مسجد راتج ، وشرب من جاسوم^(١) ، وهي بئر هناك . وروى ابن زبالة صلاته صلى الله عليه وسلم في مسجد راتج عن خالد بن رباح عن رجل من بني حارثة . وسيأتي أن جاسوم^(١) بئر أبي الهيثم بن التيهان ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في حائطه . وراتج تقدم في المنازل أنه أطم سميت به الناحية ، وأن بني الشطية كانوا إحدى قبائل راتج الثلاث ، وأن ممن كان به بني زَعُوراء إخوة بني عبد الأشهل ومنهم أبو الهيثم بن التيهان ؛ ولهذا نقل الأَقْشَهْرِي عن الحب الطبري أنه ذكر المساجد التي كانوا يصلون فيها بأذان بلال فقال : ومسجد بني راتج من بني عبد الأشهل .

قلت : وصواب العبارة « مسجد راتج » وقد سبق ذكر راتج أيضاً في منازل مزينة من المهاجرين حيث قال فيها : ونزلت بنو ذكوان من بني سليم مع أهل راتج من اليهود ما بين دار قدامة إلى دار حسن بن زيد بالجبانة . وسيأتي ذكر الجبانة في ترجمة ذباب . وسيأتي لراتج ذكر في ترجمة الخندق ، ومنه يؤخذ أنه كان في شرق ذباب الذي عليه مسجد الراية جانحاً إلى جهة الشام ، وبعده في المشرق منزل بني عبد الأشهل .

(١) في نسخة « جاسم » .

وقال المطري : إن في غربي وادي بطحان من جهة مساجد الفتح جبلين صغيرين : أحدهما يقال له راتج ، ويقال للذي إلى جنبه جبل أبي عبيد . قلت : وإن صحَّ ما ذكره فليس هو المراد هنا ؛ لأن تلك الجهة ليست في منازل بني عبد الأشهل وإخوتهم المذكورين . والذي صرح به ابن زبالة وغيره أنه اسمُ أطم كما قدمناه ، فهو المعتمد والله أعلم .

ومنها : مسجد بني عبد الأشهل من الأوس ، ويقال له مسجد واقم .
روى أبو داود والنسائي عن كعب بن عجرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى مسجد بني عبد الأشهل فصلى فيه المغرب ، فلما قضوا صلاتهم رآهم يسجدون^(١) بعدها ، فقال : هذه صلاة البيوت ، وإسناده جيد ، إلا أن فيه إسحاق بن كعب ابن عجرة مجهول الحال .

وروى ابن شبة عن محمود بن ليبد قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب في مسجد بني عبد الأشهل ، فلما فرغ من صلاته قال : صلّوا هاتين الركعتين في بيوتكم ، ومحمود بن ليبد من صغار الصحابة ، وجلُّ روايته عن الصحابة ، وفي إسناده عن عنة ابن إسحاق ، ورواه أحمد برجال ثقات ، ولفظه : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجدنا فصلى بنا المغرب ، فلما سلم منها قال : اركعوا هاتين الركعتين في بيوتكم ، للسبحة بعد المغرب ، ورواه ابن ماجه عن محمود بن ليبد عن رافع بن خديج قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عبد الأشهل ، فصلى بنا المغرب في المسجد ، الحديث ، وفي إسناده متروك . وروى ابن شبة وابن ماجه عن عبد الله بن عبد الرحمن قال : جاءنا النبي صلى الله عليه وسلم فصلى بنا في بني عبد الأشهل ، فرأيتُه واضعاً يديه على ثوبه إذا سجد : وعبد الله بن عبد الرحمن ليست له صحبة ، قال الذهبي : وصوابه عن أبيه عن جده . وقد روى ابن ماجه عقبه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ثابت بن الصامت

(١) في نسخة « يسبحون بعدها » والمراد على كل حال باللفظين يصلون .

عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بني عبد الأشهل ،
وعليه كساء مُلْتَفَّ به يَضَعُ يديه عليه يَبْقِيهِ برد الحصى .

ورواه ابن شبة بنحوه ، وفي إسناد كل منهما ضعيف .

وروى ابن شبة عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة - وهو ضعيف - عن
أبيه مُعْضَلًا قال : صَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد واقم في بني عبد
الأشهل وعليه بَرٌّ نَكَانٌ^(١) لم يفيض بيديه من البرِّ نَكَانٌ إلى الأرض .

وعن أم عامر أنها رأت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد بني عبد
الأشهل أتى بعرق فتعرقه ، ثم صلى ولم يمس ماء .

ورواه ابن زباله إلا أنه قال : إنها قالت : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
بعرق فتعرقه وهو في مسجد بني عبد الأشهل ، ثم قام فصلى ولم يتوضأ .

وروى يحيى عن بكر بن عبد الوهاب عن محمد بن عمر قال : قالوا : كان
بالمدينة تسعةُ مساجِدَ يسمعون فيها مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فيصلون
في مساجدهم ، ولا يأتون مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا يوم الجمعة فإيهم
كانوا يجتمعون فيه ، وربما خَرَجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الظهر إلى
مسجد بني عبد الأشهل فيصلي العصر والمغرب في مسجد بني عبد الأشهل ، ولم تكن
دار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر لها غُشْيَانًا من دار بني عبد الأشهل
قبل وفاة سعد بن معاذ وبعد وفاته .

قلت : والأخبار في الصلاة في هذا المسجد كثيرة ، وهو غير معروف اليوم ،
وتقدم أن المطري قال : إن دار بني عبد الأشهل قبلى دار بني ظَفَرٍ مع طرف
الحرة الشرقية المعروفة بحِرَّةٍ واقم ، وكأنه أخذَه من قول يحيى في مسجد بني
ظفر : إنه دون مسجد بني الأشهل ، ولا دلالة في ذلك على ما قاله ، والصواب

(١) هو كزعفران : ضرب من الأكسية اه من هامش الأصل .

ما قدمناه في منازلهم من أنها كانت في شامي بني ظفر بالحرّة المذكورة وما والاها بين بني ظفر و بني حارثة ، وسيأتي في ترجمة الخندق ما يصرح بذلك . ويؤيده ما سيأتي في مسجد القرصة من أنها ضيعة لسعد بن معاذ ، والقرصة معروفة اليوم بالجهة التي ذكرناها . و بنو عبد الأشهل هم رهط سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، وقد رأيت قرب القرصة آثار منازل كثيرة الظاهر أنها منازلهم ، ويؤيده أن فيما نقله الواقدي عن كتاب مسرف بن عقبة إلى يزيد بعد مقتلة الحرّة «إني فرقت أصحابي على أفواه خنادقهم ؛ فوليت الحصين بن نمر ناحية ذباب وما والاها ، ووجهت حميش بن دلجة إلى ناحية بقيع الغرقد ، وكنت ومنّ معي من قواد أمير المؤمنين في وجه بني حارثة ، فأدخلنا عليهم الخيل حين ارتفع النهار من ناحية بني عبد الأشهل ، فما صليت الظهر إلا في مسجدهم ، وإنا أوقعنا بهم السيوف فقتلنا من أشرف لنا منهم ، وتبعنا مدبرهم ، وأجهزنا على جريحهم ، واتهبناها ثلاثاً » انتهى .

وقد تقدم في الفصل الخامس عشر من الباب الثاني أن بعض بني حارثة فتح لأهل الشام طريقاً من قبلهم ، وأنهم أتوا من قبل بني حارثة . ونقل الواقدي أن أول ما انتهت والحرب بعد لم تنقطع دار بني عبد الأشهل ، أي لأنها التي كانت تليهم بعد الدخول من بني حارثة ، والله أعلم .

مسجد القرصة

ومنها : مسجد القرصة - روى رزين عن يحيى بن قتادة عن مشيخة قومه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي دور الأنصار فيصل في مساجدهم ، فصلى في مسجد القرصة ، والقرصة : ضيعة لسعد بن معاذ ، قال الزين المراغي : فلعلها القرصة المعروفة اليوم بطرف الحرة الشرقية من جهة الشمال ؛ لأنها قريبة من منازل بني عبد الأشهل رهط سعد ، غير أن المسجد لا يعرف فيها اليوم .

قلت : رأيت بها قرب البئر على رابية أثر مسجد ، والله أعلم .

ومنها : مسجد بني حارثة من الأوس - روى ابن شبة عن الحارث بن سعد ^{مسجد بني حارثة} ابن عبيد الحارثي أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في مسجد بني حارثة .
وروى ابن زبالة عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في مسجد بني حارثة ، وقضى فيه في شأن عبد الرحمن بن سهل ، يعني المقتول بخيبر ، أخى عبد الله بن سهل أبني عم حوَيْصة وُحَيْصة .
وتقدم في المنارل أن بني حارثة تحوّلوا قبل الإسلام من دار بني عبد الأشهل إلى دارهم في سَنَد الحرّة التي بها الشيخان شاميّ بن عبد الأشهل ، خلاف ما ذكره المطري من أن منازلهم بيثرب .

ومنها : مسجد الشيخين ، ويقال له « مسجد البدائع » .
روى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في المسجد الذي عند الشيخين ، وبات فيه ، وصلى فيه الصبح يوم أحدٍ ، ثم غدا منه إلى أحد .

وعن ابن عباس عن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في المسجد الذي عند البدائع عند الشيخين ، وبات فيه حتى أصبح ، والشيخان : أطمان .
وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في مسجد البدائع بشِواء ، فأكله ، ثم بات حتى غدا إلى أحد .
وروى ابن زبالة عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى في المسجد الذي عند الشيخين ، وأنه عدّل من ثمّ يوم أحدٍ إلى أحد .
ورواه يحيى من طريق ابن زبالة ، قال ابنه طاهر بن يحيى عقبه : ويعرف اليوم بمسجد العدو .

وروى يحيى أيضاً عن محمد بن طلحة قال : المسجد الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة حين راح أي إلى أحد من ههنا هو المسجد الذي على يمينك إذا أردت قناة ، أي وادي الشطاة ، صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم

مسجد
الشيخين
(البدائع)

مكتبة
كلية الملكة عالية

١٩٥ /

العَصْرَ والعشاء والصبح ، ثم غدا إلى أَحَدٍ يوم السبت .
وسَيَأْتِي في الشيخين قولُ المطري : إنه موضعٌ بين المدينة وجبل أحد على
الطريق الشرقية مع الحرّة إلى جبل أحد . وتقدم قول ابن زبالة : وكان لبعض
مَنْ هناك من اليهود الأُطيان اللذان يقال لهما الشيخان بمُفضّاهما المسجد الذي صلى
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى أحد .

ومنها : مسجد بنى دينار بن النجار من الخزرج - روى ابن شبة عن يحيى بن
النضر الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بنى دينار ، وعن
عبد الله بن عقبة بن عبد الملك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يُصَلِّي
في مسجد بنى دينار عند الغسّالين .

مسجد بنى
دينار

وروى ابن زبالة عن أيوب بن صالح الديناري أن أبا بكر الصديق رضي الله
تعالى عنه تزوّج امرأة منهم ، فاشتكى ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يَعُودُهُ ،
فكَلَّمُوهُ أن يُصَلِّيَ لهم في مكان يصلون فيه ، فصلى في المسجد الذي بينى دينار
عند الغسّالين .

بن دينار
(والغسّالين)

وتقدم في المنازل عن المطري أن دارهم بين دار بنى جديلة التي عند بيرحاء
وبين دار بنى معاوية أهل مسجد الإجابة ، وأن ابن زبالة صرح بخلافه ، حيث
قال : نزلوا دارهم التي خلف بطحان الذي في شقه الغربي مما يلي الحرّة .

قلت : ويؤيده ما سيأتى في الخندق ، أنهم خَنَدَقُوا من مسجد القبلتين إلى
دار ابن أبي الجنوب بالحرّة ، وذلك لأن منازلهم في تلك الجهة ، ولأن ابن زبالة
قال : إن بنى سواد من بنى سلامة نزلوا عند مسجد القبلتين إلى أرض ابن عبيد
الديناري ، وسيأتى أن نَقَبَ بنى دينار هو طريق العقيق بالحرّة الغربية ، وبه السقيا
كما قال الواقدي ، فإنما كانوا بالحرّة الغربية ، وقد سَمَى الأسدَى مسجدَهم بمسجد
الغسّالين ؛ لما تقدم من أنه كان عند الغسّالين .

وفي غربي وادي بطحان بالحرة موضع يعرف اليوم بالمغسلة^(١) ، قال المجد :
كان يغسل فيها ، قال : وهي اليوم حديقة كثيرة النخيل من أقرب الخدائق إلى
المدينة ، انتهى . فاعل ذلك في موضع منازلهم .

وقد رأيت هناك حجراً عليه كتابة كوفية فيها ما لفظه : مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم . وعنده آثار يظهر أنها من آثار المسجد ، وقد بنى صاحب
المغسلة هناك مسجداً في تلك الآثار ، وجعل الحجرَ فيه .

ومنها : مسجد بني عدي بن النجار ، ومسجد دار النابغة في بني عدي أيضاً
— روى ابن شبة عن يحيى بن عمار المازني أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في
دار النابغة ، واغتسل في مسجد بني عدي .

وعن يحيى بن النضر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد دار النابغة
ومسجد بني عدي .

وعن هشام بن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني عدي
وفي بيت صرمة في بني عدي .

ورواه ابن زبالة عنه بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد
دار النابغة وفي مسجد بني عدي .

وتقدم عن المطري أن منازل بني عدي غربي المسجد النبوي ، ولم أر غيره
ما يوافقه ولا ما يخالفه ، إلا أن النضر والد أنس خادم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان منهم .

وسياتي في بئر ما يبين أن داره كانت شامي المسجد النبوي عند بني جديلة .
ودار النابغة : هي المرادة بما رواه ابن شبة عن أبي زيد النجاري قال : قبر
عبد الله بن عبد المطلب — يعني والد رسول الله صلى الله عليه وسلم — في دار النابغة
قال عبد العزيز : ووصفه لي محمد بن عبد الله بن كريم فقال : تحت عتبة البيت
الثاني على يسار من دخل دار النابغة .

(١) المغسلة : موضع باق إلى اليوم معروف بهذا الاسم (حسب الله) .

وقال ابن عبد البر : توفي عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وقبره بها في دار من دور عدى بن النجار ، قال ابن الجوزي : هي دار النابغة .

ومنها : مسجد بني مازن بن النجار - روى ابن زبالة عن يعقوب بن محمد أن النبي صلى الله عليه وسلم خطَّ مسجداً بني مازن ولم يُصل فيه .

وفي رواية عنه : وَضَعَ مسجد بني مازن بيده ، وصَلَّى في بيت أم بردة في

بني مازن .

قلت : أم بردة هذه هي مرضعة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفي عندها ، وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاته في بيتها ، وظاهر ما سيأتي في بقيق الزبير من قول ابن شبة في بعض دوره على يسارك إذا أردت بني مازن ، وكذا ما قدمناه عنه في منازل مزينة ومن حل معها أن منازل بني مازن قرب منازل بني زريق مما يلي القبلة والمشرق ؛ لأنه قال بعد ذكر منازل بني زريق مالفظة : إلى أن يلقى بني مازن بن عدى بن النجار ، لكن قوله ابن عدى خطأ في النسخة لأن مازنا هو ابن النجار نفسه ، وعدى أخوه .

وتقدم عن المطري أن منازل بني مازن قبلي بئر البصة في الناحية المسماة اليوم بأبي مازن^(١) ، قال : وكان إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم مسترضعاً فيها عند امرأة أبي سيف العين .

ومنها : مسجد بني عمرو بن مبدول بن مالك بن النجار - روى ابن زبالة وابن شبة عن هشام بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني عمرو بن مبدول . وروى ابن شبة عن يحيى بن النضر نحوه ، ولم يذكر المطري ومن تبعه هذا المسجد ، ولم يعد بني مبدول في بطون بني النجار .

وتقدم في المنازل أن منزلهم كان عند بقيق الزبير ؛ فتؤخذ جهته من المسجد بعده .

(١) أبو مازن لا يعرف اليوم وهناك بئر تسمى زيانة لعله هو (حسب الله)

مسجد بني
مازن

مسجد بني
عمرو

ومنها : مسجد بقيع الزبير^(١) - روى ابن زبالة عن عطاء بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى في بقيع الزبير ركعتين ، فقال له أصحابه : إن هذه الصلاة ما كنت تصليها ، قال : إنها صلاة رَغَب ورَهَب فلا تدعوها .
وسألتني في بقيع الزبير أنه في شرقى بنى زريق ، مُحْجَاور لدور بنى غنم إلى جانب البقال .

ومنها : مسجد صدقة الزبير بنى محم - روى ابن زبالة عن هشام بن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد الذى وضعه الزبير فى بنى محم .

مسجد صدقة
الزبير

ورواه ابن شبة عنه بلفظ : فى صدقة الزبير فى بنى محم .
قلت : وذلك بالجزع المعروف بالزبيريات ، غربى مَشْرُبة أم إبراهيم ، وقبلتها بقرب خنافة والأعواف ، وهما من أموال بنى محم .
وقال الشافعى رحمه الله : وصدقة النبي صلى الله عليه وسلم قائمة عندنا ، وصدقة الزبير قريب منها .

ونقل ابن شبة عن أبى غسان أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع الزبير ماله الذى يقال له بنو محم من أموال بنى النضير ، فابتاع إليه الزبير أشياء من أموال بنى محم ، فتصدق بها على ولده .

وفى سنن أبى داود عن أسماء بنت أبى بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع الزبير نخلا .

وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع الزبير حُضْرَ فرسه ، فأجرى فرسه حتى قام ، ثم رمى سوطه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أعطوه حيث بلغ السوط .

وفى الصحيح قصة الرجل الذى نازع الزبير فى السقى بشراج الحرة ، وسنن أنها حرة بنى قريظة .

وروى الطبرانى أن ذلك الرجل من بنى أمية بن زيد ، ومنازلهم وأموالهم عند هذه الحرة .

(١) لعله داخل الرستمية (حسب الله) .

وفي حديث أسماء في قصة حملها النوى من أرض الزبير أنها كانت على ميلين من المدينة ، وكله مؤيد لكونها الموضع المعروف اليوم بالزبيريات .
ويؤيده أيضاً أن كثيراً منها بأيدي جماعة من ذرية الزبير بن العوام يعرفون اليوم بالسكاة .

ومنها : مسجد بني خُدرة إخوة بني خدادة من الخزرج - روى ابن زبالة عن هشام بن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني خُدرة .
وعن يعقوب بن محمد بن أبي صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بعض منازل بني خُدرة ؛ فهو المسجد الصغير الذي في بني خُدرة مقابل بيت الحية .

مسجد بني
خدرة

وروى ابن شبة عن ربيع بن عثمان أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بيت إلى جنب مسجد بني خُدرة .

وروى هو وابن زبالة عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُصل في مسجد بني خُدرة .

وتقدم في المنازل أن بني خُدرة ابتنوا بدارهم أطماً يقال له الأجرد ، ويقال لبئر البصة ، كان لجد أبي سعيد الخدري ، قال المطري : وبعضه باقٍ إلى اليوم قلت : وهو الذي ابنتي عليه الزكوى بن صالح المنزل الذي عند بئر البصة التي اتخذ لها الدرجة الآن ذكرها

وقوله في رواية ابن زبالة « مقابل بيت الحية » كأنه يشير إلى البيت الذي اتفقت به قصة الحية المذكورة في صحيح مسلم عن أبي السائب أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته ، قال : فوجدته يُصلي ، فجلست أنتظره حتى يقضى صلاته ، فسمعت تحريكاً في عراجين في ناحية البيت ، فالتفت فإذا هي حية ، فوثبت لأقتلها ، فأشار إليّ أن أجلس ، فجلست ، فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار

فقال : أتري إلى هذا البيت ؟ فقلت : نعم ، قال : كان فتى منا حديث عهد
بُعْرُس ، قال : فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق ؛ فكان ذلك
الفتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله ،
فاستأذنه يوما ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذُ عليك سلاحك فإني
أخشى عليك قريظة ، فأخذ الرجلُ سلاحه ثم رجع ، فإذا امرأته بين البابين
قائمة فأهوى إليها الرمح ليطعن بها ، وأصابته غيره ، فقالت له : اكفُفْ عليك
رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني ، فدخل فإذا بحية عظيمة
منطوية على الفرش ، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها ، ثم خرج فركزه في الدار ،
فاضطربت عليه فما يدرى أيهما كان أسرع موتا الحية أم الفتى ، قال : فجئنا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له ، وقلنا : ادع الله يُحييَ لنا ، فقال :
استغفروا لصاحبكم ، ثم قال : إن بالمدينة جنًا قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهم شيئا
فأذنه ثلاثة أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان .

ومنها : مسجد بنى الحارث بن الخزرج ، ومسجد السنح — روى ابن شبة
عن هشام بن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بنى خديرة
وبالحبلى وبالحارث بن الخزرج ومسجد السنح ، ورواه ابن زبالة بلفظ : مسجد
بنى الحارث بن الخزرج ومسجد السنح .

قلت : تقدم أن منازل بنى الحارث شرقي بطحان وترتبة صعيب ، ويعرف
اليوم بالحارث بإسقاط بنى ، وبالقرب منه السنح ، كان على ميل من المسجد
النبوى ، وهو منازل جُشم وزيد ابني الحارث بن الخزرج ، وبه منزل أبى بكر
رضى الله تعالى عنه بزوجه بنت خارجة .

ومنها : مسجد بنى الحبلى رهط عبد الله بن أبي بن مسلول من الخزرج —
روى ابن زبالة وابن شبة عن هشام بن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى
في مسجد بنى الحبلى . ورواه ابن شبة أيضا عن سعد بن إسحاق بن كعب .

وتقدم عن المطري أن دارهم بين قباء وبين دار بني الحارث التي في شرقي بطحان ، مع ما قاله ابن حزم في منازلهم فراجعه .

مسجد بني
بياضة

ومنها : مسجد بني بياضة من الخزرج - روى ابن شبة ويحيى عن سعيد ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني بياضة . وروى ابن زبالة عنه نحوه ، وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت أخرج أقود أبي بعد أن عني إلى المسجد يوم الجمعة ، قال : فيسمع الأذان بالطريق ، فإذا سمعه قال : يرحم الله أسعد بن زرارة ، كان أول من جَمَعَ بنا بهذه القرية ، ونحن يومئذ أربعون في هزيمة من حرة بني بياضة .

وتقدم في الفصل الثامن من الباب الثالث نحوه من رواية أبي داود .

وروى ابن زبالة أيضاً عن ربيعة بن عثمان أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في الحرة في الرحابة .

وتقدم في منازل بني بياضة أن الرحابة مزرعة في شاميها أطعمهم المسمى بعقرب ، وكانت لآل عاصم بن عطية بن عامر بن بياضة .

وذكر ابن زبالة أطماً آخر كان بين المزرعتين الرحابة والخيرة .

وتقدم أيضاً أن دار بني بياضة شامي دار بني سالم أهل مسجد الجمعة إلى وادي بطحان قبلي دار بني مازن بن النجار ، ممتدة في تلك الحرة وبعضها في السبخة .

وروى ابن زبالة عن إبراهيم بن عبد الله بن سعد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقعت هذه الليلة رحمة ؟ فيما بين بني سالم وبني بياضة ، فقالت بنو سالم وبنو بياضة : أنتقل إليها ؟ قال : لا ، ولكن أقبروا فيها ومنها : مسجد بني خطمة من الأوس ، ومسجد العجوز .

مسجد بني
خطمة

وروى ابن زبالة عن الحارث بن الفضل وهشام بن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني خطمة .

ورواه ابن شبة عن هشام وعبد الله بن الحارث، وروى أيضا عن مسامة بن عبيد الله الخطمي أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد العجوز في بني خطمة عند القبر، ومسجد العجوز الذي عند قبر البراء بن معرور، وكان من شهد العقبة، فتوفي قبل الهجرة، وأوصى للنبي صلى الله عليه وسلم بثلاث ماله، وأمر بقبْره أن يستقبل به الكعبة.

وروى ابن زبالة عن أفلح بن سعيد وغيره من أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد العجوز ببني خطمة، وهي امرأة من بني سليم ثم من بني ظفر بن الحارث.

وسمّي في الآبار عن عبد الله بن الحارث أن النبي صلى الله عليه وسلم توسّأ من ذرع بئر بني خطمة التي بغناء مسجدهم، وصلى في مسجدهم.

وتقدم عن المطري أن الأظهر عنده أن منازلهم في شرقي مسجد الشمس بالعوالي، وأن الأظهر عندنا أنهم كانوا بقرب الماششونية؛ لقول ابن شبة في سيل بطحان: إنه يصبُّ في جفاف، ويمر فيه حتى يفضي إلى فضاء بني خطمة والأغرس، وقوله في مدين: إنه يلتقي هو وسيل بني قريظة بالمشارف فضاء بني خطمة، وسمّي أن ذلك عند تنور النورة الذي في شامي الماششونية، وقد رايت آثار القرية والآطام هناك.

مسجد
بني أمية
الأوسى

ومنها: مسجد بني أمية بن زيد من الأوس - روى ابن شبة عن عمر بن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد لهم في بني أمية من الأنصار، وكان في موضع السكابين الخربتان عند مال نهيك، وعن محمد بن عبد الرحمن بن وائل أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في تلك الخربة، وكان قريبا من مصلّى النبي صلى الله عليه وسلم، سلم هناك أجم، فانهدم، فسقط على السكان الذي فيه، فترك وطرح عليه التراب حتى صار كباء.

وروى ابن زبالة عن سعيد بن عمران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بني أمية في موضع السكباء عند مال نهيك بن أبي نهيك.

قال المطري: ودارهم شرق دار بني الحارث بن الخزرج، وفيهم كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه نازلا بامراته الأنصارية حين كان يتناوب النزول إلى المدينة هو وجاره من الأنصار .

قلت : الذي يتحرر مما سبق في المنازل أنهم كانوا قرب النواغم وبئر العهن ، وهي من أموالهم كما سنبينه في الآبار ، ويمر سيل مذينب من بيوتهم ثم يسقى الأموال . وبالخرة الشرقية قريبا من الموضع المذكور آثار قرية يمر بها سيل مذينب الظاهر أنها قريتهم . ويشهد لذلك أن ابن إسحاق ذكر في مقتل كعب ابن الأشرف - وكان في بني النضير - أن محمد بن مسلمة ومن معه انتهوا إلى حصنه في ليلة مغمرة فهتف به أبو نائلة ، ثم ذكر قتله ، وأن محمد بن مسلمة قال : فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد ، ثم على بني قريظة ، ثم على بُعَاث حتى أسندنا في حرة العريض .

ومنها : مسجد بني وائل من الأوس - روى ابن زبالة عن الحارث بن الفضل أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني وائل .

مسجد
بني وائل
الأوسي

وروى ابن شبة عن سامة بن عبد الله الخطمي أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بيت القعدة عند مسجد بني وائل ، وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني وائل بين العمودين المقدمين خلف الإمام بخمسة أذرع أو نحوها ، قال : وضربنا ثمم وتدًا .

قال المطري : والظاهر أن منازلهم كانت في شرق مسجد الشمس . قلت : الظاهر أنها بقاء ، وأن هذا المسجد هو المراد بقول ابن النجار : إن بالمدينة عدة مساجد خراب فيها الحارث وبقايا الأساطين وتنقض وتؤخذ حجارتها فيعمر بها الدور : أحدها مسجد بقاء قريب من مسجد الضرار فيه أسطوان قائمة ، انتهى ؛ فكأنه فيما بين زمان المطري وزمانه نقضت بقيته بحيث لم يدرك له المطري أثره .

ومنها : مسجد بني واقف من الأوس - روى ابن زبالة عن الحارث بن الفضل أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني واقف . قال المطري وتبعه

مسجد
بني واقف

من بعده حتى المجد : مسجدُ بنى واقف موضع بالعوالى ، كانت فيه منازل بنى واقف من الأوس رهط هلال بن أمية الواقفى أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فى تخلفهم عن غزوة تبوك ، ولا يعرف مكان دارهم اليوم ، إلا أنها بالعوالى قلت : لادار أعرف من دارهم ؛ لما تقدم فى المنازل من أنهم نزلوا عند مسجد الفضيل ، وابتنوا أطما كان موضعه فى قبلة مسجد الفضيل ، وهذا من فوائد الاعتناء بذكر المنازل ، والمطرى لم يعتن بها ، لكن العجب من المجد فإنه ذكر ما قدمناه فى المنازل ، ثم قلد المطرى عند ذكر المساجد .

ومنها : مسجد بنى أنيف ، تصغير أنف حى من بلى ، ويقال : إنهم بقية من العماليق كما تقدم فى منازل اليهود ، وبيننا فى منازل بنى عمرو بن عوف من الأوس أنهم كانوا خلفاء لهم . وروى ابن زبالة عن عاصم بن سويد عن أبيه قال : سمعت مشيخة بنى أنيف يقولون : صَلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يعود طلحة بن البراء قريبا من أطمهم ، قال عاصم : قال أبى : فأدركتهم يرشون ذلك المكان ويتعاهدونه ثم بنوه بعد ؛ فهو مسجد بنى أنيف بقاء .

قلت : طلحة بن البراء منهم . وقال المتكلمون فى أسماء الصحابة : إنه من بلى وكان حليفا للأوس ، وذلك هو السبب كما قدمناه فيما وقع للمطرى ومن تبعه من أن بنى أنيف بطن من الأوس ، قال : ودارهم بين بنى عمرو بن عوف بقاء وبين العصبية .

قلت : المعتمد ما قدمناه ، ودارهم بقاء عند المال المعروف اليوم بالقائم فى جهة قبلة مسجد قباء من جهة المغرب ، وعند بئر عذق كما سبق .

ومنها : مسجد دار سعد بن خيشمة بقاء - ذكر ابن زبالة - فيما نقله المطرى أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى المسجد الذى فى دار سعد بن خيشمة رضى الله تعالى عنه بقاء ، وجلس فيه ، قال المطرى : ويدت سعد بن خيشمة أحد الدور التى قبلى مسجد قباء ، يدخلها الناس إذا زاروا مسجد قباء ويصلون فيها .

مسجد
بنى أنيف

مسجد
دار سعد
ابن خيشمة

وهناك أيضاً دار كلثوم بن الهدم ، وفي تلك العرصة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلاً قبل خروجه إلى المدينة ، وكذلك أهله صلى الله عليه وسلم وأهل أبي بكر رضي الله تعالى عنه حين قدم بهم على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وهن : سودة ، وعائشة ، وأمها ، وأختها أسماء ، وهي حامل بعبد الله بن الزبير ، فولدته بقاء قبل نزولهم المدينة ، فكان أول مولود ولد من المهاجرين بالمدينة ، انتهى .

قلت : وفي قوله « إن علياً قدم ومعه من ذكر » نظر ؛ فقد قدمنا أن علياً رضي الله تعالى عنه لحق النبي صلى الله عليه وسلم بقاء ، وأنه صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة بعد ذلك فقدموا عليه بأهله ، وخرج معهم عبد الله ابن أبي بكر بعيل أبي بكر . وحديث أسماء في ولادتها عبد الله بن الزبير متفق عليه . وفيه أنه كان أول مولود ولد في الإسلام ، ففرحوا به ؛ لأنه كان قد قيل لهم : إن اليهود سخرتكم فلا يؤلد لكم . وفيه دلالة على تأخر ولادته عن مقدم النبي صلى الله عليه وسلم بمدة . وقال الذهبي تبعاً للواقدي : إنه ولد في سنة ثنتين ، وقال الحافظ ابن حجر : المعتمد أنه ولد في السنة الأولى ؛ للحديث المتفق عليه ، وسبق في سني الهجرة عن أبي حاتم ما يوافق .

وتقدم في ذكر مسجد بقاء أن دار سعد بن خيثمة هي التي تلي المسجد في قبلته .

ومنها : مسجد التوبة بالعصبة منازل بني جحججياً من بني عمرو بن عوف من الأوس - روى ابن زبالة عن أفلح بن سعد وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد التوبة بالعصبة ببئر هجيم ، قال المطري : وليست بمعروفة اليوم ، يعني البئر . والعصبة : في غربى مسجد بقاء فيها مزارع وآبار كثيرة .

قلت : يستفاد مما ذكرناه في المنازل من أنهم ابتنوا أطما يقال له الهجيم

عند المسجد الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم أن يثر هجيم مضافة للأطم
المذكور؛ فيطلب المسجد عند ذلك، وما علمت السبب في تسميته بمسجد التوبة،
ومنها: مسجد النور - قال ابن زبالة: حدثنا محمد بن فضالة عن أبيه أن مسجد النور
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في موضع مسجد النور. قال المطري: ولا يعلم
اليوم مكانه.

قلت: وما علمت سبب تسميته بذلك، ورأيت الأسدي في منسكه ذكر في
المساجد التي تزار في ناحية مسجد قباء مسجد النور، ثم ذكر في المساجد التي تزار
بناحية المدينة وما حولها مسجد النور أيضا، ولعل هذا المسجد هو الموضع الذي انتهى
إليه أسيد بن حضير وعباد بن بشر، وهما من بني عبد الأشهل، وكانا عند النبي
صلى الله عليه وسلم في ليلة ظمأ، فتحدثنا عنده حتى إذا خرجا أضاءت لهما عصا
أحدهما، فمشيا على ضوءها، فلما تفرقا بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما
عصاه فمشى في ضوءها، كما أخرجه البخاري؛ فيكون المسجد المذكور بدار بني
عبد الأشهل.

وروى أحمد برجال الصحيح حديث قتادة بن النعمان الظفري في إعطاء النبي
صلى الله عليه وسلم له العُرْجُون في ليلة مظلمة فأضاء له من بين يديه عشرة ومن
خلفه عشرة - الحديث.

وروى أبو نعيم عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعمر رضي الله تعالى عنه سَهِرا عند أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
يتحدثان عنده، حتى ذهب ثلث الليل، ثم خرجا وخرج أبو بكر رضي الله تعالى
عنه معهما في ليلة مظلمة ومع أحدهما عصا، فجعلت تضيء لهما وعليها نور حتى
بلغوا المنزل.

ومنها: مسجد عتيان بن مالك بأصل أُطْمِه المسمى بالمزدلف بدار بني سالم
ابن الخزرج - روى ابن زبالة عن إبراهيم بن عبد الله بن سعد أن عتيان بن مالك قال: بن مالك
مسجد عتيان

يارسول الله إن السيل يحول بيني وبين الصلاة في مسجد قومي ، قال : فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ، فهو المسجد الذي بأصل المزدلف . ورواه يحيى وقال : فهو المسجد الذي بأصل المزدلف أطم مالك بن العجلان . قلت : تقدّم في مسجد الجمعة أن المزدلف هو الأطم الخراب الذي في شامى مسجد الجمعة ، عند عدوة الوادى الشرقية ، وأن صلاته صلى الله عليه وسلم بدار عتبان في الصحيح ، وأنت الظاهر أن مسجد قومه الذي يحول السيل بينه وبينهم هو مسجدهم الأكبر الذي كان بمنازلهم بالحرة في عدوة الوادى الغربية .

وروى ابن شبة عن عتبان بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى في بيته سبحة الضحى ، فقاموا وراءه فصلوا .

وعن سعد بن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل في مسجد بنى سالم الأكبر . وروى ابن زبالة نحوه عن كعب بن عجرة .

ومنها : مسجد ميثب صدقة النبي صلى الله عليه وسلم - روى ابن زبالة وابن شبة ويحيى عن محمد بن عقبة بن أبي مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى في مسجد صدقته ميثب ، وسيأتى في الصدقات أن الميثب مجاور لبرقة وغيره من الصدقات الآتية .

مسجد ميثب
(صدقة النبي)

ومنها : مسجد المنارتين - روى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن حرام بن سعد بن محيصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد الذي بأصل المنارتين في طريق العقيق الكبير ، قال المطري : وهذا المسجد لا يعرف ، وهو بلى طريق العقيق كما ذكر .

مسجد
المنارتين

قلت : روى ابن زبالة عن عبد الله بن البولا أن أربعة رهط من المهاجرين الأولين كلهم يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ الْأَحْمَرِ الَّذِي بَيْنَ الْمَنَارَتَيْنِ ، فَإِذَا بِشَاةٍ مَيْتَةٍ قَدْ أَنْتَنَتْ ، فَأَمْسَكُوا عَلَى أَنْفِهِمْ ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترون كرامة هذه الشاة على صاحبها ؟ فقالوا :
يا رسول الله ما تكرم هذه على أحد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للدنيا
أهونُ على الله من هذه على صاحبها .

وعن إبراهيم بن محمد عن أبيه أن اسم الجبل الأنعم ، وهو الجبل الذي بنى
عليه المزني وجابر بن علي الزمعي ثم أورد قول الشاعر :
* لمن الديارُ غَشِيَتْهَا بالأنعم *
البيت الآتي في الأنعم .

قلت : وهو الجبل الأحمر الذي على يسارك إذا مررت من أوائل الرقيقين
قاصدا العقيق ؛ لانطباق الوصف عليه ، ولأنني خرجت إليه وصعدته فرأيت عليه
أساس البناء الذي أشار إليه ، وظهر بذلك أن المنارتين بقربه عند الرقيقين ؛ فهناك
موضع هذا المسجد .

ومنها : مسجد فيفاء الخبار - قال ابن إسحاق في غزوة العشيرة : إن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سَلَكَ على نقب بني دينار من بني النجار ، ثم على فيفاء
الخبار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها « ذات الساق » فصلى عندها
فثمَّ مسجد ، وصنع له طعام عندها ، فأكل منه وأكل الناسُ معه ، فوضع
آثاره في البرمة معلوم هناك ، واستسقى له من ماء يقال له المشيرب ، انتهى .
والمشيرب : تصغير مشرب ما بين جبال في شامي ذات الجيش .

قال المطري : وفيفاء الخبار غربي الجماوات ، وهي أي الجماوات الأجل التي
في غربي وادي العقيق ، وتوهم المجد أن الضمير في قوله « وهي » لفيفاء الخبار
فقال فيه : الصحيح أنه الأجل التي في غربي وادي العقيق ، انتهى .

وسياتي في رابع فصول الباب السابع عن الهجري أن جماء أم خالد في
مَهَبِّ الشمال من جماء تضارع ، وأن فيفاء الخبار من جماء أم خالد .

ونقل ابن سعد عن ابن عقبة أن فيفاء الخبار من وراء الجماء ، والخبار - بفتح

مسجد
فيفاء الخبار

المعجزة والموحدة كسحاب - ما لآن من الأرض واسترخى ، والأرض ذات الجحرة
والحفائر . والفيفاء - بقاءين بينهما مشاة تحتية - هي الصخرة الملساء .

قال المطري : وبهذا الموضع كانت ترى إبل الصدقة ولقاح رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وذكر قصة العرنيين التي قدمناها في محلها . وينبغي لمن تيسر له
الوصول إلى هذه الجهة أن يتبرك بالجمادات ؛ لما سيأتي فيها ، وكذلك جبل عظم
لما سيأتي فيه أيضاً .

ومنها : مسجد بين الجشجائة وبئر شداد ، بطرف وادي العقيق مما يلي البقيع ؛
لأن ابن زباله روى في سياق ذلك ، عن عمر بن القاسم وعبد الملك بن عمر قال :
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بين الجشجائة وبين بئر شداد في
تلة هناك ، قال : وكان عبد الله بن سعد بن ثابت قد اقتطع فريبا منه وبناه .
وقال الهجرى : الجشجائة صدقة عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وبها
قصور وميدان ، واقتضى كلامه أنها بين ثنية الشريد والخليفة .

مسجد بين
الجشجائة وبئر
شداد

وهذا آخر ما وقفنا عليه في مساجد المدينة التي لا تعلم بعينها في زماننا ،
وعدتها نحو الأربعين .

تتمة - تقدم ذكر بعض الدور التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ،
أو جلس ولم يتخذ محل لها ، ولندكر ما وقفنا عليه من بقيتها تنميا للفائدة :

الدور التي
صلى بها
الرسول

روى يحيى عن محمد بن طلحة بن طويل قال : سمعت غير واحد ممن أدركت
يقول : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاء مر بده ، وهو مر بد الحكم بن أبي
العاص ، فكان إذا خرج منه وقف عند بابه ، ودعا .

قال محمد بن طلحة : وأخبرني محمد بن جعفر عن محمد بن سليمان بن أبي حشمة
أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في دار الشفاء في البيت الذي على يمين من
دخل الدار .

دار الشفاء

قال محمد : وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار عمرو بن أمية الضمري دار الضمري
عن يمين من دخل الدار .

قال محمد : وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بُسْرَة بنت صفوان . دار بسرة
قلت : أما دار عمرو بن أمية الضمري فتقدم ما يبين جهتها في ذكر دار
السوق وغيرها .

وأما دار الشفاء فقال ابن شبة في دور بنى عدى بن كعب : واتخذت الشفاء
بنت عبد الله دارها التي في الحسكاكين الشارعة في الخط ، فخرجت طائفة من
أيدي ولدها فصارت للفضل ، وبقيت بأيديهم منها طائفة ، انتهى .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي الشفاء هذه وَيَقِيلُ عندها ،
وسبق في مصلى الأعياد أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى العيد عند دار الشفاء ؛
فالظاهر أنها كانت قرب سوق المدينة والمصلى . ودار بسرة لم أعرفها ، وكذا
المربد المذكور .

وتقدم في ذكر البلاط ما جاء في دار بنت الحارث .

وأخرج أبو داود والنسائي واللفظ له عن عبد الرحمن بن طارق عن أبيه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جاز مكانا من دار يعلى استقبل القبلة
ودعا ، ولم أعرف جهة دار يعلى .

وفي صحيح البخاري عن ثمامة عن أنس أن أم سليم كانت تَبْسُطُ لِنبي الله
صلى الله عليه وسلم نِطْعًا فَيَقِيلُ عندها على ذلك النِّطْعِ ، قال : فإذا قام صلى الله
عليه وسلم أخذت من عرقه وشعره فجمعتهم في قارورة ثم جمعتهم في سك ، وقال :
فلما حضرت أنس بن مالك الوفاة أوصى أن يجعل في حَنُوطه من ذلك السك ،
قال : فجعل في حَنُوطه .

وفيه أيضاً حديث أنس في تكثير الطعام ، ولفظه : قال أبو طلحة لأم سليم :
لقد سمعتُ صوتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع ،

فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خِماراً لها فلقت الخبز ببعضه، ثم دسسته تحت يدي، ولائتنى ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فذهبت به فوجدته في المسجد ومعه الناس، فقامت عليهم، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسلك أبو طلحة؟ فقلت: نعم، فقال لمن معه: قوموا، فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئنا إلى أبي طلحة، فأخبرته، قال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل وأبو طلحة معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلمي يا أم سليم ما عندك، فأنت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عُسْكَةً فأدَمَّتْهُ، ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول، ثم قال: ائذن لعشرة، الحديث، وفي آخره: فأكل القوم كلهم وشبِعُوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً.

قلت: وأم سليم والدة أنس وزوجة أبي طلحة، فذلك إما في دار أنس وإما في دار أبي طلحة، وكلاهما بجهة بني جديلة.

دار أم حرام وفي الصحيح من حديث أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل يوماً فأطعمته، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ يضحك، الحديث.

قلت: أم حرام هي خالة أنس أخت أم سليم المتقدم ذكرها، وزوجها عبادة ابن الصامت، كان ببني سالم؛ لأنه من بني نوفل إخوة بني سالم، ويدل لذلك قوله «إذا ذهب إلى قباء» فإن بني سالم بطريق قباء، فيندفع ما توهمه بعضهم من أن دار أم سليم وأم حرام واحدة لكونهما أختين، والله أعلم.

الفصل الخامس

في فضل مقابرها ، وإتيان النبي صلى الله عليه وسلم البقيع ، وسلامه على أهله واستغفاره لهم .

روينا في صحيح مسلم والنسائي عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : لما كان ليلى التي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها عندي انفلت فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجله وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع ، فلم يلبث إلا ربما ظن أنى قد رقدت ، فأخذ إزاره رؤيذا ، وانتعل رويدا ، وفتح الباب ، فخرج ، ثم أجافه رويدا ، وجعلت درعى فى رأسى ، واختمرت ، وتقنعت إزارى ، ثم انطلقت على أثره حتى جاء البقيع فأقام ، فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف فانحرفت ، فأسرع فأسرعت ، فهرول فهرولت ، فأحضر فأحضرت ، فسبقت ، فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال : مالك يا عائش حشيا رابية ، قلت : يا رسول الله باني أنت وأمي ، فأخبرته ، قال : فأنت السواد الذى رأيت أمامي ؟ قلت : نعم ، فلمهزنى فى صدرى لهزة أوجعتنى ، ثم قال : أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ قالت : مهما يكتم الناس يعلمه الله ، قال : نعم ، قال : فإن جبريل عليه السلام أتانى حين رأيت فنادانى فأخفاه منك فأخفيتك منك ، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك ، وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك ، وخشيت أن تستوحشيني ، فقال : إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم ، قال : قلت كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : قولى السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين .

وفى رواية له أيضا قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كانت ليلى منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ،

خروج النبي
ليلا إلى البقيع

وأناكم ما توعدون ، غدا مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر
لأهل بقيع الغرقد .

وخرجه في الموطأ بلفظ : قالت عائشة : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات ليلة ، فلبس ثيابه ، ثم خرج ، فأمرت جاريتي بريرة تتبعه ، فتبعته حتى
جاء البقيع ، فوقف في أدناه ما شاء الله أن يقف ، ثم انصرف فسبقته ، فأخبرتني ،
فلم أذكر شيئاً حتى أصبح ، ثم ذكرت له ، فقال : إني بعثت إلى أهل البقيع
لأصلي عليهم .

وفي رواية للنسائي : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا وإياكم متواعدون
غدا ومواكلون .

وفي رواية لابن شبة قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندي ،
فظننت أنه خرج إلى بعض نسائه ، فتبعته ، حتى جاء البقيع ، فسلم ودعا ثم
انصرف ، فسألته : أين كنت ؟ فقال : إني أمرت أن آتي أهل البقيع فأدعوهم .
وفي رواية له أنه قال في دعائه : اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتننا بعدهم .

وفي رواية للبيهقي قالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضع
عنه ثوبيه ، ثم لم يستتم أن قام فلبسهما ، فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنه يأتي
بعض صويحباتي ، فخرجت أتبعه ، فأدركته بالبقيع فبقيع الغرقد يستغفر المؤمنين
والمؤمنات والشهداء ، الحديث ، وفيه بيان أن ذلك كان في ليلة النصف من شعبان
وفي جامع الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مرّ بقبور أهل المدينة ، فأقبل عليهم بوجهه فقال : السلام
عليكم يا أهل القبور ، ويغفر الله لنا ولكم ، وأنتم لنا سلف ونحن بالأثر .

وروى ابن شبة عن أبي موهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
أهْبَنِي رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : إني أمرت أن
أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال :

السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهن لسكر ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ، ثم استغفر لهم طويلاً .

وقيل الحسن

وفي رواية : ثم استغفر لهم ، ثم قال : يا أبا موهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزان الدنيا والخلد فيها ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي ثم الجنة ، قلت : بأبي وأمي خذ مفاتيح خزان الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال : لا والله يا أبا موهبة ، لقد اخترت لقاء ربي ثم الجنة ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدى به وجعه الذي قبض فيه .

وعن عطاء بن يسار قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم البقيع فقال : السلام عليكم قوم موجلون ، أنا وأناكم ما توعدون ، اللهم اغفر لأهل بقيع العرقد .

وعن الحسن قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم على بقيع العرقد فقال : السلام عليكم يا أهل القبور ، ثلاثاً ، لو تعلمون ما الذي نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم ، قال : ثم التفت فقال : هؤلاء خير منكم ، قالوا : يا رسول الله إنما هم إخواننا آمنّا كما آمنوا ، وأنفقنا كما أنفقوا ، وجاهدنا كما جاهدوا ، وأتوا على أجلهم ونحن ننتظر ، فقال : إن هؤلاء قد مضوا لم يأكلوا من أجورهم شيئاً ، وقد أكلتم من أجوركم ، ولا أدري كيف تصنعون بعدى .

وروى ابن زبالة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددت أني قد رأيت إخواننا ، قالوا : يا رسول الله ألسنا إخوانك ؟ قال : أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، وأنا فرطهم على الحوض ، قالوا : يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك ؟ قال : أرايت لو كان لرجل خيل غرّ محجلة في خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى ، قال : فإنهم يأتون يوم القيامة غرّاً محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ، وليدأذن

رجالٌ عن حوضي كما يُذَادُ البعيرُ الضال ، فأناديهم : ألا هلم ، ألا هلم ،
ألا هلم ، فيقال : إنهم قد بدّلوا ، فأقول : فسُحِقا ، فسُحِقا ، فسُحِقا .

من فصل البقيع وروى الطبراني في الكبير ومحمد بن سنجر في مسنده وابن شبة في أخبار
المدينة من طريق نافع مولى حمزة عن أم قيس بنت محصن ، وهي أخت عكاشة ،
أنها خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى البقيع ، فقال : يحشر من هذه المقبرة
سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، وكأن وجوههم القمر ليلة البدر ، فقام
رجل فقال : يا رسول الله وأنا ، فقال : وأنت ، فقام آخر فقال : يا رسول الله
وأنا ، قال : سبقك بها عكاشة ، قال : قلت لها : لم لم يقل للآخر ؟ فقالت :
أراه كان منافقا .

وذكر الهيثمي تخریج الطبراني له وقال : في إسناده من لم أعرفه .

وذكره الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ، وسكت عليه .

ودخول سبعين ألفا الجنة بغير حساب من هذه الأمة من غير تقييد بالبقيع
موجود في الصحيح ، بل جاء أزيد منه .

فروى أحمد والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعا : سألتُ ربّي عز وجل ، فوعدني
أن يدخل الجنة من أمتي ، وذكر نحو رواية الصحيح ، وزاد : فاستزدت ربّي ،
فزادني مع كل ألف سبعين ألفا ، قال الحافظ ابن حجر : وسنده جيد ، قال :
وفي الباب عن أبي أيوب عند الطبراني ، وعن حذيفة عند أحمد ، وعن أنس عند
البزار ، وعن ثوبان عند أبي عاصم ، قال : فهذه طرق يقوى بعضها بعضها في
الزيادة المذكورة .

قال : وجاء في أحاديث أخرى أكثر من ذلك أيضاً ، فأخرج الترمذي
وحسنه والطبراني وابن حبان في صحيحه عن أبي أمامة رفعه : وعدّني ربّي أن
يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا مع كل ألف سبعين ألفا ، لا حساب عليهم
ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربّي .

وفي صحيح ابن حبان والطبراني بسند جيد نحوه .

ثم ذكر الحافظ ابن حجر ما يقتضى زيادة على ذلك أيضاً ، وأن مع كل واحد سبعين ألفاً ؛ فيتأيد بذلك رواية اختصاص البقيع بسبعين ألفاً لا حساب عليهم ؛ فالكرم عميم ، والجاه عظيم .

وروى ابن شبة عن ابن المنكدر رفعه مرسلًا : يُحْشَرُ من البقيع سبعين ألفاً على صورة القمر ليلة البدر ، كانوا لا يكتبون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون قال : وكان أبى يخبرنا أن مُصْعَبَ بن الزبير دخل المدينة من طريق البقيع ومعه ابن رأس الجالوت ، فسمعه مصعب وهو خلفه حين رأى المقبرة يقول : هى هى ، فدعاه مصعب فقال : ماذا تقول ؟ فقال : نجد هذه المقبرة فى التوراة بين حَرَّتَيْنِ محفوفة بالذخل اسمها كفتة ، يبعث الله منها سبعين ألفاً على صورة القمر . وسيأتى من رواية ابن زبالة عن المقبرى نحوه .

وروى ابن زبالة عن جابر مرفوعاً : يبعث من هذه المقبرة - واسمها كفتة - مائة ألفٍ كلهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يَسْتَرْقُونَ ، ولا يكتبون ، ولا يتداوون ، وعلى ربهم يتوكلون .

وعن المطلب بن حنطب رفعه مرسلًا : يحشر من مقبرة المدينة - يعنى البقيع - سبعون ألفاً لا حساب عليهم ، تضىء وجوههم غمدان الين .

وجاء ما يقتضى أن هذا العدد يبعث من مقبرة بنى سلامة ، وهى عند منزل بنى حَرَامٍ منهم ، فروى ابن شبة عن أبى سعيد المقبرى أن كعب الأخبار قال : نجد مكتوباً فى الكتاب أن مقبرة بغربى المدينة على حافة سيل يحشر منها سبعون ألفاً ليس عليهم حساب .

وقال أبو سعيد المقبرى لابنه سعيد : إن أنا هلكْتُ فادْفَنْنى فى مقبرة بنى سلامة التى سمعت من كعب ، وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مقبرة بغربى المدينة يعترضها السيل يسارا يبعث

منها كذا وكذا لا حساب عليهم ، قال عبد العزيز بن مبشر : لا أحفظ العدد .
وعن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، وعن ابن أبي عتيق وغيرها من
مَشِيخَة بنى حرام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَقْبَرَة ما بين سيلين
غربيمة يضيء نورها يوم القيامة ما بين السماء إلى الأرض .
وروى ابن زبالة عن سهل عن أبيه عن جده قال : دفن قتلى من قتلى أحد في
مقبرة بنى سلمة .

وعن يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة قال : أصيب أبو عمرة بن سكن يوم
أحد ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقل ، فكان أول مَنْ دفن في
مقبرة بنى حرام .

وفي الكبير للطبراني - وفيه يعقوب بن محمد الزهري فيه كلام كثير ، وقد
وثق - عن سعد بن خيثمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت كأن
رحمة وقعت بين بنى سالم وبنى بياضة ، قالوا : يا رسول الله أفننتقل إلى موضعها ،
قال : لا ، ولكن اقبروا فيها ، فقبروا فيها موتاهم .

قلت : وهذه المقبرة لا تعرف اليوم ، وكذا مقبرة بنى سلمة ، لكن تعرف
جهتهما مما تقدم في المنازل .

وتقدم في الحث على الموت بالمدينة حديث « ما على الأرض بقعة أحبُّ إلى
مَنْ أن يكون قبري بها منها » يعني المدينة ، يرجعها ثلاث مرات ، وحديث « مَنْ
استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فأني أشفع لمن يموت بها » .
وفي رواية « فأني أشهد لمن يموت بها » . وفي أخرى « فإنه من مات بها
كنت له شهيدا ، أو شفيعا ، يوم القيامة » .

ورواه رزين بنحوه ، وزاد « وإني أول من تنشق عنه الأرض ، ثم أبو بكر ،
ثم عمر ، ثم آتى البقيع فيحشرون ، ثم أنتظر أهل مكة فأحشر بين الحرمين » .
وفي رواية لابن النجار « فأخرج أنا وأبو بكر وعمر إلى البقيع فيبعثون ، ثم
يبعث أهل مكة » .

وروى ابن شبة وابن زباله عن ابن كعب القرظي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من دفن في مقبرتنا هذه شفّعنا له ، أو شهدنا له » وسيأتي في الفصل الأول من الباب الثامن قوله صلى الله عليه وسلم « ومن مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة » .

وروى ابن زباله عن أبي عبد الملك يرفعه قال : « مقبرتان يضيآن لأهل السماء كما تضيء الشمس والقمر لأهل الدنيا ، مقبرتنا بالبقيع بالمدينة ، ومقبرة بعسقلان » .

وعن كعب الأحبار قال : نجدها في التوراة كهيئة مخفوفة بالنخيل وموكل بها الملائكة ، كلما امتلات أخذوا بأطرافها فكفّوها في الجنة .
قال ابن النجار : يعني البقيع .

وعن المقبري قال : قدم مصعب بن الزبير حاجاً أو معتمراً ومعه ابن رأس الجالوت فدخل المدينة من نحو البقيع ، فلما مر بالمقبرة قال ابن رأس الجالوت : إنها لهى ، قال مصعب : وما هى ؟ قال : إنا نجد في كتاب الله صفة مقبرة في شرقها نخل وفي غربها بيوت يبعث منها سبعون ألفاً كلهم على صورة القمر ليلة البدر ، فطُفَّتْ مقابر الأرض فلم أر تلك الصفة حتى رأيت هذه المقبرة .

وعن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال : أقبل ابن رأس الجالوت فلما أشرف على البقيع قال : هذه التي نجدها في كتاب الله كفتة ، لأطوها ، قال : فأنصرف عنها إجلالاً لها .

وفي كتاب الحرة للواقدي عن عثمان بن صفوان قال : لما حجّ مصعب ابن الزبير ومعه ابن رأس الجالوت فأنتهى إلى حرة بنى عبد الأشهل وقف ثم قال : بهذه الحرة مقبرة ؟ فقالوا : نعم ، فقال : هل من وراء المقبرة حرة أخرى سوى هذه الحرة ؟ قالوا : نعم ، قال : إنا نجد في كتاب الله أنها تسمى كفتة .

قال الواقدي : يعني تسرع البلى — وكفيلة ، يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفاً كلهم وجوههم على صورة البدر ليلة أربع عشرة من الشهر .

وروى ابن زبالة عن خالد بن عوسجة : كنت أدعو ليلة إلى زاوية دار عقيل بن أبي طالب التي تلي باب الدار ، فربى جعفر بن محمد يريد العريض معه أهله ، فقال لي : أعنْ أثر وقفت ههنا ؟ قلت : لا ، قال : هذا موقف نبي الله صلى الله عليه وسلم بالليل إذا جاء يستغفر لأهل البقيع .

قلت : وسيأتى أن من دار عقيل الموضع المعروف بمشهده ، وأن به قبر ابن أخيه عبد الله بن جعفر على ما ذكره ابن النجار .

وقال عقب إيراد هذا الخبر : ودار عقيل الموضع الذي دُفن فيه ، قال الزين المراغى : فينبغي الدعاء فيه . قال : وقد أخبرني غير واحد أن الدعاء عند ذلك القبر مستجاب ، ولعل هذا سببه . أولأن عبد الله بن جعفر كان كثير الجود فأبقى الله قضاء الخواص عند قبره .

ومن غريب ما اتفق ما أخبرني به من أثق بدينه أنه دعا في هذا المكان ، وتذاكر مع رفيق له ذلك ، فرأى ورقة على الأرض مكتوبة ، فأخذها تفاؤلاً لذلك ، فإذا فيها (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) من جهتها ، انتهى .

قلت : ولم أقف في كلام المتقدمين على أصل في دفن عبد الله بن جعفر هناك ، بل اختلف في أنه دفن بالمدينة أو بالأبواء ، والمعتمد في سبب الاستجابة هناك ما ذكر أولاً ، ولهذا يستحب الدعاء في جميع الأماكن التي دعا بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وكلها مواطن إجابة .

الفصل السادس

في تعيين قبور بعض من دفن بالبقيع من الصحابة وأهل البيت ، والمشاهد
المعروفة بالمدينة .

بيان قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكونه عند قبر عثمان
ابن مظعون ، وما جاء فيهما ، ومن دفن عندهما .
قبر إبراهيم ابن
رسول الله

روى ابن شبة بإسناد جيد عن البراء رضى الله تعالى عنه قال : مات إبراهيم
— يعنى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو ابن ستة عشر شهرا ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادفنوه فى البقيع ، فإن له مرضعة فى الجنة
تم رضاعه .

وعن مكحول قال : توفى إبراهيم عليه السلام ، فلما وُضِعَ فى اللحد ورُصِفَ
عليه اللبنُ بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرجة من اللبن ، فأخذ بيده
مدرّة فناولها رجلا فقال : ضعها فى تلك الفرجة ، ثم قال : أما إنها لا تضر
ولا تنفع ، ولكنّها تقر بعين الحي .

وعن محمد بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم رَشَّ على قبر ابنه إبراهيم ،
وأنه أول من رش عليه ، قال : ولا أعلم إلا أنه قال : وحسّا عليه بيده من
التراب ، وقال حين فرغ من دفنه عند رأسه : السلام عليكم .

وروى الشافعى عن جعفر بن محمد عن أبيه مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم
رَشَّ قبر ابنه إبراهيم ووضع عليه الحصى .

وروى أبو داود فى المراسيل والبيهقى ورجاله ثقات مع إرساله نحوه عن محمد
ابن عمر بن على ، وزاد أنه أول قبر رش عليه ، وقال بعد فراغه : سلام عليكم ،
ولا أعلمه إلا قال : حسّا عليه بيده .

وروى ابن زبالة عن قدامة بن موسى أن أول من دفن رسول الله صلى

الله عليه وسلم بالبقيع عثمان بن مظعون ، فلما توفي ابنه إبراهيم قالوا : يا رسول الله أين نحفر له ؟ قال : عند فرطينا عثمان بن مظعون .

وروى أبو غسان عن أبي سلامة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : لما توفي إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يدفن عند عثمان بن مظعون ، فرغب الناس في البقيع ، وقطعوا الشجر ، فاخترت كل قبيلة ناحية ، فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها .

وروى ابن شبة عن قدامة بن موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادْفِنُوا عثمان بن مظعون بالبقيع يكون لنا سلفا ، فنعم السلف سلفنا عثمان ابن مظعون » .

وعنه أيضاً : كان البقيع غرقداً ، فلما هلك عثمان بن مظعون دفن بالبقيع ، وقطع الغرقد عنه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للموضع الذي دفن فيه عثمان : هذه الروحاء ، وذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد إلى زاوية دار عقيل اليمانية ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : هذه الروحاء ، للناحية الأخرى ، فذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد إلى أقصى البقيع يومئذ .

قلت : قد تلخص لنا أن دار عقيل كان بالمشهد المعروف به ، ودار محمد ابن زيد في شريقها وشرقي مشهد سيدنا إبراهيم ؛ فالروحاء الأولى ما بين المشهدين وتمتد إلى شرقي مشهد سيدنا إبراهيم ، والثانية في شرقي الأولى إلى أقصى البقيع ، والأولى هي المرادة بما سيأتي في قبر أسعد بن زُرارة من قول أبي غسان ، والروحاء : المقبرة التي وَسَطَ البقيع يحيط بها طرق مطرقة وسط البقيع ، وكأنها اشتهرت بذلك دون الثانية لاقتصاره على الأولى .

وروى ابن زبالة عن عبيد الله بن أبي رافع قال : بلغني أن إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات قالوا : يا رسول الله ، أين ندفن إبراهيم ؟

قال : عند فرطينا عثمان بن مظعون ، ودفن عثمان بن مظعون عند كتاب بن عمرو ابن عثمان .

وروى ابن شبة عن محمد بن عبد الله بن سعيد بن جبير قال : دفن إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزوراء موضع السقاية التي على يسار من سلك البقيع مُصْعِدًا إلى جنب دار محمد بن زيد بن علي .

وعن سعيد بن جبير قال : رأيت قبر إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم في الزوراء ؛ فيستفاد منه تسمية ذلك الموضع بالزوراء أيضا .

وروى ابن زباله عن سعيد بن محمد بن جبير أنه رأى قبر إبراهيم عند الزوراء .

قال عبد العزيز بن محمد : وهي الدار التي صارت لمحمد بن زيد بن علي . وعن جعفر بن محمد أن قبر إبراهيم وجاه دار سعيد بن عثمان التي يقال لها الزوراء بالبقيع ، فهدمت مرتفعاً عن الطريق .

وعن قدامة قال : دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم ابنه إلى جنب عثمان بن مظعون ، وقبره حذاء زاوية دار عقيل بن أبي طالب من ناحية دار محمد بن زيد

وروى ابن شبة عن سعد بن جبير بن مطعم قال : رأيت قبر عثمان بن مظعون قبر عثمان بن مظعون عند دار محمد بن علي بن الحنفية .

وعن محمد بن قدامة عن أبيه عن جده قال : لما دفن النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون أمرَ بِحَجَرٍ فوضع عند رأسه ، قال قدامة : فلما صنفق البقيع وجدنا ذلك الحجر ، فعرفنا أنه قبر عثمان بن مظعون . قال عبد العزيز بن عمران : وسمعتُ بعض الناس يقول : كان عند رأس عثمان بن مظعون ورجليه حجران .

وعن شيخ من بني مخزوم يدعى عمر قال : كان عثمان بن مظعون أول من مات من المهاجرين ، فقالوا : يا رسول الله أين تدفنه ؟ قال : بالبقيع ، قال : فليحد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفصل حجر من حجارة لحدّه ، فحمله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه عند رجله ، فلما ولي مروان بن الحكم المدينة مرَّ على ذلك الحجر فأمر به فرمى به ، وقال : والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به ، فأتته بنو أمية فقالوا : بئس ما صنعت ، عمدت إلى حجر وضعه النبي صلى الله عليه وسلم فرميت به ، بئس ما عملت ، فمرَّ به فليرد ، فقال : أما والله إذ رميتُ به فلا يرد .

وسمَّيْنِي فِي قَبْرِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ زُبَالَةَ أَنَّ مَرْوَانَ جَعَلَ ذَلِكَ الْحَجَرَ عَلَى قَبْرِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

وروى أبو داود بإسناد حسن عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، ولم يسم الصحابي الذي حدثه ، قال : لما مات عثمان بن مظعون أخرج بجنازته فدفن ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً أن يأتي بحجر فلم يستطع حمله ، فقام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسّر عن ذرائعه — قال المطلب : قال الذي يخبرني : كأنني أنظر إلى بياض ذراعي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حسر عنهما — ثم حمله فوضعه عند رأسه ، وقال : أتعلم به قبر أخي ، وأدفن إليه مَنْ مات من أهلي . ورواه ابن شبة وابن ماجه وابن عدي عن أنس والحاكم عن أبي رافع .

وروى ابن زبالة عن عائشة بنت قدامة قالت : كان القائمُ يقوم عند قبر عثمان ابن مظعون فيرى بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس دونه حجاب .

قبر رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قبر رقية
بقت الرسول

روى الطبراني رجال ثقات ، وفي بعضهم خلاف ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في حديث قال فيه : فلما ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الخُلق بسلفنا عثمان بن مظعون .

ورواه ابن شبة ، ولفظه : لما ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الخُلق بسلفنا الخير عثمان بن مظعون ، قال : وبكى النساء ، فجعل عمر يضربهن بسوطه ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده وقال :

دَعْنِ يَاعْمَرَ ، وَإِذَا كُنَّ وَنَعِيقَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ مَهْمَا يَكُنْ مِنَ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ فَمَنْ اللَّهُ وَمَنِ الرَّحْمَةُ ، وَمَهْمَا يَكُنْ مِنَ اللِّسَانِ وَمَنِ الْيَدِ فَمَنِ الشَّيْطَانِ ، قَالَ : فَبَكَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ الدَّمْعَ عَنْ عَيْنِهَا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ .

قال ابن شبة عقبه : وروى خلفه ، أى من حيث حضوره صلى الله عليه وسلم لذلك ، ثم روى عن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفَ عثمان بن عفان وأسامة بن زيد على رقية وهى وَجَعَة أيام بدر .

وعن الزهرى أن يزيد بن حارثة جاء بشيراً بوقعة بدر ، وعثمان قائم على قبر رقية يدفنها .

قلت : هذا هو المشهور ، والثابت فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم حضر دفن ابنته أم كلثوم زوجة عثمان رضى الله تعالى عنه ، فلعل الخبر الأول فيها ، أو فى زينب أختها ، فإنها توفيت سنة ثمان بالمدينة ، والظاهر أنهم جميعاً عند عثمان ابن مظعون ؛ لما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم « وأدفن إليه مَنْ مات من أهلى » ويحتمل أن بعضهن هى التى وجد قبرها عند حفر الدعامة التى أمام المصلى الشريف ، كما سيأتى فى قبر فاطمة الزهراء ، وحصل الوهم فى نسبته لفاطمة ، والله أعلم .

قبر فاطمة
بنت أسد

قبر فاطمة بنت أسد رضى الله تعالى عنها
أم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

روى ابن زبالة عن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب قال : دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وكانت مهاجرة مبيعة ، بالروحاء مقابل حمام أبى قטיפه ، قال : وثم قبر إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقبر عثمان بن مظعون .

وسياتى ما نقله ابن شبة فى قبر العباس من قول عبد العزيز بن عمران : إنه دفن عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم فى أول مقابر بنى هاشم التى فى دار عقيل .

قلت : وهذا كله صريح فى مخالفة ما عليه الناس اليوم من أن قبرها فى المشهد الآتى ذكره ، وأول من ذكر أنها بذلك المشهد ابن النجار ، وتبعه من بعده ، ولم أقف له على مستند فى ذلك ، والأثبت عندى ما هنا ؛ إذ بعد أن يدفنها النبى صلى الله عليه وسلم بذلك الموضع القاصى ويترك ما قرب من عثمان ابن مظعون وقد قال « وأدفن إليه من مات من أهلى » ، وأيضاً فلا يظهر أن الموضع المعروف بمشهدها من البقيع ؛ لأن مشهد عثمان كما سياتى ليس من البقيع ، وهذا المشهد بطرف زقاق فى شاميه إلى المشرق .

فإن قيل : النخيل التى تقابل هذا المشهد قال ابن النجار : إنها تعرف بالحمام ، وقد قال فى الرواية الأولى « مقابل حمام أبى قطيفة » .

قلت : الظاهر أن ذلك منشأ الوهم فى ذلك ، وبقيّة الرواية المذكورة .

وما نقله ابن شبة يدفع ذلك ويبين أن المراد موضع كان يعرف بحمام أبى قطيفة بجهة مشهد سيدنا إبراهيم ، وكان ابن النجار لم يقف إلا على صدر الرواية الأولى ؛ فإنه قال : قبر فاطمة بنت أسد وعليها قبة فى آخر البقيع ، ثم ذكر صدر الرواية الأولى إلى قوله : مقابل حمام أبى قطيفة ، ثم قال : واليوم يقابلها نخل يعرف بالحمام ، انتهى .

على أن النخيل التى بقرب هذا المشهد هى التى تقابله من جهة المشرق والشام ، وإنما يعرف قديماً وحديثاً بالخضارى ، وإنما يعرف بالحمام النخل الذى فى شامى مشهد سيدنا إبراهيم عند الكومة ، وهو بعيد من المشهد المعروف بفاطمة ، وإن كان فى جهة مقابله من المغرب ، ومن تأمل ذلك علم أن التعريف به لما

هو في جهة مشهد سيدنا إبراهيم أقرب ، فهو شاهد لنا ، وأيضاً فاسم الحمام مذكور
لمواضع بالمدينة ، ولهذا أضافه إلى أبي قطيفة .
وقد روى ابن زبالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بموضع حمام عبيد الله
ابن حسين الذي اشترى محمد بن زيد ، فقدمه إلى البقيع قليلاً ، فقال : نعم
موضع الحمام .

ونقل ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران ما حصله أن النبي صلى الله عليه
وسلم لم ينزل في قبر أحد قط إلا خمسة قبور ، ثلاث نسوة ورجلين ، منها قبر
خديجة بمكة ، وأربع بالمدينة : قبر ابن خديجة كان في حجر النبي صلى الله عليه
وسلم وتربته ، وهو على قارعة الطريق بين زقاق عبد الدار وبين البقيع الذي
يتدفن فيه بنو هاشم ، وقبر عبد الله المزني الذي يقال له ذو البجادين ، وقبر أم رومان أم
عائشة بنت أبي بكر ، وقبر فاطمة بنت أسد أم علي ، فأما ذو البجادين فإن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما أقبل مهاجراً وسلك ثنية الغابر وعُمرت عليه الطريق
وغلظت ، فأبصره ذو البجادين فقال لأبيه : دَعْنِي أدْهَم على الطريق ، فأبى ،
فنزعه ثيابه وتركه عرياناً ، فأتخذه عبد الله بجادا من شعر فطرحة على عورتته ، ثم
عدا نحوهم ، فأخذ بزمام راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر قدومه مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وموته ودفنه .

ثم قال : وأما قبر فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى
عنهما فإن عبد العزيز حدث ، وذكر سنده إلى محمد بن علي بن أبي طالب رضي
الله تعالى عنهما ، قال : لما استقر بفاطمة وعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : إذا توفيت فأعلموني ، فلما توفيت خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فأمر بقبورها فحفروا في موضع المسجد الذي يقال له اليوم قبر فاطمة ، ثم لحدَّ
لها لحداً ، ونم يضرح لها ضريحاً ، فلما فرغ منه نزل فاضطجع في اللحد ، وقرأ فيه
القرآن ، ثم نزع قميصه فأمر أن تكفن فيه ، ثم صلى عليها عند قبرها ، فكبر تسعاً

وقال : ما أعنى أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد ، قيل : يا رسول الله ولا القاسم ؟ قال : ولا إبراهيم ، وكان إبراهيم أصغرهما . قلت : وقوله في موضع المسجد إلى آخره يقتضى أنه كان على قبرها مسجد يعرف به في ذلك الزمان .

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه آت فقال : يا رسول الله ، إن أم على وجعفر وعقيل قد ماتت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى أمي ، فقمنا وكان على رؤوس من معه الطير ، فلما انتهينا إلى الباب نزع قميصه فقال : إذا غسلتموها فأشعروها إياه تحت أكتفائها ، فلما خرجوا بها جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة يحمل ، ومرة يتقدم ، ومرة يتأخر ، حتى انتهينا إلى القبر فتممك في اللحد ثم خرج فقال : أدخلوها باسم الله وعلى اسم الله ، فلما أن دفنوها قام قائماً فقال : جزاك الله من أم وربيبه خيراً ، فنعم الأم ونعم الربيبه كنت لى ، قال : فقلنا له أوقيل له : يا رسول الله لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما قط ، قال : ما هو ؟ قلنا : نزعك قميصك وتممك في اللحد ، قال : أما قميصي فأريد أن لا تمسها النار أبداً إن شاء الله تعالى ، وأما تممكي في اللحد فأردت أن يوسّع الله عليها في قبرها .

وروى بن عبد البر عن ابن عباس قال : لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب ألبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ، واضطجع معها في قبرها ، فقالوا : ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه ! فقال : إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرأى منها ، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حُلل الجنة ، واضطجعت معها ليمهون عليها . وفي الكبير والأوسط بسند فيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، عن أنس بن مالك قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس عند رأسها ،

فقال : رحمتك الله يا أمي بعد أمي ، وذكر ثناءه عليها وتكفينها بئرده ، قال :
ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن
الخطاب وغلاما أسود يحفرون ، فحفروا قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاضطجع فيه ، ثم قال : الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت ،
أغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من
قبلي ، فإنك أرحم الراحمين ، وكبر عليها أربعا ، فأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر
الصديق رضي الله تعالى عنهم .

قبر عبد الرحمن
ابن عوف

قبر عبد الرحمن بن عوف

روى ابن زبالة عن حميد بن عبد الرحمن قال : أرسلت عائشة إلى عبد الرحمن
ابن عوف حين نزل به الموت أن هلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى
أخويك ، فقال : ما كنت مضيقاً عليك بيتك ، إني كنت عاهدت ابن مظعون
أينا مات دفن إلى جانب صاحبه ، قالت : فمروا به علي ، فمروا به عليها فصلت عليه .
وروى ابن شبة عن حفص بن عثمان بن عبد الرحمن نحوه ،

وعن عبد الواحد بن محمد عن عبد الرحمن بن عوف أنه أوصى إن هلك بالمدينة
أن يدفن إلى عثمان بن مظعون ، فلما هلك حفر له عند زاوية دار عقيل الشرقية ،
فدفن هناك ، عليه ثوب حبرة من العصب ، أتمارى أن يكون فيه لحمة ذهب أولا .

قبر سعد بن
أبي وقاص

قبر سعد بن أبي وقاص

روى ابن شبة عن ابن دهقان قال : دعاني سعد بن أبي وقاص فخرجت معه
إلى البقيع ، وخرج بأوتاد ، حتى إذا جاء من موضع زاوية عقيل الشرقية الشامية
أمرني فحفر ، حتى إذا بلغت باطن الأرض ضرب فيها الأوتاد ثم قال : إن هلك
فادلهم على هذا الموضع يدفنونى به ، فلما هلك قلت ذلك لولده ، فخرجنا حتى
دللتهم على ذلك الموضع ، فوجدوا الأوتاد ، فحفروا له هناك ودفنوه .

قبر عبد الله
ابن مسعود

قبر عبد الله بن مسعود
روى ابن سعد في طبقاته عن أبي عبيدة بن عبد الله أن ابن مسعود قال :
اذْفَنُونِي عِنْدَ قَبْرِ عَثْمَانَ بْنِ مِظْعُونَ .
وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : مات عبد الله بن مسعود بالمدينة ،
ودفن بالقيع ، سنة اثنتين وثلاثين .

قبر خنيس
ابن حذافة

قبر خنيس بن حذافة السهمي
كان زوج حفصة بنت عمر قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو
من المهاجرين الأولين أصحاب الهجرة ، نَالَتهُ جراحة يوم أحد ، فمات بسببها
بالمدينة .

قال أبو عبد الله محمد بن يوسف الزرندی المدني في سيرته : توفي في السنة
الثالثة من الهجرة ، ودفن عند عثمان بن مظعون ، قال : وكان عثمان بن مظعون
توفي قبله في شعبان من السنة المذكورة ، ونقل ابن الجوزي أن عثمان توفي في
السنة الثانية ، اه . وما قدمناه من موت خنيس بعد أحد من جراحة نالته يوم
أحد هو ما جزم به ابن عبد البر ، وتبعه عليه الذهبي ، ويشكل عليه ما سبق في
الفصل الثاني عشر من الباب الثالث من أن أحدا كانت في شوال سنة ثلاث
باتفاق الجمهور ، وقيل : أربع ، وأنه صلى الله عليه وسلم تزوج بحفصة بنت عمر في
شعبان من السنة الثالثة على الأصح ، وقيل : في الثانية ؛ فلا يصح ما جزم به
ابن عبد البر ، إلا أن يكون خنيس قد طَلَّقَهَا كما أشار إليه الذهبي ، لكن قد وهم
الحفاظ ابن عبد البر في قوله « إن خنيساً استشهد بأحد بسبب تلك الجراحة »
وإنما توفي قبلها بالمدينة ، قال ابن سيد الناس : المعروف أنه مات بالمدينة على
رأس خمسة وعشرين شهرا ، وذلك بعد رجوعه من بدر ، اه .

قبر أسعد
ابن زرارة

قبر أسعد بن زُرارة أحد بني غنم بن مالك بن النجار
شهد العقبتين كما تقدم ، وتوفي في الأولى من الهجرة والمسجد يبنى .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : وأخبرني بعض أصحابنا قال : لم أزل أسمع أن قبر عثمان بن مظعون وأسعد بن زرارة بالروحاء من البقيع ، والروحاء : المقبرة التي بوسط البقيع يحيط بها طرق مطرقة وسط البقيع .

قلت : فينبغي أن يسلم على هؤلاء كلهم عند زيارة مشهد سيدنا إبراهيم بالبقيع بيان قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبنيتها ، ومن عرفت جهة قبره بالبقيع من بني هاشم ، وأمها المؤمنين ، وغيرهم .

قبر فاطمة بنت
الرسول

روى ابن شبة عن محمد بن علي بن عمر أنه كان يقول : إن قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زاوية دار عقيل اليمانية الشارعة في البقيع . وعن منبوذ بن حويطب والفضل بن أبي رافع أن قبرها وجاه زقاق نبيه ، وأنه إلى زاوية دار عقيل أقرب .

وعن عمر بن علي بن حسين بن علي أن قبرها حذو الزقاق الذي يلي زاوية دار عقيل ، قال غسان بن معاوية بن أبي مزرد : إنه ذرع من حيث أشار له عمر بن علي فوجده خمسة عشر ذراعا إلى القناة .

وعن عمر بن عبد الله مولى عفرة أن قبرها حذو زاوية دار عقيل مما يلي دار نبيه .

وعن عبد الله بن أبي رافع أن قبرها مخرج الزقاق الذي بين دار عقيل ودار أبي نبيه .

وذكر إسماعيل راويه أنه ذرع الموضع الذي ذكر له أبوه فوجد بين القبر وبين القناة التي في دار عقيل ثلاثة وعشرين ذراعا ، وبين القناة الأخرى سبعة وثلاثين ذراعا .

قال أبو غسان : وأخبرني مخبر ثقة قال : يقال : إن المسجد الذي يصلي إلى جنبه شرقاً على جناز الصبيان كان خيمة لامرأة سوداء يقال لها رقية ، جعلها هناك حسين بن علي تبصر قبر فاطمة ، وكان لا يعرف قبر فاطمة غيرها .

قال : وأخبرني عبد العزيز بن عمران عن حماد بن عيسى عن جعفر بن محمد

عن أبيه قال : دفن علي فاطمة ليلا في منزلها الذي دخل في المسجد ، فقبرها عند باب المسجد المواجه دار أسماء بنت حسين بن عبد الله ، أي وهو الباب الذي كان في شامى باب النساء في المشرق كما تقدم .

قال ابن شبة عقبه : وأظن هذا الحديث غلطا ؛ لأن الثبت جاء في غيره . ثم روى بسند جيد عن فائد مولى عبادل ، وهو صدوق ، أن عبيد الله بن علي أخبره عن ماضى من أهل بيته أن الحسن بن علي قال : ادفنوني في المقبرة إلى جنب أمي ، فدفن في المقبرة إلى جنب فاطمة مَواجه الخوخة التي في دار نبيه بن وهب ، طريق الناس بين قبرها وبين خوخة نبيه ، أظن الطريق سبعة أذرع . قال فائد : وقال لي منقذ الحفار : إن في المقبرة قبرين مطابقين بالحجارة ، قبر حسن بن علي وقبر عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ، فنحن لا نحركها ، فلما كان زمن حسن بن زيد وهو أمير على المدينة استعدى بنو محمد بن عمر بن علي ابن أبي طالب على آل عقيل في قناتهم التي في دورهم الخارجية في المقبرة ، وقالوا : إن فاطمة رضى الله تعالى عنها عند هذه القناة ، قاخصموا إلى حسن ، فدعاني حسن فسألني فأخبرته عن عبيد الله بن أبي رافع ومن بقي من أهلي وعن حسن ابن علي وقوله « ادفنوني إلى جنب أمي » ثم أخبرته عن منقذ الحفار وعن قبر الحسن أنه رآه مطابقا ، فقال حسن بن زيد : أنا على ما تقول ، وأقر قناة آل عقيل .

ثم ذكر ابن شبة أن أبا غسان حدثه عن عبد الله بن إبراهيم بن عبيد الله أن جعفر بن محمد كان يقول : قبر فاطمة في بيتها الذي أدخله عمر بن عبد العزيز في المسجد ، قال : ووجدت كتابا كتب عن أبي غسان فيه أن عبد العزيز بن عمران كان يقول : إنها دفنت في بيتها ، وصنع بها ما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنها دفنت في موضع فراشها ، ويحتج بأنها دفنت ليلا ، ولم يعلم بها كثير من الناس .

ثم أشار ابن شبة إلى رد ذلك بما حدثه أبو عاصم النبيل قال : حدثنا كههمس ابن الحسن قال : حدثني يزيد قال : كمدت فاطمة رضي الله تعالى عنها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم سبعين بين يوم وليلة ، فقالت : إني لأستحي من جلالته جسمي إذا أخرجت على الرجال غدا ، وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء فقالت أسماء بنت عميس أو أم سلمة : إني رأيت شيئا يصنع بالحبيشة ، فصنعت النعش ، فاتخذ بعد ذلك سنة .

وسأني من رواية ابن عبد البر ما يؤيده .

وروى ابن شبة عن سلمى زوج أبي رافع قالت : اشتكت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت يوما كأُمِّ ثعلبة ما كانت تكون ، وخرج على فقالت : يا أمتاه اسبكي لي غسلا ، ثم قامت فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ثم قالت : هات ثيابي الجدد ، فأعطتها إياها ، فلبستها ثم جاءت إلى البيت الذي كانت فيه فقالت : قدّمي الفراش إلى وسط البيت ، فقدّمته فاضطجعت واستقبلت القبلة ووضعت يدها تحت خدها ثم قالت : يا أمتاه إني مقبوضة الآن ، وإني قد اغتسلت فلا يكشفني أحد ، قال : فقبضت مكانها ، وجاء علي فأخبرته فقال : لا جرم والله لا يكشفها أحد ، فحملها بغسلها ذلك فدفنها .

ثم روى ابن شبة عقبه عن أسماء بنت عميس قالت : غسلت أنا وعلى ابن أبي طالب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى البيهقي بإسناد حسن عن أسماء بنت عميس أن فاطمة أوصت أن تغسلها هي وعلى ، فغسلاها .

ثم تعقبه بأن هذا فيه نظر ؛ لأن أسماء في هذا الوقت كانت عند أبي بكر الصديق ، وقد ثبت أن أبا بكر لم يعلم بوفاة فاطمة ؛ لما في الصحيح أن عليا دفنها ليلا ، ولم يعلم أبا بكر ، فكيف يمكن أن تغسلها زوجته وهو لا يعلم ؟ وأجاب في الخلافات باحتمال أن أبا بكر علم بذلك ، وأحب أن لا يرد غرض

على في كتمانها منه ، قال الحافظ ابن حجر : ويمكن أن يجمع بأن أبا بكر علم بذلك وظن أن عليا سيدعوه لحضور دفنها ليلا ، وظن على أنه يحضر من غير استدعاء منه .

وقد احتج بحديث بنت عميس هذا أحمد وابن المنذر ، وفي جزمهما بذلك دليل على صحته عندهما فيبطل ما روى أنها غسلت نفسها وأوصت أن لا يعاد غسلها وقد رواه أحمد ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ، وأخس القول في ابن إسحاق راويه .

وتولى رد ذلك عليه ابن عبد الهادي في التنقيح .
قلت : وعلى كل تقدير فحديث بنت عميس أرجح ؛ للأدلة الدالة على وجوب غسل الميت مطلقا ، وليس في حديث الصحيح أن أبا بكر ما علم بوفاة فاطمة ، بل أن عليا دفنها ولم يعلمه .

وقد روى ابن عبد البر خبر أسماء بآتم من ذلك ، وفيه علم أبي بكر بموتها ، وذلك من طريق عون بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أمه أم جعفر بنت محمد ابن جعفر .

وعن عمارة بن المهاجر عن أم جعفر أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لأسماء بنت عميس : يا أسماء ، إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها ، قالت أسماء : يا ابنة رسول الله ألا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة ؟ فدعت بجرائد رطبة فغنتها ثم طرحت عليها ثوبا ، فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجمله ؟ تُعرفُ به المرأة من الرجل ، فإذا أنامتُ فاغسليني أنت وعلى ، ولا تدخليني على أحدا ، فلما توفيت جاءت عائشة تدخل فقالت أسماء : لا تدخليني ، فشكت إلى أبي بكر قالت : إن هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جعلت لها مثل هودج العروس فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال : يا أسماء ، ما حملك على أن منعت أزواج

النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلن على بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت لها مثل هودج العروس ؟ فقالت : أمرتني أن لا يدخل عليهما أحد ، وأريتها هذا الذي صنعت وهي حية فأمرتني أن أصنع ذلك لها ، قال أبو بكر : فاصنعي ما أمرتك ، ثم انصرف ، وغسلها على وأسماء رضى الله تعالى عنهما .

وقد خرج الدولابي معنى ذلك مختصراً ، وفيه أمها لما أرثها النعش تبسمت ، وما رويت متبسمه - يعنى بعد النبي صلى الله عليه وسلم - إلا يومئذ .

وخرج أيضاً أن الوصية كانت إلى عليّ بأن يغسلها هو وأسماء ، ويجوز أن تكون أوصت إلى كل منهما .

قال ابن عبد البر : فاطمة أول من غطى نعشها من النساء في الإسلام على الصفة المذكورة في الخبر المتقدم ، ثم بعدها زينب بنت جحش صنع بها ذلك . وتوفيت فاطمة يوم الثلاثاء لثلاث خلت من شهر رمضان سنة إحدى عشرة ، وكانت أشارت على زوجها أن يدفنها ليلاً .

قلت : لعلمها أرادت بذلك المبالغة في التستر ، وهو السبب في عدم إعلام أبي بكر رضى الله تعالى عنه . ويتأيد بذلك رواية دفنها بالبقيع ، وهو مقتضى صنيع ابن زبالة في إيراد الروايات الدالة على ذلك .

وقال المسعودى في مروج الذهب : إن أبا عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي رضى الله تعالى عنهم توفي سنة ثمان وأربعين ومائة ، ودفن بالبقيع مع أبيه وجده ، قال : وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رُخامة عليها مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله مبيد الأمم ، ومحيي الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين ، وقبر الحسن بن علي ، وعلي بن الحسين بن علي ، وقبر محمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، عليهم السلام ، انتهى . وذكر ما يقتضى أنه حين ذكر هذا كان في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

المتوكل يأمر
بهدم قبر
الحسين بن علي

وإنما أوجب عدم العلم بعين قبر فاطمة رضي الله تعالى عنها وغيرها من السلف ما كانوا عليه من عدم البناء على القبور وتخصيصها ، مع ما عرض لأهل البيت رضي الله تعالى عنهم من مُعاداة الولاة قديماً وحديثاً ، حتى ذكر المسعودي أن المتوكل أمر في سنة ست وثلاثين ومائتين المعروف بالزبرج بالمشير إلى قبر الحسين ابن علي رضي الله تعالى عنهما ومحو أرضه وهدمه وإزالة أثره ، وأن يعاقب مَنْ وجد به ، فبذل الرغائب لمن يقدم على ذلك ، فكل خشى عقوبة الله فأحجم ، فتناول الزبرج مسحاة وهدم أعالي قبر الحسين ، فحينئذ أقدم القعلة على العمل فيه ، وانتهوا إلى الحفيرة وموضع اللحد فلم يجدوا فيه أثر رمة ولا غيرها ، ولم يزل الأمر على ذلك حتى استخلف المنتصر ، انتهى .

ويتلخص مما تقدم أن المعتمد أن قبرها بالبقيع عند قبر الحسن ، وقيل : في بيتها ، ويتفرع عليه قولان : أحدهما ما تقدم عن عبد العزيز من أن محله من المسجد ما يقابل الباب الذي يواجه دار أسماء بنت حسين ، يعني شامى باب النساء وهو بعيد جداً ، وثانيهما حكاه العز بن جماعة وقال : إنه أظهر الأقوال ، وهو أنه في بيتها ، وهو مكان الحراب الخشب الذي داخل مقصورة الحجرة الشريفة من خلفها ، وقد رأيت خُدَّام الحجرة يجتنبون دَوْس ما بين الحراب المذكور وبين الموضع المزور من الحجرة الشريفة الشبيهة بالثلث ، ويزعمون أنه قبر فاطمة رضي الله تعالى عنها .

وقد سبق في الفصل التاسع والعشرين من الباب الرابع أنهم لما أسسوا دعائم القبة الكبرى المحاذية لأعلى الحجرة الشريفة أسسوا أسطوانة هناك زادوها عند الصفحة الشرقية من الموضع الشبيهة بالثلث خلف الحجرة ، فوجدوا قبراً بدا لحدّه وبعضُ عظامه ، وحصل للناس في ذلك اليوم أمر عظيم ومشقة زائدة فيما أخبرني به شيخ الخدام السيفي قائم وغيره .

وحكى ابن جماعة في قبر فاطمة رضى الله تعالى عنها قولين آخرين :
أحدهما : أنه الصندوق الذى أمام مصلى الإمام بالروضة الشريفة ، قال :
وهو بعيد جداً .

قلت : لم أفه له على أصل ، ولعله اشتبه على قائله بالحراب المتقدم ذكره
في بيتها ؛ لأن عنده مصلى شبه حوض كالمصلى بالروضة ، وأمامه صندوق هو
الحراب المذكور ، لكن سبق في الفصل الثالث من الباب الرابع أنهم لما أسسوا
في محل الصندوق المحترق الدعامة التى بها محراب المصلى النبوى ، وهو مصلى
الإمام ، وجدوا هناك قبراً بدا لحده مسدوداً باللبن أخرجوا منه بعض العظام ،
وأن الأقدمين حرفوا أساس الأسطوانة التى عنده عنه ، فالله أعلم .
وثانيهما : أنه بالمسجد المنسوب إليها بالبقيع ، يعنى الذى بالقرب من قبة
العباس رضى الله تعالى عنه من جهة القبلة جانحاً إلى المشرق .

وقد ذكر الغزالي هذا المسجد في زيارة البقيع فقال : ويستحب له أن يخرج
كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر
القبور التى تزار ، وقال عند ذكر قبر الحسن : ويصلى في مسجد فاطمة ، وذكره
أيضاً غيره .

وقال : إنه المعروف ببيت الحزن ؛ لأن فاطمة رضى الله تعالى عنها أقامت به
أيام حزنها على أبيها صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر دفنها به ، والقول بذلك من
فروع القول بدفنها بالبقيع ، لكنه بعيد من الروايات السابقة لبعده جداً من دار
عقيل وعن قبر الحسن .

وقال الحب الطبرى في « ذخائر العقبى » ، في فضائل ذوى القربى : « أخبرنى
أخ لى في الله أن الشيخ أبا العباس المرسى رحمه الله تعالى كان إذا زار البقيع وقف
أمام قبة العباس وسلم على فاطمة عليها السلام ، ويذكر أنه كشف له عن
قبرها هناك .

قال الطبري : فلم أزل أعتقد ذلك لاعتقادي صدق الشيخ ، حتى وقفت على ما ذكره ابن عبد البر من أن الحسن لما توفي دفن إلى جنب أمه فاطمة رضي الله تعالى عنها ، فازددت يقيناً .

قلت : وهو أرجح الأقوال ، والله أعلم .

قبر ابنها الحسن بن علي ، ومن معه

قبر الحسن
ابن علي

وما روي من نقل بدن علي ورأس الحسين إلى البقيع رضي الله تعالى عنهم وروى ابن شبة عن فائد مولى عبادل أن عبيد الله بن علي أخبره عن مضي من أهل بيته أن حسن بن علي رضي الله تعالى عنهما أصابه بطن ، فلما حزن به وعرف من نفسه الموت أرسل إلى عائشة رضي الله تعالى عنهما أن تأذن له أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له : نعم ، ما كان بقي إلا موضع قبر واحد ، فلما سمعت بذلك بنو أمية استلأمواهم وبنو هاشم للقتال ، وقالت بنو أمية : والله لا يدفن فيه أبداً ، فبلغ ذلك حسن بن علي رضي الله تعالى عنهما ، فأرسل إلى أهله أما إذا كان هذا فلا حاجة لي به ، ادفنوني في المقبرة إلى جنب أمي فاطمة ، فدفن في المقبرة إلى جنب فاطمة رضي الله تعالى عنها .

وعن نوفل بن الفرات نحوه ، وفيه أن الحسن قال للحسين : لعل القوم أن يمنعوك إذا أردت ذلك كما منعنا صاحبهم عثمان بن عفان ، ومروان بن الحكم يومئذ أمير على المدينة ، وقد كانوا أرادوا دفن عثمان في البيت فمنعوه ، فإن فعلوا فلا تلاحهم في ذلك وادفني في بقيع الغرقد ، ثم ذكر منع مروان ، وأن الحسين لما بلغه ذلك استلأم في الحديد واستلأم مروان في الحديد أيضاً ، فأتى رجل حسيناً فقال : يا أبا عبد الله ، أتعصى أخاك في نفسه قبل أن تدفنه ؟ قال : فوضع سلاحه ، ودفنه في بقيع الغرقد .

وفي رواية لابن عبد البر أنهم لما استلأوا في السلاح بلغ ذلك أبا هريرة
رضي الله تعالى عنه ، فقال : والله ما هو إلا ظلم ، يمنع الحسن أن يدفن مع أبيه ؟
والله إنه لابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلق إلى الحسين وكلمه وناشده
الله وقال له : أليس قد قال أخوك إن خفت أن يكون قتال فردوني إلى مقبرة
المسلمين ؟ فلم يزل به حتى فعل .

وذكر ابن النجار أن مع الحسن رضي الله تعالى عنه في قبره ابن أخيه زين
العابدين علي بن الحسين ، وأبا جعفر الباقر محمد بن زين العابدين ، وجعفر
الصادق ابن الباقر ، رضوان الله عليهم أجمعين . وذكر الغزالي نحوه .

وروى الزبير بن بكار من طريق شريك بن عبد الله عن أبي روق قال :
حمل الحسن بدن علي بن أبي طالب فدفنه بالقيع .

قلت : وقد اتفق في سنة بضع وستين وثمانمائة حفر قبر بمشهد الحسن والعباس
أمام قبلته ، فوجدوا فسقية فيها تابوت من خشب مُغشَّى بشيء أحمر يشبه اللباد
الأحمر مسمر بمسامير لها بريق وبياض لم تصدأ ، وتعجب الناس لكونها لم تصدأ
ولعدم بلاء ذلك الغشاء .

وأخبرني جمع كثير ممن شاهد ذلك ، وأن علي مدخل تلك الفسقية أحجاراً
من المسن ، فلعله بدن علي رضي الله تعالى عنه .

وذكر محمد بن سعيد أن يزيد بن معاوية بعث برأس الحسين رضي الله تعالى
عنه إلى عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان عامله على المدينة ، فكفنه ودفنه بالقيع
عند قبر أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . لكن ذكر ابن
أبي الدنيا أنهم وجدوا في خزانة يزيد رأس الحسين فكفنوه ودفنوه بدمشق
عند باب الفراديس . وقيل غير ذلك ، ولا بأس بالسلام على هؤلاء كلهم عند
زيارة هذا المشهد .

دفن رأس

الحسين بن علي

بدمشق

بدمشق

قبر العباس بن
عبد المطلب

* قبر العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه *

قال ابن شبة فيما نقله عن أبي غسان : قال عبد العزيز : دفن العباس بن عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم في أول مقابر بني هاشم التي في دار عقيل ، فيقال : إن ذلك المسجد بني قبالة قبره ، قال : وقد سمعت من يقول : دفن في موضع من البقيع متوسطا .

قبر صفية بنت
عبد المطلب

* قبر صفية بنت عبد المطلب رضى الله تعالى عنها *

قال عبد العزيز فيما نقله ابن شبة : توفيت صفية فدفنت في آخر الزقاق الذي يخرج إلى البقيع عند باب الدار التي يقال لها دار المغيرة بن شعبة التي أقطعها عثمان ابن عفان لازقا بجدار الدار ، قال عبد العزيز : فبلغني أن الزبير بن العوام اجتاز بالمغيرة وهو يبنى داره ، فقال : يا مغيرة ارفع مطمرك^(٢) عن قبر أمي ، فأدخل المغيرة جداره ، فالجدار اليوم منحرف فيما بين ذلك الموضع وبين باب الدار . قال عبد العزيز : وقد سمعت من يذكر أن المغيرة بن شعبة أبي أن يفعل ذلك لمكانه من عثمان ، فأخذ الزبير السيف ثم قام على البناء ، فبلغ الخبر عثمان ، فأرسل إلى المغيرة يأمره بالمصير إلى ما أمره به الزبير ، ففعل . وروى ابن زبالة عن محمد بن موسى بن أبي عبد الله قال : كان قبر صفية بنت عبد المطلب عند زاوية دار المغيرة بن شعبة الوضوء عليه^(١) ، فلما بنى المغيرة داره أراد أن يقيم المطمرك عليه^(٢) ، قال : فقال الزبير : لا ، والله لا تبني على قبر أمي ، فكف عنه .

قلت : والمعروف أن ذلك هو المشهد الآتي ذكره خارج باب البقيع ، والله أعلم .

قبر أبي سفيان
ابن عبد المطلب

* قبر أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وما قيل في قبر عقيل وابن أخيه عبد الله بن جعفر ، رضى الله تعالى عنهم *

(١) كذا ، ولا معنى له ولم يتجه لى تصحيحه

(٢) المطمرك - كمنبر - والمطمار أيضا : خيط البناء التي يقدر به

قال ابن شبة : قال عبد العزيز : بلغني أن عقيل بن أبي طالب رأى أبا سفيان ابن الحارث يحول بين المقابر ، فقال : يا ابن عمّ مالي أراك هنا ؟ قال : أطلب موضع قبر ، فأدخله داره وأمر بقبر حفّر في قاعها ، فقعده عليه أبو سفيان ساعة ثم انصرف ، فلم يلبث إلا يومين حتى توفي فدفن فيه .

وقال الموفق بن قدامة : قيل عن أبي سفيان : إنه حفّر قبره بنفسه قبل موته بثلاثة أيام ، قال : وكان سبب موته أنه حجّ فلما حلق الحلاق رأسه قطع ثؤلولاً كان في رأسه ، فلم يزل مريضاً حتى مات بعد مقدّمه من الحجّ سنة عشرين ، ودفن في دار عقيل ، وصلى عليه عمر رضي الله تعالى عنهم .

قلت : والظاهر أنه بالمشهد المنسوب اليوم لعقيل ؛ لأن ابن زبالة وابن شبة لم يذكرّا قبر عقيل بالبقيع ، وكذا الغزالي لما ذكر في الإحياء من يزار بالبقيع لم يذكره ، بل المنقول الذي ذكره ابن قدامة وغيره أن عقيلًا توفي بالشام في خلافة معاوية ، فكان سبب اشتهار ذلك المشهد به كون الدار التي هو بها له ؛ ويحتمل على بُعد أنه نقل من الشام ودفن بذلك الحل أيضًا ، وأول من رأيته ذكر أنه بذلك المشهد ابن النجار ، فقال : وقبر عقيل بن أبي طالب أخى على رضي الله تعالى عنهما في قبة أول البقيع ، ومعه في القبر ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار ابن أبي طالب ، وهو الجواد المشهور رضي الله تعالى عنه .

وقد ذكر أبو اليقظان أن عبد الله بن جعفر الجواد كان أجود العرب ، قبر عبد الله بن وأنه توفي بالمدينة وقد كبر ، وقال غيره : توفي ودفن بالأبواء سنة تسعين ، جعفر الطيار ويقال : إنه كان ابن عشر سنين حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قبور أمهات المؤمنين

* قبور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله تعالى عنهم *
روى ابن زبالة عن محمد بن عبيد الله بن علي قال : قبور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من خوخة نبيه إلى الزقاق الذي يخرج إلى البقال مستطيرة ؛ وترجم ابن شبة لقبر أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم روى عن زيد بن

السائب قال : أخبرني جدي قال : لما حفر عقيل بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في داره بئرا وقع على حجر منقوش مكتوب فيه « قبر أم حبيبة بنت صخر بن حرب » فدفن عقيل البئر ، وبني عليه بيتا ، قال ابن السائب : فدخلت ذلك البيت فرأيت فيه ذلك القبر .

قلت : فهذا وما قبله أصل في زيارتهن بالمشهد المعروف بهن في قبلة مشهد عقيل رضي الله عنه ، والظاهر أن خوخة نبيه في غربي المشهد المذكور ، وكذا الزقاق الذي يخرج إلى البقال ؛ لما سيأتي في ترجمته ، فيكون بعضهن بقرب الحسن والعباس رضي الله تعالى عنهما ، ولهذا روى ابن شبة عن محمد بن يحيى قال : سمعت من يذكر أن قبر أم سلمة رضي الله تعالى عنها بالقيع حيث دفن محمد بن زيد بن علي قريبا من موضع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان حفر فوجد على ثمانية أذرع حجرا مكسورا مكتوبا في بعضه « أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم » فبذلك عرف أنه قبرها .

وقد أمر محمد بن زيد بن علي أهله أن يدفنوه في ذلك القبر بعينه ، وأن يحفروا له عمقا ثمانية أذرع ، فحفر كذلك ودفن فيه .

وروى ابن زبالة عن إبراهيم بن علي بن حسن الرافعي قال : حفر لسالم البانكي مولى محمد بن علي فأخرجوا حجرا طويلا فإذا فيه مكتوب « هذا قبر أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم » وهو مقابل خوخة آل نبيه بن وهب ، قال : فأهيل عليه التراب وحفر لسالم في موضع آخر .

وعن حسن بن علي بن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي أنه هدم منزله في دار علي بن أبي طالب ، قال : فأخرجنا حجرا مكتوبا فيه « هذا قبر رَمْلَة بنت صخر » قال : فسألنا عنه فأنشأ مولى عبادل فقال : هذا قبر أم حبيبة ابنة أبي سفيان ، ويخالفه ما تقدم من أن قبرها في دار عقيل ، ولعله تصحف بعلي . وفي صحيح البخاري أن عائشة رضي الله تعالى عنها أوصت عبد الله بن

الزبير لا تدفني معهم ، تعني النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ، وادفني مع
صَوَاحِبِي بالبقيع .

وروى ابن زبالة عن فائد مولى عبادل قال : قال لي منقذ الخفَّار : في المقبرة
قيران مطابقان بالحجارة : قبر حسن بن علي ، وقبر عائشة زوج النبي صلى الله عليه
وسلم ؛ فنحن لا نحرهما .
قلت : وأمّهات المؤمنين كلهن بالمدينة ، إلا خديجة فبمكة ، وإلا ميمونة
فبِسْرَف .

* قبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه *

قبر الشهيد
عثمان بن عفان

وروى ابن شبة عن الزهري قال : جاءت أم حَبِيْبة بنت أبي سفيان رضي
الله تعالى عنهما فوقفت على باب المسجد ، فقالت : لَتُخَلَّنَ بَيْنِي وَبَيْنَ دَفْنِ هَذَا
الرَّجُلِ أَوْ لَا كُشِفَنَ سِتْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أُمْسُوا جَاءَ
جُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ وَحَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ وَأَبُو الْجَهْمِ بْنُ حَذِيفَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ حَسَلٍ ، فَحَمَلُوهُ فَاتَّهَوْا بِهِ إِلَى الْبَقِيعِ ، فَمَنْعَهُمْ مِنْ دَفْنِهِ ابْنُ بَجْرَةَ ، وَيُقَالُ :
ابْنُ نَحْرَةَ السَّاعِدِيِّ ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى حَشِّ كَوْكَبٍ ، وَهُوَ بَسْتَانُ الْمَدِينَةِ ، فَصَلَّى
عَلَيْهِ جُبَيْرٌ وَدَفَنُوهُ وَانْصَرَفُوا .

وعن عروة بن الزبير قال : منعهم من دَفْنِ عُثْمَانَ بِالْبَقِيعِ أُسْلَمُ بْنُ أَوْسَ بْنِ
بَجْرَةَ السَّاعِدِيِّ ، فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى حَشِّ كَوْكَبٍ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ حَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ ،
وَأَدْخَلَ بَنُو أُمَيَّةٍ حَشَّ كَوْكَبٍ فِي الْبَقِيعِ .

وعن عثمان بن محمد الأخنسي عن أم حَكِيمَةَ قَالَتْ : كُنْتُ مَعَ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ
دَفَنُوا عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ : جُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ ، وَأَبُو جَهْمِ بْنُ حَذِيفَةَ ،
وَنِيَّارُ بْنُ مَكْرَمٍ الْأَسْلَمِيُّ ، وَحَمَلُوهُ عَلَى بَابِ أَسْمَعَ قَرَعَ رَأْسَهُ عَلَى الْبَابِ كَأَنَّهُ دَبَاةٌ ،
وَيَقُولُ : دَبْ دَبْ ، حَتَّى جَاؤَا بِهِ حَشَّ كَوْكَبٍ فَدَفَنُوا بِهِ ، ثُمَّ هَدَّ عَلَيْهِ الْجِدَارَ
وَصَلَّى عَلَيْهِ هُنَاكَ .

قال : وحش كوكب : موضع في أصل الحائط الذي في شرق البقيع الذي يقال له خضراء أبان ، وهو أبان بن عثمان .

قلت : ولذلك تسمى تلك الناحية إلى اليوم بالحضاري .
وفي طبقات ابن سعد عن مالك بن أبي عامر قال : كان الناس يتوقَّون أن أن يدفنوا موتاهم في حُش كوكب ، فكان عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يقول : يوشك أن يهلك رجل صالح فيدفن هناك فيأتسى الناس به ، قال : فكان عثمان أول من دفن به .

وروى ابن شبة عن عبد الله بن فروج قال : كنا مع طلحة فقال لى ولابن أخيه عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله : انطلقا فانظرا ما فعل الرجل ، قال : فدخلنا فإذا هو مُسَجَّى بثوب أبيض ، فرجعنا إلى طلحة فأخبرناه ، فقال : قوموا إلى صاحبكم فواروه ، فانطلقنا فجمعنا عليه ثيابه كما يصنع بالشهيد ، ثم أخرجناه ليصلى عليه ، فقالت المصرية : والله لا يُصَلَّى عليه ، فقال أبو الجهم بن حذيفة : والله إن عليكم أن لا تصلوا عليه ، قد صلى الله عليه ، فَنَغَزَوْهُ سَاعَةً بنعال سيوفهم حتى ظننت أن قد قتلوه ، ثم أرادوا دفنه مع نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد استوهب من عائشة رضى الله تعالى عنها موضع قبر فوهبت له ، فأبوا ، فدفن في مقبرة كان قد اشتراها فزادها في المقبرة ، فكان أول من دفن فيها .

وقيل : إن عمرو بن عثمان صلى عليه يومئذ .
وروى ابن زبالة عن ابن شهاب وغيره أن عثمان منع من البقيع ، فدفن في حش كوكب ، وكان عثمان بن مظعون أول من دفن بالبقيع ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفل مهراس علامة على قبره ليدفن الناس حوله ، وقال : لأجعلنك للمتقين إماما ، فلما استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة في ملكه أدخل الحش في البقيع ، وحمل المهراس فجعله على قبر عثمان ، وقال : عثمان وعثمان ، فدفن الناس حول عثمان رضى الله تعالى عنه .

قبر سعد بن معاذ

* قبر سعد بن معاذ الأشملى رضى الله تعالى عنه *

نقل ابن شبة عن عبد العزيز أنه أصيب يوم الخندق ، فدعا فحسب الله عنه الدم ، حتى حَكَمَ في بنى قريظة ، ثم انفجر كله ؛ فمات في منزله في بنى عبد الأشهل ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه في طرف الزقاق الذى بلزق دار المقداد بن الأسود ، وهو المقداد بن عمرو ، وإنما تَبَنَّاهُ الأسود ابن عبد يغوث الزهرى ، وهى الدار التى يقال لها دار ابن أفلح في أقصى البقيع عليها جُنُبَةٌ ، ^(١) انتهى . وهذا الوصف صادق بالمشهد المنسوب لفاطمة بنت أسد ؛ لكونه بطرف زقاق في أقصى البقيع ، وفي شرقيه ناحية بنى ظَفَر وبنى عبد الأشهل ، فلعله قبره ، ولكن وقع الاشتباه في نسبته لفاطمة رضى الله تعالى عنها لما قدمناه في قبرها ، والله أعلم .

قبر أبى سعيد
الحدري

* قبر أبى سعيد الحدري رضى الله تعالى عنه *

وروى ابن شبة عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الحدري قال : قال لى أبى : يا بنى ، إني قد كبرت ، وذهب أصحابي وحان منى ، فخذ بيدي ، فأخذت بيده حتى جئت إلى البقيع ، فحُتُّ أقصى البقيع مكانا لا يدفن فيه ، فقال : يا بنى ، إذا هلكت فاخفر لى ههنا ، لا تبك على باكية ، ولا يضر بن على فسطاط ، ولا يمشى معى بنار ، ولا تؤذن أحدا ، واسلك بى زقاق عمقة ، وليكن مشيت بى خَبِيًّا ، وفي رواية ثم اتسكأ على فأتى البقيع حيث لا يدفن أحد ، فقال : إذا مت فادفنى ههنا ، واسلك بى زقاق عمقة ، وزاد : ولا تبك على نائحة ، وأمشوا بى الخَبَبَ ، ولا تؤذنوا بى أحدا ، قال : فيأتيني الناس متى يخرج ، فأكره أن أخبرهم لما قال لى ، فأخرجته في صدر النهار ، فأتيت البقيع وقد ملئ ناسا .

(١) جنبذة - هى بضم الجيم وسكون النون وضم الباء - شئ يشبه القبة

بيان المشاهد المعروفة اليوم بالبقيع وغيره من المدينة الشريفة

اعلم أن أكثر الصحابة رضي الله عنهم - كما قال المطري - ممن توفي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته مدفنون بالبقيع ، وكذلك سادات أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وسادات التابعين .

وفي مدارك عياض عن مالك أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف ، وباقيهم تفرقوا في البلدان .

وقال المجد : لاشك أن مقبرة البقيع محشوة بالجماء الغفير من سادات الأمة ، غير أن اجتناب السلف الصالح من المبالغة في تعظيم القبور وتخصيصها أفضى إلى انطاس آثار أكثرهم ، فلذلك لا يعرف قبر معينين منهم إلا أفرادا معدودة .

قلت : وقد اتفق عليها مشاهد : منها مشهد على يمينك إذا خرجت من باب البقيع قبلي المشهد المنسوب لعقيل بن أبي طالب وأمّهات المؤمنين ، تحوى العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحسن بن علي ، ومن تقدم ذكره معه ، وعليهم قبة شاذخة في الهواء ، قال ابن النجار : وهي كبيرة عالية قديمة البناء وعليها بابان يفتح أحدهما في كل يوم ، ولم يذكر الذي بناها ، وقال المطري : بناها الخليفة الناصر أحمد بن المستضيء .

قلت : وفيه نظر ؛ لأن الناصر هذا كان معاصرا لابن النجار ؛ لأنه توفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، ووفاته ابن النجار سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وقد قال ابن النجار : إن هذه القبة قديمة البناء ، ووصفها بما هي عليه اليوم . ورأيت في أعلى محراب هذا المشهد : أمر بعمله المنصور المستنصر بالله ، ولم يذكر اسمه ولا تاريخ العماره ، فلعله المنصور الذي هو ثاني خلفاء بني العباس ، لكنه لا يلقب بالمستنصر بالله ، ولم أر من جمع بين هذين اللقبين ، وعلى ساح قبر العباس أن الأمر بعمله المسترشد بالله سنة تسع عشرة وخمسمائة ، ولعل عماره القبة قبله ، وقبر العباس وقبر الحسن مرتفعان من الأرض متسعان مُغشَّيان بألواح ملصقة

أبدع الصاق مصفحة بصفاح الصفح مكوكة بمسامير على أبداع صفة
وأجل منظر .

وينبغي أن يسلم زائرهما على من قدمنا ذكر دفنه عندهما في قبر فاطمة والحسن
رضي الله تعالى عنهما ، وهناك قبور كثيرة لأمرأء المدينة وأقاربهم من الأشراف
يدفنون بهذا المشهد .

وفي غربيه قبر ابن أبي الهيجاء وزير العميديين ، عليه بناء ، وقبر آخر يعرف
بابن أبي النصر عليه بناء أيضا .

وفي شرق المشهد بعيداً منه حظيرتان في إحداهما الأمير جوبان صاحب
المدرسة الجوبانية ، وفي الأخرى بعض الأعيان ممن نقل إلى المدينة ، وإنما نهبت
على ذلك خوفاً من الالتباس على طول الزمان .

ومنها: مشهد في قبلة المشهد المنسوب لعقيل متصل به ، قال المطري : يقال :
إن فيه قبور أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن النجار - في القبور المعروفة في زمانه - مالفظة : وقبور أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم وهن أربعة قبور ظاهرة ، ولا يعلم تحقيق مَنْ
فيها منهن .

قلت : باطن هذا المشهد كله أرض مستوية ليس فيها علامة قبور ، وكان
حظيراً مبنيّاً بالحجارة كما ذكره المطري . فابتنى عليه قبلة الأمير بردبك المعمار
سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة .

ومنها: مشهد عقيل بن أبي طالب على ما ذكره ابن النجار ، وتيممه مَنْ بعده ،
قل : ومعه في القبر ابن أخيه عبد الله الجواد بن جعفر الطيار ، كما قدمناه عنه في
قبر أبي سفيان بن الحارث ، مع بيان أن ذلك المشهد من دار عقيل ، وأن الذي
نقل دفنه هناك إنما هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأن عقيل مات
بالشام خلاف قول المطري إن المنقول دفنه في داره ، وجوزنا أن يكون نقل من

الشام إليها ، فينبغي السلام على الثلاثة المذكورين هناك ، وتقدم استجابة الدعاء عند زاوية الدار المذكورة .

ومنها : روضة بقرب مشهد عقيل ، يقال : إن فيها ثلاثة من أولاد النبي صلى الله عليه وسلم ، كذا قاله المجد ، وجعله مما يعرف في زمنه بالبقيع ، ولم أره في كلام غيره ، ولولا ذكره لمشهد سيدنا إبراهيم قبل ذلك لحملنا كلامه عليه ، وليس بقرب مشهد عقيل إلا القبة المتهدمة التي في غربى مشهد أمهات المؤمنين ، ولا يعرف من بها ، فلعلها مراده ، أو القبة الآتية ذكرها في مشهد الإمام مالك رضى الله تعالى عنه في ركنه الشرقى الشمالى ، فإن كلا منهما يصح وصفها بالقرب من مشهد عقيل ، ثم تبين أن مراده الأولى التي في غربى مشهد أمهات المؤمنين ، فإن ابن جُبَيْر ذكر في رحلته روضة عقيل ، ثم روضة أمهات المؤمنين ، ثم قال : ويازائها روضة صغيرة فيها ثلاثة من أولاد النبي صلى الله عليه وسلم ، ويليهما روضة العباس بن عبد المطلب ، إلى آخره ، فهذا مأخذ المجد .

ومنها : مشهد سيدنا إبراهيم بن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبره على نعت قبر الحسن والعباس ، وهو ملصق إلى جدار المشهد القبلى ، وفي هذا الجدار شباك ، قال المجد : وموضع تربته يعرف ببیت الحزن ، يقال : إنه البيت الذى أوتِ إليه فاطمة رضى الله تعالى عنها ، والتزمت الحزن فيه بعد وفاته أبيها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

والمشهور ببیت الحزن إنما هو الموضع المعروف بمسجد فاطمة في قبلة مشهد الحسن والعباس ، وإليه أشار ابن جُبَيْر بقوله : وبلى القبة العباسية بيت لفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويعرف ببیت الحزن ، يقال : إنه الذى أوتِ إليه والتزمت الحزن فيه عند وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم ، انتهى . وفيه قبرها على أحد الأقوال كما قدمناه ، وأظنه في موضع بيت على بن أبى طالب الذى كان اتخذ بالبقيع ، وفيه اليوم هيئة قبور .

وفي شامى قبر سيدنا إبراهيم بمشهد صورة قبرين حادثين لم يذكرهما ابن النجار ، ولا من تبعه ، إنما ذكروا ما قدمناه من كونه إلى جانب عثمان بن مظعون وأن عبد الرحمن بن عوف أوصى أن يدفن هناك ، وأنه ينبغي زيارتهما معه . قلت : وكذا كل من قدمنا ذكر دفنه هناك .

ومنها : مشهد صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم الزبير بن العوام ، على يسارك عند ما تخرج من باب البقيع ، وهو بناء من حجارة لا قبة عليه ، قال المطري : وأرادوا عقد قبة صغيرة عليه فلم يتفق ذلك . ومنها : مشهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، وعليه قبة عالية ابتناها أسامة بن سنان الصالحى أحدُ أمراء السلطان السعيد صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة إحدى وستمائة ، قاله المطري ، قال الزين المراغى : ونقل أبو شامة أن الباني لها عز الدين سلامة .

قلت : ولم يذكر ابن النجار هذه القبة ، مع ذكره لقبة الحسن والعباس وسيدنا إبراهيم وغيرها مما كان في زمنه ، وقد أدرك التاريخ الذى ذكره المطري وبعده بكثير .

وبمشهد سيدنا عثمان قبر خلف قبره يقال : إنه قبر متولى عمارة القبة . وقد حدث في زماننا أمام المشهد في المغرب بناء مربع عليه قبو فيه امرأة كانت أم ولد لبعض بنى الجيعان توفيت بالمدينة الشريفة ، وإلى جانبه حظيرة فيها امرأة لبعض الأتراك ، وبين هذا البناء وبين المشهد أيضاً حظيرة أخرى بها أخت صاحبنا قاضى الحرمين العلامة محيى الدين الحنبلى متع الله به .

ومنها : مشهد قاطمة^(١) بنت أسد أم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما بأقصى البقيع ، على ما فيه مما تقدم في ذكر قبرها ، وينبغي أن يسلم هناك على سعد بن معاذ لما سبق .

(١) وبالبقيع في آخر شامى مشهد عثمان رضى الله عنه قبة يزعم الناس أنها لحليمة السعدية مرضعة النبي (ص) ولم نزل ذلك أصلاً (حسب الله)

مشهد مالك
ابن أنس
الأصبحي

ومنها : مشهد الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصمعي إمام دار الهجرة إذا خرجت من باب البقيع كان مواجهاً لك عليه قبة صغيرة وإلى جانبه في المشرق والشام قبة لطيفة أيضاً ، لم يتعرض لذكرها المطري ومن بعده ، فيحتمل أن تكون حادثة ، ويقال : إن بها نافعا مولى ابن عمر .

وفي كلام ابن جبير عند ذكر المشاهد المعروفة في زمنه ما يؤخذ منه أن بين مشهد سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين مشهد مالك تربة عن يمين مشهد سيدنا إبراهيم ، وأنها تربة ابن لعمر رضى الله عنه اسمه عبد الرحمن الأوسط ، قال : وهو المعروف بأبي شحمة ، وهو الذي جلدته أبوه الحدّ فرض ومات ، وما ذكره ينطبق على القبة المذكورة .

مشهد إسماعيل
ابن جعفر
الصادق

ومنها : مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهو كبير يقابل مشهد العباس في المغرب ، وهو ركن سور المدينة اليوم من القبلة والمشرق ، بنى قبل السور ، فاتصل السور به ، فصار بابه من داخل المدينة ، قال المطري : بنّاه بعض العبيديين من ملوك مصر .

قلت : على باب المشهد الأوسط الذي أمامه الرحبة التي بها البئر التي يتبرك بها حجر فيه أن حسين بن أبي الهيجاء عمّره سنة ست وأربعين وخمسمائة ، ولعل المطري نسب ذلك لبعض العبيديين ؛ لأن ابن أبي الهيجاء كان من ورائهم . قال المطري : ويقال إن عرصة هذا المشهد وما حوله من جهة الشمال إلى الباب كانت دار زين العابدين ، وبجانب المشهد الغربي مسجد صغير مهجور يقال : إنه مسجد زين العابدين .

قلت : على يمين الداخل إلى المشهد بين الباب الأوسط والأخير حجر منقوش فيه وقف الحديقة التي بجانب المشهد في المغرب على المشهد : وقفها ابن أبي الهيجاء ، ونسبة المسجد الذي بطرف الحديقة بجانب المشهد لزين العابدين ، وأن عرصة المشهد داره ، وأن بئر تلك يُتَدَاوَى بها .

ويقال : إن ابنه جعفر الباقر سقط بها وهو صغير ، وزين العابدين يصلي ، فلم يقطع صلاته .

وفي كلام ابن شبة ما يصلح أن يكون مستنداً في نسبة تلك العرصة لزین العابدين ؛ لذكره داراً تقرب من وصفها ، ونسبها لولده ، فقال : واتخذت صفية بنت حُبي دارَ زيد بن علي بن حسين بن علي ، وقد صارت دارين ، وهما جميعاً دار واحدة ، بنى زيد بن علي شقها الشرقي الذي يلي البقيع ، وبنى آل أبي سويد الثقي شقها الغربي الذي يلي دار السائب مولى زيد بن ثابت ، فيحتمل أنه نسبها لولده لكونه بناها وكانت لأبيه ، وقال أيضاً : واتخذ جعفر بن أبي طالب داراً بين دار أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم بالبقيع وبين دار أسماء بنت عميس التي في شامى دار أبي رافع تحت سقيفة محمد بن زيد بن علي بن حسين . ويبيّن ابن شبة أن دار أبي رافع ناقل بها سعد بن أبي وقاص أبا رافع فدفع لأبي رافع داره بالبقال .

وقد تقدم ذكر الشارع الذي يخرج إلى البقال في قبور أمهات المؤمنين ، وأنه في غربي المشهد المعروف بهن ؛ لما سيأتى في ترجمة البقال ، وقد جدد مسجد زين العابدين سنة أربع وثمانين وثمانمائة .

وأما المشاهد المعروفة بالمدينة في غير البقيع فثلاثة :

أحدها : مشهد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، عم رسول الله صلى الله عليه وآله مشهد حمزة عليه وسلم ورضي الله تعالى عنه . وسيأتى ذكره مع شهداء أحد في الفصل بعده ، وعليه قبة عالية حسنة متقنة ، وبابه مصفح كله بالحديد . بَنَتْهُ أم الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضي ، كما قاله ابن النجار ، وذلك في سنة تسعين وخمسمائة ، قال : وجعلت على القبر ملبناً من ساج ، وحوله حصباء ، وباب المشهد من حديد ، يفتح كل يوم خميس ، وقريب منه مسجد يذكّر أنه موضع مقتله ، انتهى .

وتبعه عليه من بعده . ووصفه القبر بأن عليه ملبن خشب ، يعني أنه كهيفة قبر سيدنا إبراهيم ، فإنه عبر فيه بذلك أيضاً ، وقبر سيدنا إبراهيم على ذلك الوصف اليوم ، وكذلك الحسن والعباس .

وأما قبر حمزة فإنه اليوم مبنى مُحَصَّص بالقصة لا خشب عليه ، وفي أعلاه من ناحية رأسه حجر فيه بعد البسملة : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » هذا مَضْرَعُ حمزة بن عبد المطلب عليه السلام ، ومصلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وعمره العبد الفقير إلى رحمة ربه حسين بن أبي الهيثماء ، غفر الله له ولوالديه سنة ثمانين وخمسمائة ، انتهى .

وهذا قبل عمارة أم الناصر بعشر سنين ، وابن النجار إنما قدم المدينة بعد ذلك ؛ لأنه ألف كتابه سنة مجاورته بها ، ومولده سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، فمقتضى ذلك أن ابن النجار أدرك القبر وهو بهذه الهيئة من الكتابة ، وقد صرح بخلافها ، وأيضاً فالتعبير في تلك الكتابة بمَضْرَعُ حمزة وتصديره بالآية دليل الخطأ في إثبات ذلك المسن هناك ، فانصواب أن ذلك المسن كان بالمسجد المعروف اليوم بالمصرع ، وكأنه لما تهدم نقل إلى المشهد لقربه منه ، ثم لما تكسر الخشب الذي ذكر ابن النجار أنه كان على القبر بنوا القبر على هذه الهيئة ، وظنوا أن ذلك المسن لوضعه بالمشهد يتعلق به ، فأثبتوه بالقبر . ويؤيد ذلك أن نسبة عمارة القبة لأم الخليفة في التاريخ المذكور موجودة اليوم بالكتابة الكوفية نقشاً في جدار المشهد بالجص ، واقتلع الشجاعى شاهين شيخ الحرم المسن المذكور وأعاده إلى محله بالمصرع ، ومقتضى ما سبق عن ابن النجار ومن تبعه أن أم الخليفة الناصر لدين الله هي أول من اتخذ المشهد المذكور على سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه ، وسيأتى في الفصل بعده عند ذكر قبر حمزة رضى الله تعالى عنه عن عبد العزيز بن عمران أنه كان على قبر حمزة قديماً مسجداً ، وذلك في المائة الثانية ، فكان أم الخليفة وسعته وجعلته على

هذه الهيئة الموجودة اليوم ، وقد زاد فيه سلطان زماننا الأشرف قايتباي أعز الله نصره زيادة من جهة المغرب أدخل فيها البئر التي كانت خارجة في غربيه ، واتخذ هناك أخليّة لمن يريد الطهارة ، وجعل بعضها بالسطح ، فعمّ النفع بذلك ، واحتفر بئراً خارجةً بجهة المغرب أيضاً يرتفق بها المارة ، وذلك في شهر جمادى الأولى سنة تسعين وثمانمائة على يد الشجاعى شاهين الجمالى شيخ الحرم الشريف النبوى ، وشاد عمّاره ، عظم الله شأنه .

واعلم أن القبر الذى بالمشهد عند رجلى سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه قبر رجل تركى اسمه سنقر ، كان متولى عمارة المشهد ، والقبر الذى بصحن المسجد قبر بعض أمراء المدينة من الأشراف ، فلا يظن أنهما من قبور الشهداء رضوان الله عليهم ، وسيأتى فى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه أنه ينبغى أن يسلم معه على مُصْغَب ابن عمير وعبد الله بن جَحَش ؛ لما سيأتى فيه .

مشهد مالك بن
سنان الحدري

ثانيها : مشهد مالك بن سنان ، والد أبى سعيد الحدري ، فى غربى المدينة ملاصقاً للسور ، وسيأتى ما جاء فيه فى الفصل بعده ، وعليه قبة قديمة البناء بها محراب ، وعن يمينه باب خزانة صغيرة فيها بناء أصغر من صفة القبور يظن الناس أنه محل القبر ، والظاهر أن القبر بالقبة المذكورة ، لما سيأتى فى ذكر من أقبل إنه نقل من شهداء أحد من قول ابن أبى فديك إنه بالمسجد الذى عند أصحاب العباء فى طرف الحناطين ، لكن فى رواية ابن زباله أنه دفن عند مسجد أصحاب العباء : أى الذين يبيعون العبي ، وذلك المحل من سوق المدينة القديم .

مشهد
النفس الزكية

ثالثها : المشهد المعروف بالنفس الزكية ، وهو السيد الشريف الملقب بالمهدى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، رضوان الله تعالى عليهم ، قتل فى أيام أبى جعفر المنصور ، وهذا المشهد شرق جبل سَلْع ، وعليه بناء كبير بالحجارة السود ، قصدوا أن يبنوا عليه قبة فلم يتفق ، وهو داخل مسجد كبير مهجور ، وفى قبلة المسجد منهل من عين الأزرق مدرج من شريقه وغربيه .

والعين تجرى في وسطه ، وتقدم في سوق المدينة أن ابن زباله عبر عن ذلك ببركة السوق ، ولعل ذلك المسجد هو المنسوب إلى الأعرج كما تقدم في مصلى العيد .

وما ذكرناه من كون النفس الزكية بهذا المشهد ذكره المطري ومن تبعه ، وهو المستفيض بين أهل المدينة ، لكنه مخالف لما ذكره سبط ابن الجوزي في رياض الأفهام ، فإنه ذكر خروجه على المنصور بعد حبسه لأبيه وأقاربه ، فباعه كثير من الناس ، قال : فجهز إليه المنصور عيسى بن موسى عم المنصور في أربعة آلاف ، نجاء ووقف على سلع وقال : يا محمد ، لك الأمان ، فصاح به : والله ما تفوز ، والموت في عزٍّ خيرٌ من الحياة في ذل ، فاغتسل هو ومن بقي من أصحابه وتحنطوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر وحملوا على عيسى وأصحابه ، فهزموا ثلاثاً ، ثم تسكاثروا عليهم فقتلوه ، وأتوا عيسى بن موسى برأس محمد . ووارت أخته زينب وابنته فاطمة جسده بالبقيع ، وكان قتله عند أحجار الزيت ، وكان معه ذو الفقار سيفٌ على رضى الله تعالى عنه ، فأخذه عيسى بن موسى ، ثم انتقل إلى الرشيد .

قال الأصمعي : أنا رأيته ، وفيه ثمانى عشرة فقارة ، اه .

وقال محمد - أعنى النفس الزكية - في يوم قتالهم لعبد الله بن عامر السلمى : تعشنا سحابة ، فإن أمطرنا ظفركنا ، وإن تجاوزتنا إليهم فانظر إلى دمي عند أحجار الزيت . قال عبد الله : فوالله لقد أظلمتنا سحابة فلم تمطرنا ، وتجاوزتنا إلى عيسى بن موسى وأصحابه ، فظفروا ، وقتلوا محمداً ، ورأيت دمه عند أحجار الزيت ، وبسبب محمد هذا ضرب عيسى بن موسى الإمام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه ، نقل ذلك المقرئ .

الفصل السابع

في فضل أحدٍ والشُّهداء به

روينا في الصحيحين وغيرهما عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأحد لما بدا له : هذا جبلٌ يحبنا ونحبه .

الأحاديث
الواردة في
فضل أحد

وفي رواية للبخاري بيان أن ذلك كان عند القدوم من خيبر ، ولفظ رواية ابن شبة عنه أنه أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فلما بدا لهم أحد قال ، الحديث .

وفي رواية له عن سويد الأنصاري قال : قَفَلْنَا مع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر ، فلما بدا له أحد قال : الله أكبر ، جَبَلٌ يحبنا ونحبه .
ورواه أحمد والطبراني برجال الصحيح إلا عقبه بن سويد ، وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحا .

وفي فضائل المدينة للجندی عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم « طَلَعَ أحدا فقال : هذا جبل يحبنا ونحبه » وفي رواية له « طلع علينا أحدا » وفي رواية أخرى للبخاري أن ذلك كان في رجوعه صلى الله عليه وسلم من الحج .
وفي رواية عن أبي حميد الساعدي قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك ، فلما أشرفنا على المدينة قال : « هذه طَابَةٌ ، وهذا أحد ، جبل يحبنا ونحبه » ورواه ابن شبة أيضا .

وفي رواية له قال : أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من منزله ، حتى إذا كنا بغرابات نظر إلى أحد فكبر ثم قال « جبل يحبنا ونحبه ، جبل سائر ليس من جبال أرضنا » .

وروي أيضا بإسناد جيد عن أنى قلابة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاء من سقر فبدا له أحد قال : هذا جَبَلٌ يحبنا ونحبه ، ثم قال : آيئون نائبون ساجدون لرَبنا حامدون .

وروى أيضا عن أبي هريرة قال : لما قدمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر بدا لنا أحد ، فقال : هذا جبل يحبنا ونحبه ، إن أحدا هذا لعلى باب من أبواب الجنة .

وروى الطبراني فى الكبير والأوسط عن أبي عيسى بن جبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد : هذا جبل يحبنا ونحبه ، على باب من أبواب الجنة ، وهذا غير جبل يبعضنا ونبغضه ، على باب من أبواب النار . وفى الأوسط - وفيه كثير بن زيد : تكلم فيه ، ووثنه أحمد وغيره - من حديث أنس بن مالك مرفوعا « أخذ جبل يحبنا ونحبه ، فإذا جئتموه فكلوا من شجره ولو من عَصَاهُ » ورواه ابن شبة بلفظ « أخذ على باب من أبواب الجنة ، فإذا مررتم به فكلوا من شجره ، ولو من عَصَاهُ » .

وروى أيضا عن زينب بنت نبيط ، وكانت تحت أنس بن مالك ، أنها كانت ترسل ولأئدها فتقول : اذهبوا إلى أحد فأتوني من نباته ، فإن لم تجدن إلا عَصَاهَا فأتني به ، فإن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « هذا جبل يحبنا ونحبه » قالت زينب : فكلوا من نباته ولو من عَصَاهُ ، قال : فكانت تعطينا منه قليلا قليلا فتمضغه .

وعن رافع بن خديج قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَحْتَشَّ أحد إلا يوما بيوم .

وعن داود بن الحصين مرفوعا « أخذ على ركن من أركان الجنة ، وغير على ركن من أركان النار » .

وعن إسحاق بن يحيى بن طلحة مرسلا رفعه « أحد وورقان وقدس ورضوى من جبال الجنة » .

وروى أبو يعلى والطبراني فى الكبير عن سهل بن سعد مرفوعا « أحد ركن من أركان الجنة » .

وفي الكبير أيضاً عن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« أربعة أجيال من أجيال الجنة ، وأربعة أنهار من أنهار الجنة ، وأربعة ملاحم
من ملاحم الجنة ، قيل : فما الأجيال ؟ قال : أحد يحننا ونحبه جبل من جبال
الجنة ، وورقان جبل من جبال الجنة ، والطور جبل من جبال الجنة ، ولبنان جبل
من جبال الجنة ، والأنهار الأربعة النيل والفُرات وسَيِّحان وجَيِّحان ، والملاحم
بَدْرٌ وأحد والخندق وحنين » .

ورواه ابن شبة مختصراً ، وروى عن أبي هريرة نحوه ، وقال فيه : وسكت
عن الملاحم ، وعن أبي هريرة أيضاً قال : خير الجبال أحد والأشعر وورقان .

ونقل الحافظ ابن حجر اختلاف الروايات في الأجل التي بنى منها البيت
الحرام ، وفي بعضها أنه أسس من ستة أجيال : أبي قبيس ، والطور ، وقدس ،
ورقان ، ورضوى ، وأحد .

وروى ابن شبة عن أنس بن مالك مرفوعاً « لما تجلّى الله عز وجل للجبل
طارت لعظمته ستة أجيال ، فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة ، وقع بالمدينة أحد
ورقان ورضوى ، ووقع بمكة حراء وثير وثور » .

قال أبو غسان راويه : فأما أحد فبناحية المدينة على ثلاثة أميال منها في
شاميها ، وأما ورقان فبالروحاء من المدينة على أربعة بُرْد ، وأما رَضْوَى فببينبع
على مسيرة أربع ليال ، وأما حراء فبمكة وُجَاه بئر ميمون ، وثور أسفل مكة هو
الذي اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غاره .

قلت : ولم يبين ثبيراً ، وما ذكره من المسافة إلى أحد يقرب مما حررته ،
فإني ذَرَعْتُ ما بين عتبة باب المسجد النبوي المعروف بباب جبريل وبين المسجد
الملاصق لجبل أحد المعروف بمسجد الفتح فكان ذلك ثلاثة أميال وزيادة خمسة
وثلاثين ذراعاً ، وأما ما بين باب المدينة المعروف بباب البقيع وبين أول جبل أحد
فيلان وأربعة أسباع ميل يزيد يسيراً ، وبين باب البقيع ومشهد سيدتنا حمزة

ميلان وثلاثة أسباع ميل وخمس سبع ميل ، وأذرع يسيرة ، وقد علم بذلك التسامح الذى فى قول النووى فى تهذيبه : أحد بجانب المدينة على نحو ميلين ، وكذا قول المطرى ومن تبعه : بين مشهد حمزة والمدينة ثلاثة أميال ونصف أو ما يقارب به ، وإلى جبل أحد نحو أربعة أميال ، وقيل : دون الفرسخ ، انتهى .
وقال السهيلي : سمي هذا الجبل أحدا لتوحيده وانقطاعه عن جبال أخرى هناك ، ولما وقع من أهله من نصر التوحيد .

وجه تسمية
أحد وجهه

وللعلماء فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « يحبنا ونحبه » أقوال :
أحدها : أنه على حذف مضاف ، أى أهل أحد ، وهم الأنصار ؛ لأنهم جيرانه .

ثانيها : أنه للمسرة بلسان الحال ؛ لأنه كان يبشره إذا رآه عند القدوم بالقرب من أهله ، وذلك فعل الحب .

ثالثها : أن الحب من الجانبين على الحقيقة ، وأنه وضع فيه الحب كما وضع فى الجبال المسبحة مع داود ، وكما وضعت الخشية فى الحجارة التى قال الله فيها (وإن منها لما يهبط من خشية الله) سيما وقد جاء أنه طار من الجبل الذى تجلى الله عز وجل له كما سبق ، وهذا الثالث هو الذى صححه النووى ، وقال الحافظ ابن حجر : إن الظاهر أن ذلك لكونه من جبال الجنة ، كما ثبت فى حديث أبى عيسى بن جبر مرفوعا « جبل أحد يحبنا ونحبه ، وهو من جبال الجنة » أخرجه أحمد ، ولا مانع فى جانب الجبل من إمكان المحبة ، كما جاز التسبيح منها ، وقد خاطبه صلى الله عليه وسلم مخاطبة من يعقل فقال لما اضطرب « اسكن أحد » الحديث .
وقال الحافظ المنذرى : قال البغوى : الأولى إجراء الحديث على ظاهره ، ولا ينكر وصف الجمادات بحب الأنبياء وأهل الطاعة كما حنت الأسطوانة لمفارقة صلى الله عليه وسلم حتى سمع القوم حنينها ، وكما أخبر أن حجرا كان يسلم عليه صلى الله عليه وسلم قبل الوحي ؛ فلا ينكر أن يكون جبل أحد وجميع أجزاء

المدينة تحبه وتحنّ إلى لقائه ، قال المنذرى : وهو جيد .
قلت : ويرجحه قوله في الحديث المتقدم « فإذا جئتموه فاكلوا من شجره »
فإن غيرا يجاوره أهل قباء ، ويظهر للقادم من جهة مكة قبل أحد ، بل ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء .

وقال السهيلي : كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب النأل الحسن ، والاسم
الحسن ، ولا اسم أحسن من اسم مشتق من الأحادية ، ومع ذلك فحركاته الرفع ،
وذلك مشعر بارتفاع دين الأحد ، فتعلق الحب به من النبي صلى الله عليه وسلم لفظا
ومعنى ، فخص بذلك .

وليضف إليه أن المحبة لما تعلقت من الجانبين ، وكان المرء مع من أحب ،
كان هذا الجبل معه صلى الله عليه وسلم في الجنة إذا بُسَّت الجبال يسا .

وأيضاً لما انقسم أهل المدينة إلى محب مَوْحِد وهم المؤمنون وإلى منافق
مبغض وهم الجاهلون الجاحدون كأبي عامر الراهب وغيره من المنافقين ، وكانوا
ثلث الناس يوم أحد رجعوا مع ابن أبي ولم يحضروا أحداً ؛ انقسمت بقاع المدينة
كذلك ، فجعل الله تعالى هذا الجبل حبيباً محبوباً كمن حضر به ، وجعله معه
في الجنة ، وخصه بهذا الاسم ، وجعل غيراً مبغوضاً إن صح الحديث فيه ، وجعل
بجهته المنافقين من أهل مسجد الضرار فرجعوا من جهة أحد إلى جهته فكان
معهم في النار ، وخصه باسم العير الذي هو الحمار المذموم أخلاقاً وجهلاً ، والله أعلم .
وروى ابن شبة كما سبق في سكنى اليهود بالمدينة عن جابر بن عبد الله
مرفوعاً : خرج موسى وهرون عليهما السلام حاجين أو معتمرين ، حتى إذا قدما
المدينة خافا اليهود فنزلا أحداً وهرون مريضاً ، فحفر له موسى قبراً بأحد ، وقال :
يا أخى ادخل فيه فإنك ميت ، فدخل فيه ، فلما دخل قبضه الله ، فحتماً موسى
عليه التراب .

زعموا أن

هرون مدفون
بأحد

قلت : بأحد شعب يعرف بشعب هرون ، يزعمون أن قبر هرون عليه السلام
في أعلاه ، وهو بعيد حسا ومعنى ، وليس ثم ما يصلح للحفر وإخراج التراب .
وفي أعلى أحد بناء اتخذه بعض الفقراء قريبا والناس يصعدون إليه ، ولم يرد
تعيين الحل الذي صعد به النبي صلى الله عليه وسلم من أحد ، نعم وردت صلته
بالمسجد الملاصق به المعروف بمسجد الفتح كما سبق في المساجد .

مزاعم في
مواضع من
جبل أحد

وقال ابن النجار : وفي جبل أحد غار يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم
اختفى فيه ، ومسجد يذكرون أنه صلى فيه ، وموضع في الجبل أيضاً منقور في
صخرة منه على قدر رأس الإنسان يذكرون أنه صلى الله عليه وسلم قعد
— يعني على الصخرة التي تحته — وأدخل رأسه هناك ، كل هذا لم يرد به نقل فلا
يعتمد عليه .

قلت : أما المسجد فقد ثبت النقل به من رواية ابن شبة كما سبق ، لكن لم
يقف عليه ابن النجار .

وأما الغار فقال المطري : إنه في شمالي هذا المسجد ، والموضع المنقور والصخرة
التي تحته بقرب المسجد ، وروى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبي صلى الله
عليه وسلم لم يدخل الغار بأحد .

وسألت في ترجمة المهراس قول ابن عباس : ولم يبلغوا حيث يقول الناس
الغار ، إنما كان تحت المهراس ، ومقتضاه أن الغار بعد المهراس ، وسألت في ترجمة
شعب أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى يوم أحد إلى فم الشعب
وأسند فيه .

قال ابن هشام : وبلغني عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغ
الدرجة المنيية في الشعب ، انتهى . وكان من بناها ظن أن الصخرة التي نهض النبي
صلى الله عليه وسلم ليعلوها ، وجلس له طلحة بن عبيد الله كانت هناك ، ولهذا أوردته
ابن هشام عند ذكرها .

وروى يحيى أنه لما انكشف الناس يوم أحد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مُضْعَب بن عمير فقال (من المؤمنين رجال) إلى قوله (وما بدلوا تبديلاً) اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء ، فأتوهم وسلموا عليهم ، فلن يسلم عليهم أحد ما قامت السموات والأرض إلا ردُّوا عليه ، ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم موقفاً آخر فقال : هؤلاء أصحابي الذين أشهد لهم يوم القيامة ، فقال أبو بكر : فما نحن بأصحابك ؟ فقال : بلى ، ولكن لا أدري كيف تكونون بعدى ، إنهم خرجوا من الدنيا خَمَاصاً .

ورواه الثعلبي المفسر إلا أنه قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد مرَّ على مُضْعَب بن عمير ، فوقف عليه ، ودعاه ، ثم قرأ ، وذكر الآية وما بعدها بنحوه ، إلى قوله ثم وقف .

وروى أبو داود والحاكم في صحيحه حديث « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جَوْف طير خُضْر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب مُعلَّقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومَقِيلهم قالوا : مَنْ يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق ثلثاً يزهدوا في الجهاد ولا يكلوا عن الحرب ؟ فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) الآية » .

وفي صحيح البخارى حديث « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : إني بين أيديكم فرط ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الخوض » .

وروى ابن شبة وأبو داود عن طلحة بن عبيد الله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نريد قبور الشهداء ، حتى إذا أشرَفْنَا على حَرَّة واقم ، فلما تدلينا منها فإذا قبور بمحنية ، فقلنا : يا رسول الله ، أقبور إخواننا هذه ؟ قال : قبور أصحابنا ، فلما جئنا قبور الشهداء قال : هذه قبور إخواننا .

وروى ابن شبة عن عباد بن أبي صالح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
 وخلفائه قبور الشهداء بأحد على رأس كل حول فيقول : سلام عليكم بما صبرتم
 الشهداء على رأس كل حول : قال : وجاءها أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، رضى الله تعالى
 عنهم ، فلما قدم معاوية بن أبي سفيان حاجا جاءهم ، قال : وكان النبي صلى الله
 عليه وسلم إذا واجه الشعب قال : سلام عليكم بما صبرتم فنعم أجر العاملين .
 وعن أبي جعفر أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تزور
 قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ترمه وتصلحه ، وقد تعلمته بحجر .
 وروى رزين عنه أن فاطمة رضى الله تعالى عنها كانت تزور قبور الشهداء
 بين اليومين والثلاثة .

ورواه يحيى بنحوه عن أبي جعفر عن أبيه عن علي بن الحسين ، وزاد : فتصلى
 هناك وتدعو وتبكي حتى ماتت .
 وروى الحاكم عن علي رضى الله تعالى عنه أن فاطمة كانت تزور قبر عمها
 حمزة كل جمعة فتصلى وتبكي عنده .
 وروى ابن شبة عن ابن عمر أنه قال : من مر على هؤلاء الشهداء فسلم عليهم
 لم يزلوا يردون عليه إلى يوم القيامة .

وروى يحيى عن العطار بن خالد قال : حدثتني خالة لى - وكانت من
 العوايد - قالت : ركبت يوماً معى غلام حتى جئت إلى قبر حمزة ، فصليت
 ما شاء الله ، ولا والله ما فى الوادى دأع ولا مجيب يتحرك ، وغلامى قائم آخذ
 برأس دابتي ، فلما فرغت من صلاتى قمت فقلت : السلام عليكم ، وأشرت يدي
 فسمعت رد السلام على من تحت الأرض ، أعرفه كما أعرف أن الله خلقنى ،
 واقشعرت كل شعرة منى ، فدعوت الغلام فقلت : هات دابتي ، فركبت .
 وروى البيهقي فى الدلائل من طريق العطار بن خالد عن عبد الأعلى بن
 عبد الله بن أبي فروة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم « زار قبور الشهداء

بأحد ، فقال : اللهم إن عبدك ونيك يشهد أن هؤلاء شهداء ، وأنهم من زارهم
أو سلم عليهم إلى يوم القيامة ردوا عليه .

وقال العطف : وحدثني خالتي أنها زارت الشهداء فسلمت عليهم ، فسمعت
رد السلام ، وقالوا : والله إنا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضا ، قالت : فاقشعررتُ .
وذكر البيهقي أيضا رواية يحيى ، وأن الواقدي قال : كانت فاطمة الخزاعية
تقول : لقد رأيتني وغابت الشمسُ بقبور الشهداء ومعى أخت لي ، فقلت لها :
تعالني نسلم على قبر حمزة ، فوقفنا على قبره ، فقلنا : السلام عليكم يا عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعنا كلاما رد علينا : وعليكم السلام ورحمة الله ،
قالت : وما قرُبنا أحد من الناس .

ثم روى البيهقي عن هاشم بن محمد العمري من ولد عمر بن علي قال : أخذني
أبي بالمدينة إلى زيارة قبور الشهداء في يوم جمعة بين الفجر والشمس ، فكنت أمشي
خلفه ، فلما انتهى إلى المقابر رفع صوته فقال : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى
الدار ، قال : فأجيب وعليك السلام يا أبا عبد الله ، فالتفت أبي إلى فقال : أنت
الجيب ؟ فقلت : لا ، فجعلني على يمينه ، ثم أعاد السلام ، ثم جعل كلما سلم يُرد
عليه ، حتى فعل ذلك ثلاث مرات ، فخرَّ ساجدا شكرا لله تعالى .

وقد تقدم في غزوة أحد أن الذين أكرمهم الله بالشهادة يومئذ سبعون رجلا ، تسمية شهداء
أحد
وقيل : أكثر ، وقيل : أقل ، وقد سرد ابن النجار أسماءهم فتبعته ليسلم عليهم
من شاء بأسمائهم ، فقال : حمزة بن عبد المطلب ، وعبد الله بن جحش ، ومُضْعَب
ابن عُمَيْر ، وشمَّاس بن عثمان ، هؤلاء الأربعة من المهاجرين .

ومن الأنصار : عمرو بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس بن رافع ،
وعمار بن زياد بن السَّكَن ، وسامة بن ثابت بن وقش ، وعمرو بن ثابت بن وقش ،
وثابت بن وقش ، ورفاعة بن وقش ، وحُسَيل بن جابر ، وهو أليان أبو حذيفة ،
وصَيْفِي بن قَيْظِي بن عمرو ، والحَبَّاب بن قَيْظِي ، وعباد بن سهل ، والحارث بن

أوس بن مُعَاذ ، وإياس بن أوس بن عَتِيك ، وعبيد بن التيهان ، ويقال عتيك ،
وحبيب بن زيد بن تيم ، ويزيد بن حاطب بن أمية بن رافع ، وأبو سفيان بن
الحارث بن قيس بن زيد ، وأنس بن قَتَادَة ، وحفظلة الغسيل ابن أبي عامر ،
وأبو حبة بن عمرو بن ثابت أخو سعد بن خيثمة لأمه ، وعبيد الله بن جبير بن
النعمان ، وخيثمة أبو سعد بن خيثمة ، وعبد الله بن مسامة ، وسبيع بن حاطب بن
الحارث ، وعمرو بن قيس بن زيد ، وابنه قيس بن عمرو ، وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر
ابن مخلد ، وأبو هبيرة بن الحارث بن علقمة ، وعمرو بن مطرف بن علقمة ، وأوس
ابن ثابت بن المنذر أخو حسان بن ثابت ، وأنس بن النضر ، وقيس بن مخلد ،
وكيسان مولى بني النجار ، وسليم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو ، وخارجة
ابن زيد ، وسعد بن الربيع ، وأوس بن الأرقم بن زيد ، ومالك بن سيمان والد
أبي سعيد الخدري ، وسعد بن سويد بن قيس ، وعلمبة بن ربيع بن رافع ، وثعلبة
ابن سعد بن مالك ، ونقيب بن فروة بن البدن ، وعبد الله بن عمرو بن وهب ،
وضمرة الجهني حليف لبني طريف ، ونوفل بن عبد الله ، وعباس بن عباد بن فضلة
ونعمان بن مالك بن ثعلبة ، والمخدر بن زياد ، وعُبَادَة بن الحَسَّاس ، ورُفَاعَة بن
عمرو ، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام ، وعمرو بن الجَوْح ، وابنه خلاد ، وأبو أيمن
مولاد ، وعبيدة بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عنقرة ، وسهل بن قيس بن أبي
كعب ، وذَكَوَان بن عبد قيس ، وعبيد بن المعلى بن لوزان ، ومالك بن نميلة ،
والحارث بن عدي بن خرشة ، ومالك بن إياس ، وإياس بن عدي ، وعمرو
ابن إياس .

فهؤلاء الشهداء السعداء الذين صدّقوا القتال بين يدي النبي صلى الله عليه
وسلم وقتلوا وقتلوا ، رضوان الله عليهم أجمعين .

ولقد كر ما علمناه من خبر قبورهم وتعيينها ، فنقول :

سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ومصرعه
 قبر حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذكر أنه معه
 أخرج البخاري أن وَحْشِيًّا قال في خبر : فلما خرج الناس عام عَيْنين ، وعَيْنين
 جبل بحيال أحد بينه وبينه وادٍ ، خرجت مع الناس إلى القتال ، فلما أن اصطَفُوا
 للقتال خرج سباع فقال : هل مِنْ مبارز ؟ قال : فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب
 فقال : يا سباع يا ابن أم أنمار مُقْطعة البظور ، أتحدُّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟
 ثم شدَّ عليه فكان كأمسٍ الذاهب ، قال : وكنت لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا
 مني رميته بحجرٍ بقي فأضعهما بين يديهما حتى خرجت من بين يديه ، فكان ذلك
 [آخر] العهد به ، ثم ذكر مجيئه للنبي صلى الله عليه وسلم - يعني لما أسلم - وقوله له : أنت
 قتلت حمزة ؟ قال : قلت : قد كان من الأمر ما بلغك ، قال : فهل تستطيع أن
 تُغَيِّب وجهك عني ؟

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة رضي الله تعالى عنه ، وقد
 مُثِّل به ، جدَّع أنفه وأذناه ويُقِر بطنه عن كبده ، فقال صلى الله عليه وسلم :
 « لَوْلا أن تحزَنَ صفية ويكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون في بطون السباع
 وحواصل الطير ، لَن أَصابَ بمثلِكَ أبداً ، ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلى من
 هذا ، ثم قال : جاءني جبريل وأخبرني أن حمزة مكتوبٌ في أهل السموات
 السَّبع » حمزة بن عبد المطلب أسدُ الله وأسَدُ رسوله « وأمر به النبي صلى الله
 عليه وسلم فسُجِّيَ بِرُذَّةٍ ثم صلى عليه فكَبَّرَ عليه سبعين ودفنه .

واختلاف الروايات في الصلاة على شهداء أحدٍ مشهور ، والذي في الصحيح
 عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يَجْمَعُ بين الرجلين
 من قَتْلَى أحدٍ في الثوب الواحد ، ثم يقول : أيهم أكثر أخذًا للقرآن ؟ فإذا
 أشير له إلى أحدٍ قدَّمه في اللحد ، وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يُصَلَّ عليهم
 ولم يغسلوا .

ونقل ابن شبة عن عبد العزيز عن ابن سَمْعَانَ عن الأعرج قال : لما قُتِلَ
 حمزة رضي الله تعالى عنه أقام في موضعه تحت جبل الرُّمَّة ، وهو الجبل الصغير

الذى ببطن الوادى الأحمر ، ثم أمر به النبى صلى الله عليه وسلم فحمل عن بطن
الوادى إلى الرَبْوَةِ التى هو بها اليوم ، وكفنه فى بردة ، وكفن مصعب بن عمير
فى أخرى ، ودفنهما فى قبر واحد

قال عبد العزيز : وسمعتُ مَنْ يذكر أن عبد الله بن جَحْش بن رثاب قتل
معهما ، ودفن معهما فى قبر واحد ، وهو ابن أخت حمزة أمُّه أميمة بنت
عبد المطلب .

قال عبد العزيز : والغالب عندنا أن مُصْعَب بن عُمَيْر وعبد الله بن جَحْش
دفنا تحت المسجد الذى بنى على قبر حمزة ، وأنه ليس مع حمزة أحدٌ فى القبر .
قلت : ينبغى أن يُسَلَّم عليهما مع حمزة بمشهدده ؛ لأنهما إن لم يكونا معه
فبقربه ، ولعل المشهد اليوم أوسعُ من ذلك المسجد ، وسبق فى المساجد ذكرُ
المسجد الذى بمَصْرَع حمزة رضى الله تعالى عنه ، والمسجد الذى فى جهة قبلته بطرف
جبل الرُّمَّة ، وما جاء فيهما .

قبر عمرو بن الجُمُوح وعبد الله بن عمرو بن حَرَام والد جابر بن عبد الله ،
وَمَنْ ذكر معهما ..

عمرو بن
الجُمُوح
وعبد الله بن
عمرو بن حرام

روى مالك بن أنس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أنى
صَعَصَعَة أنه بلغه أن عمرو بن الجُمُوح وعبد الله بن عمرو بن حَرَام الأنصارين
ثم السَّامِيِّين كانا فى قبر واحد ، وكانا ممن استشهد يوم أحد ، وكان قبرهما مما يلى
السيلى ، فحفر عنهما ليغيرا عن مكانهما ، فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس ،
وكان أحدهما قد جُرح فوضع يده على جرحه ، فدفن وهو كذلك ، فأميّطت
يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت ، وكان بين يوم أحديهما وحفر عنهما
ست وأربعون سنة .

وقال مالك : إن عمرو بن الجُمُوح وعبد الله بن عمرو كفنا فى كفن واحد
وقبر واحد ، رواه ابن شبة ، ثم روى بسند جيد عن جابر بن عبد الله رضى الله

تعالى عنه قال : دُفِنَ مع أبي رجلٍ يومَ أُحُدٍ في القبرِ فلمَ تَطِبْ نفسى حتى أخرجته فدفنته على حدة .
قلت : يحتمل أن سبب الإخراج ما تقدّم من أمر السيل ، ووافق ذلك ما فى نفس جابر ؛ فتكون القصة واحدة ، لكن روى البخارى فى صحيحه خبرَ جابرٍ مطولا ، وفيه ما لفظه « قال : ودفنت معه آخر فى قبره ، فلم تَطِبْ نفسى أن أنركه مع أحد ، فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته غير هنية عند أذنه » .

فقوله « بعد ستة أشهر » يقتضى أن ذلك ليس هو قصة أمر السيل ؛ لأن المدة فى تلك ست وأربعون سنة .

وروى ابن شبة عن جابر أيضا قال : صرخ بنا إلى قتلانا يومَ أحد حين أجرى معاوية العينَ ، فأتيناهم فأخرجناهم رطاباً تتثنى أجسادهم ، قال سعيد بن عامر أحدُ رواة : وبين الوقتين أربعون سنة .

وقال ابن إسحاق : حدثنى أبى عن رجال من بنى سَلَمَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - حين أصيب عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو يوم أحد - أجمعوا بينهما ؛ فإنهما كانا متصافيين فى الدنيا ، قال أبى : فحدثنى أشياخ من الأنصار قالوا : لما ضرب معاوية عينه التى مرت على قبور الشهداء استضرخنا عليهم ، وقد انفجرت العين عليهما فى قبورهما ، فحُثْنَا فأخرجناهما وعليهما بردتان قد غطى بهما وجوههما ، وعلى أقدامهما شئ من نبات الأرض ، فأخرجناهما يتثنيان تنثيا كأنهما دُفِنَا بالأمس ، نقله البيهقى فى دلائل النبوة .

وعن جابر من حديث طويل قال : فبينما أنا فى النظارين إذ جاءت عَمَّتِي بأبى وخالتى عادتهما على ناضح ، فدخلت بهما المدينة لتدفنهما فى مقابرنا إذ لحق رجل ينادى أن النبى صلى الله عليه وسلم أمركم أن ترجعوا بالقتلى ، فيدفنوا فى مَصَارِعِهِمْ حيث قتلوا ، فرجعناهما ، فدفنناهما حيث قتلنا ، فبينما أنا فى خلافة

معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال: يا جابر، لقد أثار أباك عمال معاوية،
خرج طائفة منه، فأتيته فوجدته على النحو الذي دفنته لم يتغير إلا ما لم يدع
القتل أو القتال، فواريقه، الحديث، رواه أحمد برجال الصحيح خلا نبيح
الغنوي وهو ثقة في الخبرين، فلهذا استأذن النبي صلى الله عليه وآله
قلت: فهذه قصة ثالثة؛ فيؤخذ من مجموع ذلك أن جابرا حفر عن أبيه
ثلاث مرات: الأولى: لعدم طيب نفسه بدفنه مع غيره، ولعله استأذن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم في ذلك فأذن له؛ لما يترتب عليه من ظهور ما يشهد حياة الشهداء وسلامة
أبدانهم، وكان دفنهم مجتمعين للضرورة في ذلك اليوم، أو فهم جابر جواز
ذلك عند زوال تلك الضرورة واتساع الوقت ففعله، وكأنه لما أخرجه دفنه بإزاء
قبر صاحبه وصهره محافظة على القرب من مضرعه، فقد جاء الأمر بدفنهم
في مصارعهم.

والثانية: لما أجرى معاوية رضي الله تعالى عنه العين، وكان في ذلك أيضاً
ظهور المعجزة بحياة الشهداء، فقد أسند ابن الجوزي في مشكله عن جابر قال:
صرخ بنا إلى قتلتنا يوم أحد حين أجرى معاوية رضي الله تعالى عنه العين،
فأخرجناهم بعد أربعين سنة تتقنى أطرافهم لينة أجسادهم، وفي بعض طرقه:
كانهم نائم، حتى أصابت المسحاة قدم حمزة بن عبد المطلب فانبعث دم.
والثالثة: لحفر السيل عنه وعن صاحبه.

وقد روى الواقدي أن قبرهما كان مما يلي السيل، فحفر عنهما وعليهما نمرتان،
وعبد الله قد أصابه جرح في يده فيده على جرحه فأميطت يده عن جرحه فانبعث
الدم، فردت إلى مكانها فسكن الدم، قال جابر: فرأيت أبي في حفرة فكأنه
نائم، وبين ذلك ست وأربعون سنة.

قال: ويقال: إن معاوية لما أراد أن يجري الكظامة نادى مناديه بالمدينة:

مَنْ كَانَ لَهُ قَتِيلٌ بِأَحَدٍ فَلْيَشْهَدْهُ ، فُخْرِجَ النَّاسُ إِلَى قَتْلَاهُمْ ، فَوُجِدُوا مِنْهُمْ رِطَابًا يَتَشْتُونَ ، فَأَصَابَتْ الْمَسْحَاةَ رَجُلٌ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَأَنْبَعَثَ دَمٌ ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ : لَا يَنْكَرُ بَعْدَ هَذَا مَنْكَرٌ ، وَوُجِدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو وَعَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ فَقَالَا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَنَاطَةَ كَانَتْ تَمُرُّ عَلَى قَبْرِهِمَا ، وَلَقَدْ كَانُوا يَجْهَرُونَ التَّرَابَ فَحَفَرُوا ثُبْرَةً مِنْ تَرَابٍ فَاحَ عَلَيْهِمْ رِيحُ الْمَسْكِ .

قلت : وفيه مخالفة لما تقدم عن الصحيح ؛ لاقتضائه بقاءهما في قبر واحد حتى كان إجراء العين ، وفي ذلك كله ظهور المعجزة ، وهو السر في تكرار ذلك . وروى ابن شبة عن أبي قتادة قال : أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت إن قاتلتُ حتى أقتلَ في سبيل الله ترأى أمشي برجلي هذه في الجنة ؟ قال : نعم ، وكانت عَرَجَاءَ ، فقتل يوم أحد هو وابن أخيه ، فمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كَأَنِّي أَرَاكَ تَمْشِي بِرَجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ ، وَأَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمَا وَبِمَوْلَاهُمَا فَجَعَلَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ .

قال أبو غسان : قال الواقدي : مع عمرو في القبر خارجة بن زيد ، وسعد ابن الربيع ، والنعمان بن مالك ، وعبد الله بن الحُسَيْنِ ، قال أبو غسان : وقبرهم مما يلي المغرب من قبر حمزة رضي الله تعالى عنه نحو خمسمائة ذراع .

قال : وأما ما يعرف اليوم من قبور الشهداء فقبر حمزة بن عبد المطلب ، وهو في عُدْوَةِ الْوَادِي الشَّامِيَةِ مِمَّا يَلِي الْجَبَلَ ، وقبر عبد الله بن حَرَامٍ أَبِي جَابِرٍ وَمَعَهُ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ أَيْ فِي الْمَوْضِعِ الْمَتَقَدِّمِ وَصَفَهُ ، وقبر سهل بن قيس بن أبي كعب بن اللَّقَيْنِ بن كعب بن سواد من بني سامة وهو دبر قبر حمزة شاميا بينه وبين الجبل . قال : فأما القبور التي في الحِطَّارِ بِالْحِجَارَةِ بَيْنَ قَبْرِ حَمْزَةَ وَبَيْنَ الْجَبَلِ فَإِنَّهُ بَلَّغْنَا أَنَّهَا قُبُورُ أَعْرَابٍ أَقْحَمُوا زَمَنَ خَالِدٍ إِذْ كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ فَمَاتُوا هُنَاكَ فَدَفِنَهُمْ ، سُؤَالَ كَانُوا يَسْأَلُونَ عِنْدَ قُبُورِ الشَّهَدَاءِ .

قال : وقال الواقدي : هم ماتوا زمن الرمادة .
قلت : زمن الرمادة عام جَدَب مشهور ، كان في خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه .

وأما زمن خالد فيعني به خالد بن عبد الملك بن الحارث ، كان والياً لهشام
ابن عبد الملك فقحط المطر في ولايته سبع سنين ، وفيها جلا الناس من بادية
الحجاز إلى الشام ، ولا يعرف اليوم من قبور الشهداء غير قبر حمزة رضي الله تعالى
عنه كما قاله ابن النجار .

قال : وأما بقية الشهداء فهناك حجارة مرصوة يقال : إنها قبورهم .
قلت : ينبغي أن يسلم على بقيتهم عند قبر حمزة وفي غربيه وشاميه على
النحو المتقدم

وقال المطري ومتابعوه : وشمالى مشهد حمزة رضي الله تعالى عنه آرام من
حجارة يقال : إنها من قبور الشهداء ، ولم يثبت ذلك بنقل صحيح .
وقد ورد في بعض كتب المغازي أن هذه القبور قبور أناس ماتوا عام
الرمادة ، ولا شك أن قبور الشهداء رضي الله تعالى عنهم حول قبر حمزة ؛ إذ
لا ضرورة أن يبعدوا عنه ، انتهى .

قلت : قد تقدم النقل يبعد بعضهم عنه على نحو خمسمائة ذراع في المغرب ،
والمقتضى للبعد الأمر بدفنهم في مصارعهم ، والقبور التي قيل إنها ليست قبورهم
هي التي عليها حائز قصير من الأحجار قرب الجبل .

ذكر قبور من قيل إنه نقل من شهداء أحد ودفن بقبره

من دفن بالمدينة
من قتلى أحد

قال ابن إسحاق : وكان ناس من المسلمين قد احتملوا قتلاهم إلى المدينة
فدفنواهم بها ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال :
ادفنوهم حيث صرعو .

وتقدم في فصل مقبرة بني سامة ما روى من دفن بعض قتلى أحد بها ، منهم
أبو عمرو بن سكن .

وتقدم في فصل قبل هذا أن حُنَيْسَ بنَ حُذَافَةَ تأخرت وفاته فمات بالمدينة ،
ودفن عند عثمان بن مظعون .

وروى ابن شبة عن عبد الرحمن بن عمران عن أبيه قال : نقلنا عبد الله بن
مسلمة والحذر بن زياد فدفناها بقباء .

وقال عبد العزيز : إن رافع بن مالك الزرقى قتل بأحد فدفن في بني زريق ،
قال : وقيل : إن موضع قبره في دار آل نوفل بن مُسَاحِقِ التي في بني زريق التي
في كُتَّابِ عروة .

وعن أبي سعيد الخدري قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقل
من شهداء أحد إلى المدينة أن يدفنوا حيث أدركوا ، فأدرك أبي مالك بن سنان
عند أصحاب العباء فدفن ، ثم قال ابن أبي فديك : فقبره في المسجد الذي عند
أصحاب العباء في طرف الخناطين .

ورواه ابن زبالة بنحوه ، إلا أنه قال : فوافوه بالسوق ، فدفن مالك عند
مسجد أصحاب العباء ، وهناك أحجار الزيت .

قلت : وقد قدمنا بيان مشهده في المشاهد ، ولكن روى الترمذي وقال
حسن صحيح عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : كنا حملنا القتلى يوم أحد لندفنهم ،
فجاءنا منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرنا بدفن القتلى في مصارعهم ،
فرددناهم ، ولم يُحْمَلْ على مَنْ لَمْ يَبْلُغُوا به المدينة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب السادس

في آبارها المباركات ، والعين ، والغراس ، والصدقات التي هي للنبي
صلى الله عليه وسلم منسوبات ، وما يُعْزَى إليه صلى الله عليه وسلم من المساجد ،
والمواضع التي صلى فيها في الأسفار والغزوات ، وفيه خمسة فصول : (١)

فصل الأول في آبارها المباركات

ورتيبتها على حروف المعجم ، معتمداً للأول فالأول من الاسم الذي تضاف إليه البئر ، وختمته بتممة في العين المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، والعين الموجودة اليوم ، وغيرها :

بئر أريس

بئر أريس - بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون المثناة التحتية وإهمال آخره - نسبة إلى رجل من يهود يقال له أريس ، ومعناه بلغة أهل الشام الفلاح .
روينا في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه أنه توضأ في بيته ، ثم خرج فقال : **لَأُزِمَنَّ** رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **وَأُكُونَنَّ** معه يومئذ هذا ، فحاء إلى المسجد ، فسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : خرج ، وجهه ههنا ، قال : فخرجت على أثره أسأل عنه ، حتى دخل بئر أريس ، قال : فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ ، فقامت إليه فإذا هو قد جلس على بئر أريس وتوسط قفها ^(١) وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر ، قال : فسلمت عليه ، ثم انصرفت فجلست عند الباب ، فقلت : **لَأُكُونَنَّ** بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم ، فحاء أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فدفع الباب فقلت : **مَنْ هَذَا ؟** فقال : أبو بكر ، فقلت : **عَلَى رِسَالِكَ** ، قال : ثم ذهبت فقلت : **يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ** ، فقال : **اِئْذِنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ** ، قال : فأقبلت حتى قلت لأبي بكر رضي الله تعالى عنه : **ادْخُلْ** ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة ، قال : فدخل أبو بكر وجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في القف ودلَّى رجله في البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحفني ، فقلت : **إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بَفْلَانٍ خَيْرًا يَأْتِي بِهِ** ، فإذا إنسان يحرك الباب ، فقلت : **مَنْ هَذَا ؟** فقال : عمر بن الخطاب ، فقلت : **عَلَى رِسَالِكَ** ، ثم جئت

(١) القف - بالضم - حجارة عظام ، وأراد ما أحاط بالبئر من بناء أو نحوه .

النبي صلى الله عليه وسلم فسألت عليه وقلت : هذا عمر يستأذن ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، فجئت عمر فقلت : ادخل وبيشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، قال : فدخل فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجله في البئر ، ثم رجعت فجلست فقلت : إن يرد الله بفلان خيرا يعني أخاه يأت به ، فجاء إنسان فحرق الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان ، فقلت : على رسلك ، قال : وجئت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه ، فجئت فقلت : ادخل وبيشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة مع بلوى تصيبك ، قال : فدخل فوجد القف قد ملئ ، فجلس وجأهم من الشق الآخر ، قال شريك : فقال سعيد بن المسيب : فأوثقها قبورهم . قلت : وسيأتي في ترجمة الأسواق واقعة مثل هذه كان البواب فيها بلالا .

وروى أحمد والطبراني من وجوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قصة نحوها أيضا كان هو البواب فيها ، وقال : بحش من حشان المدينة ، وبعض أسانيد رجاله رجال الصحيح ، ولا مانع من تعدد ذلك .

وقد غابر رزين بين بئر أريس وبين البئر التي وقع الجلوس بقفها ، فقال في ذكر الآبار المعروفة بالمدينة : بئر أريس التي سقط فيها الخاتم ، وبئر القف التي أدلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجلهم فيها ، وذكر بقية الآبار . وروينا في صحيح البخاري من حديث أنس قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده وفي يد أبي بكر بعده وفي يد عمر بعده ، وبئر القف التي سقط فيها الخاتم ، فأخرج الخاتم ، فجعل يعيث به ، فسقط ، فقال : فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ، فنزع البئر فلم يجده ، وفي مسند الحميدي عن ابن عمر أنه سقط من معيقب ، وثبت ذلك من روايته في صحيح مسلم . ورواه ابن زبالة عنه على الشك ، فقال : فهو الخاتم الذي سقط من عثمان أو من معيقب في بئر أريس .

وروى عنه النسائي وابن شبة واللفظ له حديث اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتمه من الورق ، ونقشه فيه « محمد رسول الله » وصيرورته في يد عثمان سينين من عمله ، ثم قال فيه : فلما كثرت عليه الكتب دفعه إلى رجل من الأنصار فكان يختم به ، فخرج إلى قليب اثمان فوقع فيها ، فالتمس فلم يوجد ، فأمر بخاتم من ورق فعمل عليه ، ونقش « محمد رسول الله » .

ومعيقب دؤسي من أصحاب المهجرتين ، لكن قد يوصف المهاجري بالأنصاري بالمعنى الأعم ، والجمع بأن نسبة السقوط إلى عثمان رضي الله تعالى عنه مُحاذية لنيابة معيقب عنه بعيد جداً ؛ لقوله في رواية البخاري السابقة « فأخرج الخاتم فجعل يعبت به فسقط » .

وكان سقوطه بعد ست سنين من خلافته ، وكان فيه سر مما كان في خاتم سليمان عليه الصلاة والسلام ؛ لذهاب ملكه عند فقدته ، ولما فقد عثمان الخاتم انتقض عليه الأمر ، وخرج عليه من خرج ، وكان ذلك مبتدأ الفتنة المتصلة إلى آخر الزمان .

وروى ابن زبالة عن ابن كعب القرظي قال : سقط - يعني الخاتم - من عثمان في بئر الخريف التي في بئر أريس ، فعلق عليها اثني عشر ناضحاً فلم يقدر عليه حتى الساعة ، فافتضى أنه لم يكن في بئر أريس نفسها ، ولهذا نقل ابن شبة عن أبي غسان سقوط الخاتم في بئر أريس وأنه قال : وقد سمعت من يقول : إنما سقط في بئر في صدقته يقال لها بئر خريف أي من آبار المال المسمى ببئر أريس ؛ لأن ابن شبة قال أيضاً : قال أبو غسان : ابتاع عثمان بئر أريس وفيها مال يقال له الدومة ، ابتاعه من حي من الأنصار وفيه سهمه الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموال بني النضير ، وفيها كيدمة مال لعبد الرحمن بن عوف ، ثم روى أن عبد الرحمن بن عوف باع كيدمة من عثمان بأربعين ألف دينار ، وأمر عثمان عبد الله بن سعد

ابن أبي سرح فدفعها إليه ، وأنه تصدق بها على أمهات المؤمنين وغيرهن .
وفي رواية أن عبد الرحمن أوصى بكيدمة لأمهات المؤمنين ، فبيعنها من
عبد الله بن سعد بن أبي سرح .

ثم قال : قال أبو غسان : وأما أريس الذي نسب إليه المال فإن عبد العزيز
ابن عمران حدثني عن عنبس العقبي قال : أريس رجل من يهود بني محم ،
وكان له ذلك المال ، وفيه بئر عاضر التي يقول فيها اليهودي :

أَمَرْتُ بِلَالًا أَنْ يعلِقَ دَلْوَهُ عَلَى الْأَعْلِينَ الْيَوْمَ مِنْ بئرِ عَاضِرٍ

فجمعها عثمان رضى الله تعالى عنه في حظائر واحد ، وهي سبعة أموال ، فتصدق
بها ، قال : فحدث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن إبراهيم بن عبد الله بن فروخ عن
أبيه عن جده قال : دخل علينا عثمان بئر أريس ، وقد لفقنا له عذقا منها ، فقال :
ما هذا ؟ فقلنا : لفقناه لك يا أمير المؤمنين ، قال : إنما تصدقتُ بها على ذوى القربى
والفقراء واليتامى والمساكين وابن السبيل ، حتى العافية عافية الطير والسباع ، قال :
وقد كان لصدقة عثمان رضى الله تعالى عنه فيما بلغني ذكر في حَجَرٍ منقوش على
باب بئر أريس فطرحه بعض ولاة المدينة في بئر من تلك الآبار ، انتهى ما نقله
ابن شبة عن أبي غسان ملخصاً .

وسياتى في ترجمة كيدمة أنها سَهْمُ عبد الرحمن بن عوف من بنى النضير ،
وأن بقرب المشرية والجرع المعروف بالحسينات موضع يعرف بكيدام بلفظ الجمع ،
والدومة معروفة اليوم بالعالية قرب بنى قريظة ، وبقربها موضع يعرف
بالدومة أيضاً .

وهذا يشكل على ما هو معروف اليوم ، وبه صرح ابن النجار كالغزالي ،
وتبعه من بعده ، من أن بئر أريس هي للمقابلة لمسجد قباء في غربيه ، ويزيد
الإشكال قوة أن بنى النضير وبنى محم لم يكونوا بقباء ، بل بجهة الدومة المذكورة

وما والاها، كما يعلم مما تقدم في المنازل . ثم قال : *فيما لا يشك في*
 وكنت قد أحجيت عن ذلك باحتمال أن يكون بعض أموالهم كان بقاء وأن
 يكون منها ما يسمى بالدومة وبكيدمة في تلك الجهة ثم نسي تسميته بذلك
 ثم رأيت في كلام ابن زبالة ما يرد ذلك ، ويزيد الإشكال قوة فإنه قال
 في صدقات النبي صلى الله عليه وسلم ما لفظه : وأما الدلال والصفية فإنهما يشربان
 من سرح عثمان بن عفان الذي يشق من مهزور في أمواله ، يأتي على أريس
 وأسفل منه حتى يتبطن السورين ، فصرفه - أي عثمان رضي الله تعالى عنه -
 مخافة على المسجد في بئر أريس ، ثم في عقد أريم في بئحارث بن الخزرج ، ثم
 صرفه إلى بطحان ، انتهى .

والموضع المعروف بقاء لا يمكن وصول شيء من مهزور إليه ، كما يعلم مما سيأتي
 في وصف وادي مهزور ، فالله أعلم .

قال المجد : ومما يُذكر في فضل بئر أريس ما رويناه عن زيد بن خزيمة أنه
 عاش بعد الموت وذكر أموراً : منها ما يدل على فضل هذه البئر ، وسياق الخبر
 عن النعمان بن بشير قال : لما توفي زيد بن خزيمة انتظر به خروج عثمان ،
 فكشف الثوب عن وجهه وقال : السلام عليكم ، قال : وأنا أصلي ، فقلت :
 سبحان الله ، فقال : أنصتوا أنصتوا ، محمد رسول الله ، كان ذلك في الكتاب
 الأول ، صدق صدق صدق ، أبو بكر الصديق ، ضعيف في جسده قوى في أمر الله
 كان ذلك في الكتاب الأول ، صدق صدق صدق ، عمر بن الخطاب ، قوى في
 أمر الله كان ذلك في الكتاب الأول ، صدق صدق صدق ، عثمان بن عفان ،
 اثنتان وبقو أربع ، وأبيحت إلا حي بئر أريس وماء بئر أريس .

من فضل بئر
 أريس

وقد رويت هذه القصة من وجوه عن النعمان بن بشير ، ذكره الذهبي
 في التذهيب .

قلت : رواها ابن شبة بنحوه ، إلا أنه قال في آخرها : بئر أريس يختلف
الناس ، أرجعوا إلى خليفكم فإنه مظلوم .
وقال في رواية أخرى : ثم قال : أخذت بئر أريس ، ثم خفت الصوت .
وروى البيهقي في دلائل النبوة هذه القصة من وجوه ، وقال في بعضها :
إسناده صحيح ، وفسر قوله « اثنتان » بأن ذلك كان بعد مضي سنتين من
خلافة عثمان ، والأربع البواقي من خلافته ، والأمر في بئر أريس سقوط خاتم
النبي صلى الله عليه وسلم فيها بعد ست سنين من خلافة عثمان ، فعند ذلك
تغيرت عماله ، وظهرت أسباب الفتن ، انتهى .

قال المجد : وفي الإحياء للقرابي أن النبي صلى الله عليه وسلم « تفل في بئر
أريس » ولم أجد ذلك عند غيره ، وأعاد المجد ذكر بئر أريس في ترجمة قباء
وقال : إنها التي تفل فيها النبي صلى الله عليه وسلم فعذب بعد أن كان ماؤها
أجاجاً ، ولم ينسبه للقرابي ، وهو في ذلك متابع لابن جبير في رحلته .
وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : إنه لم يقف على أصل
الحديث [في] تفله صلى الله عليه وسلم في بئر أريس .
قلت : ومن الغريب قول ابن جماعة في مناسكه الكبرى في باب الفضائل
« فضل بئر أريس : قد صح أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل فيها ،
وأنه سقط فيها خاتمه » انتهى .

وخرج البيهقي من حديث إبراهيم بن طهمان عن يحيى بن سعيد أنه حدثه أن
أنس بن مالك رضي الله عنه أتاهم بقباء يسأله عن بئر هناك ، فدلتته عليه ، فقال : لقد
كانت هذه وإن الرجل ليمضح على حمارة فتخرج فيستخرجها له ، فجاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بذنوب فسقى ، فإما أن يكون توضأ منه
أو تفل فيه ، ثم أمر به فأعيد في البئر ، فما نزلت بعد ، فرأيتته صلى الله عليه وسلم
بال ثم جاء فتوضأ ومسح على خفيه ثم صلى ، لكن سيأتي في بئر غرس

ما يبين أنها المرادة بذلك ، ولم يعد ابن شبة ولا ابن زباله بئر أريس في الآبار التي كان يُسْتَقَى منها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما ذكرهما ابن شبة في صدقة عثمان ، وذكر سقوط الخاتم فيها مع ما تقدم .

وهذه البئر المعروفة اليوم بقباء من أعذب آبار المدينة .

وذكر ابن النجار أنه ذَرَعَ طولها فكان أربعة عشر ذراعاً وشبراً ، منها ذراعان ونصف ماء ، وعرضها خمسة أذرع ، قال : وطول قفها الذي جلس عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباها ثلاثة أذرع تشف كفاً ، قال : وهي تحت أُطيم حال ، خَرَابٌ من جهة القبلة ، وقد بنى في أعلاه مسكن .

قال المطري ، عقب ذكره أن ذلك المسكن يسكنه مَنْ يقوم بالحديقة ويخدم مسجد قباء .

قلت : وهو اليوم بيد المتكلم على الحديقة صاحبنا الشيخ برهان الدين القطان ، ووقع بينه وبين صاحبنا الفخر العيني مشاجرة بسببه وسبب البئر ؛ لأن الفخر بيده قطعة تحت الحصن المذكور وقطعة أخرى في مقابلة المسجد أنشأها بعض أقاربه هناك ، ثم اصطاحا على السقي بالبئر المذكورة واستمرار الحصن بيد البرهان ، ثم رفعوا قف البئر عما أدركناه عليه نحو ثلاثة أذرع ، وذلك لما بنى متولى العمارة السبيل والبركة للمقابلين لمسجد قباء المتقدم ذكرهما فيه ، وذلك ليتأتى وصول الماء إلى البركة ، وصار طول هذه البئر اليوم على ما ذَرَعَتْهُ تسع عشرة ذراعاً ونصف ذراع ، منها أربعة أذرع ماء ، وذلك بعد تبجيرها .

ولهذه البئر درجة ذكرها المطري ، فقال : وقد حدّد الشيخُ صفى الدين أبو بكر بن أحمد السلامي لهذه البئر درجا ينزل إليها منه مَنْ يريد الوضوء والشرب من الزوار سنة أربع عشرة وسبعائة ، انتهى . وهو مخالف لقول البدر ابن فرحون في ترجمة نجم الدين يوسف الرومي وزير الأمير طفيل : إنه هو الذي أنشأ الدرجة الموجودة اليوم لبئر أريس بقباء عمرها في سنة أربع عشرة وسبعائة ، قال : وكان الجماعة

ذرع
بئر أريس

الخرازون قد ابتدؤا في عمارتها فسألهم أن يتركوا ذلك له ليفوز بحسنتها ، وكان
الحامل لهم على ذلك أنهم كانوا إذا جاؤا إلى مسجد قباء لا يجدون ما يتوضئون
به ، إلا من الحديقة الجعفرية ، فكانوا يتحرجون من دخولها لما سمعوا أنها
مغصوبة من ملائكتها ، انتهى .

وجمع المجد بأن الظاهر أن نجم الدين المذكور أنشأ الدرجة وتشعث ،
فأصلحها صفي الدين وجددها .

قلت : ويرده اتخاذ التاريخ كما سبق . والذي يظهر أن جماعة الخرازين - كما
ترجمهم به البدر - كانوا يسعون في عمارة المساجد وغيرها ، وكانوا فقراء ؛ فيعينهم
الخدم ، وأهل الخير ، وكان صفي الدين له دنيا عظيمة فتخلى عنها ، وله معروف
فكان أنه هو الممد للخرازين بما صرفوا على عمارة الدرج ، وكان المطري يصحب
الجميع ، فالظاهر أنه اطلع على ذلك ، ثم أتم نجم الدين عمارة تلك الدرجة
والله أعلم .

بئر الأعواف ، أحد صدقات النبي صلى الله عليه وسلم الآتية

روى ابن شبة عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : توضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على شفة بئر الأعواف صدقته ، وسال الماء فيها ، ونبتت
نابتة على أثر وضوئه صلى الله عليه وسلم ، ولم تزل فيها حتى الساعة .

وروى ابن زبالة عن عثمان بن كعب قال : طلب رسول الله صلى الله عليه
وسلم سارقا ، فهرب منه ، فنسكه الحجر الذي وضع بين الأعواف صدقة النبي
صلى الله عليه وسلم وبين الشطبية مال ابن عتبة ، فوقع السارق ، فأخذه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وبرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر ومسّه ودعا
له ، فهو الحجر الذي فيما بين الأعواف والشطبية يطلع طرفه يمسّه الناس .

قلت : والأعواف اليوم اسم لجرع كبير في قبلة المربع ، وفي شاميّه
خنافة ، وفيه آبار متعددة ؛ فلا تعرف البئر المذكورة منها ، وكذلك الحجر ؛ لأن

الشطبية غير معروفة اليوم ، ولعلها الموضع المعروف بالعتبي ؛ لقوله في الرواية
المتقدمة : مال ابن عتبة ، والعتبي بحجب الأعواف من المشرق ، فإن كان هو الشطبية
فبئر الأعواف هي البئر التي فيما يلي خُنافة من جرع الأعواف ، وهي اليوم معطلة
لا ماء بها ، ويستأنس لذلك بما نقله ابن زبالة من أن الأعواف كانت لخنافة
اليهودي جد ربحانة رضى الله تعالى عنها .
ولم يذكر المطري ومن تبعه هذه البئر ولا الغلالة بعدها ؛ لسكوت ابن
النجار عنها .

بئر أنا - بضم الهمزة وتخفيف النون كهنا ، وقيل : بالفتح وكسر النون
المشددة بعدها مثناة تحتية ، وقيل : بالفتح والتشديد كحَتَّى ، وضبطه في النهاية
بفتح الهمزة وتشديد الباء الموحدة كحتي ، ذكره في القاموس أيضاً ، وذكره
ياقوت في المشترك له ، وقال : كذا هو مضبوط بخط أبي الحسين بن الفرات ،
ثم قال : وذكر آخرون أنها بئر أنا بضم الهمزة والنون الخفيفة .

روى ابن زبالة عن عبد الحميد بن جعفر قال : ضَرَبَ رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبته حين حاصرَ بني قريظة على بئر أنا ، وصلى في المسجد الذي هناك ،
وشرب من البئر ، وربطَ دابته بالسُدرة التي في أرض مريم ابنة عمران .
وقال ابن إسحاق : لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل
على بئر من آبائها ، وتلاحقَ به الناس ، وهي بئر أنا .

قلت : وهي غير معروفة اليوم ، وناحية بني قريظة عند مسجدهم .
بئر أنس بن مالك بن النضر ، وتضاف أيضاً لأبيه .
وروى ابن زبالة عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استسقى ،
فنزح له دلو من بئر دار أنس ، فسكبَ على اليمين فأتى به فشرب ، وعمر بين يديه
وأبو بكر عن يساره ، وأعرابي عن يمينه ، الحديث ، وهو في الصحيح عن أنس

يلفظ: أتاناً رسول الله صلى الله عليه وسلم في دارنا هذه ، فاستسقى ، فخلبنا شاة لنا ثم شُبَّتْهُ من بئرنا هذه فأعطيته ، الحديث .

وروى ابن شبة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب من بئر أنس التي في دار أنس .

وخرج أبو نعيم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم بَرَقَ في بئر داره ، فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها ، قال : وكانوا إذا حُوصِرُوا استعذب لهم منها ، وكانت تسمى في الجاهلية البرود .

قلت : وهي غير معروفة اليوم ، لكن تقدم عن ابن شبة في البلاط أنه كان له سرب يخرج عند دار أنس بن مالك في بني جديلة ، وتقدم في بيان الحل الذي ضُرِبَ منه اللبنُ للمسجد النبوي أن البئر المعروف اليوم بالرباطية وقف رباط اليمنة في شامى الحديقة المعروفة بالرومية بقرب دار فحل يتبرك بها الفقراء ، كما ذكره الزين المراغى ، وقال : إنها تعرف ببئر أيوب ، وكذلك البئر ذات الدرج التي في شريقها في الحديقة المعروفة بأولاد الصفي تعرف ببئر أيوب أيضاً .

قلت : والمعروف اليوم ببئر أيوب إنما هي الثانية ، والظاهر أنها بئر أبي أيوب الأنصارى ، وأما الأولى فالظاهر أنها بئر أنس ؛ لأنها في جهة السرب الذي ذكره ابن شبة قرب منازل بني جديلة ، ولتبرك الناس بها قديماً ، ولأنها عذبة الماء بحيث يشرب منها كثير من أهل تلك الجهة أيام النقلة في الصيف ، وسيأتى في بئر السقيا أنه كان يستعذب للنبي صلى الله عليه وسلم الماء من بئر مالك بن النضر والد أنس .

وروى ابن شبة عن أنس في ذكر بئرته قال : كان في داري بئر تدعى في الجاهلية البرود ، كان الناس إذا حُوصِرُوا شربوا منها .

وأعلم أن أنس بن مالك بن النضر بن عدى بن النجار قد روى أهل السير أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغ من العمر ست سنين خرجت به أمه إلى طيبة

تَزِيرُهُ أَخْوَالَهُ مِنْ بَنِي عَدَى بْنِ النِّجَارِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَأَحْسَنْتِ الْعُيُومَ فِي بَثْرِهِمْ .

بَثْرُ إِهَاب

بَثْرُ إِهَاب ، وَفِي نَسْخَةِ لَابْنِ زُبَالَةَ « بَثْرُ الْهَاب » وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي اعْتَمَدَهُ الْمَجْد .

رَوَى ابْنُ زُبَالَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بَثْرَ إِهَابَ بِالْحَرَّةِ وَهِيَ يَوْمُئِذٍ لِسَعْدِ بْنِ عُمَانَ ، فَوَجَدَ ابْنَهُ عُبَادَةَ بْنَ سَعْدٍ مَرْبُوطًا بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ يَفْتُلُ ، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَلْبَثْ سَعْدٌ أَنْ جَاءَ فَقَالَ لِابْنِهِ : هَلْ جَاءَكَ أَحَدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَوَصَفَ لَهُ صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَالْحَقُّهُ ، وَحَلَّه ، فَخَرَجَ عُبَادَةُ حَتَّى لَحِقَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِ عُبَادَةَ وَبَرَكَ فِيهِ ، قَالَ : فَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَشَابَّ ، قَالَ : وَبَصُقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَثْرِهَا .

قَالَ : وَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُمَانَ لَوْلَدَهُ : لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّكُمْ لَا تَتَّبِعُونَهَا أَتَقَبِّرْتُمْ فِيهَا ، فَاشْتَرَى نَصْفَهَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، وَابْتَنَى عَلَيْهَا قَصْرَهُ الَّذِي بِالْحَرَّةِ مُقَابِلَ حَوْضِ ابْنِ هِشَامٍ ، وَابْتَعَ نَصْفَهَا الْآخَرَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَيُّوبَ ابْنِ سَلَمَةَ ، وَتَصَدَّقَا بِمَا ابْتَعَا مِنْ ذَلِكَ .

قُلْتُ : وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي حَدِيثِ أَحْمَدَ الْمُتَقَدِّمِ فِي بَدْءِ شَأْنِ الْمَدِينَةِ وَمَا يُؤَلِّ إِلَيْهِ أَمْرُهَا ، لِقَوْلِهِ فِيهِ « خَرَجَ حَتَّى أَتَى بَثْرَ الْإِهَابِ ، قَالَ : يَوْشَكَ أَنْ يَأْتِيَ الْبَنِيَانُ هَذَا الْمَسْكَانَ » .

وَفِي حَدِيثِ عِبَادَةَ الزَّرْقَى أَنَّهُ يَصِيدُ الْقَطَا فَيُرْقَى بَثْرَ إِهَابٍ ، وَكَانَتْ لَهُمْ ، الْحَدِيثُ الْمُتَقَدِّمُ فِي صَيْدِ الْحَرَمِ ، وَهِيَ بِالْحَرَّةِ الْغَرْبِيَّةِ بَثْرُ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا تَعْرِفُ الْيَوْمَ بِهَذَا الْأَسْمِ ، إِلَّا أَنَّ حَوْضَ ابْنِ هِشَامٍ الَّذِي فِي مُقَابِلَتِهَا كَانَ عِنْدَ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ الَّتِي رَجَّحَ الْمَطْرِيُّ أَنَّهَا الْمَسْمُومَةُ الْيَوْمَ بِزَمْزَمٍ كَمَا سَيَأْتِي أَيْضًا فِي خَبَرِ بَثْرِ فَاطِمَةَ

المذكورة ، فلما بنى إبراهيم بن هشام داره بالحرة بعد وفاة فاطمة وأراد نقل السوق إليها صنع في حفرة التي بالحوض مثل ما صنعت فاطمة ، فلقى جبلا ، فسأل إبراهيم بن هشام بن عبد الله بن حسن بن حسن أن يبيعه دار فاطمة ، فباعه إياها ، أى من أجل البئر التي احتفرتها فاطمة في دارها .

وقال المطري : إن ابن زباله ذكر عدة آبار أتاها النبي صلى الله عليه وسلم وشرب منها وتوضأ ، لا نعرف اليوم شيئا منها .

قال : ومن جملة ما ذكر بئر بالحرة الغربية في آخر منزلة النقاء ، وذكر ماسياتي في بئر السقيا .

ثم قال ما لفظه : ومنها بئر أخرى إذا وقفت على هذه - يعنى بئر السقيا - وأنت على جادة الطريق وهى - يعنى السقيا - على يسارك كانت هذه على يمينك ، ولكنها بعيدة عن الطريق قليلا في سند من الحرة قد حوَّطَ حولها ببناء مخصص ، وكان على شفيرها حوض من حجارة تكسر ، ولم يزل أهل المدينة قديما وحديثا يتبركون بها ، ويشربون من ماءها ، وينقل إلى الآفاق منها ، كما ينقل من ماء زمزم ، ويسمونها زمزم أيضا لبركتها .

ثم قال : ولم أعلم أحدا ذكر فيها أثرا يعتمد عليه ، والله أعلم أيتها هى السقيا ؟ الأولى لقربها من الطريق ، أم هذه لتواتر التبرك بها ؟ أولعلمها البئر التي احتفرتها فاطمة بنت الحسين حين أخرجت من بيت جدتها فاطمة الكبرى ، وذكر القصة الآتية في حفرها لبئرها ، ثم قال : إن الظاهر أن هذه هى بئر فاطمة ، والأولى هى السقيا .

قلت : قوله « إن الأولى هى السقيا » هو الصواب كما سيأتى ، وأما قوله « إن الثانية هى بئر فاطمة » فعجيب ؛ لأن مقتضى قوله ومنها أنها من جملة الآبار التي ذكر ابن زباله أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاها وشرب منها ، وبئر فاطمة بنت الحسين هى التي احتفرتها بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما ذكرها ابن

زباله في خبر بناء المسجد ، وذكر في آبار النبي صلى الله عليه وسلم ما قدمناه في بئر إهاب مع بئر السقيا وغيرها من الآبار ، ثم أفردنا ثانيا في سياق ما جاء في الحرة الغربية ، وأيضا فقد ذكر المطري أن البئر المذكورة لم تزل يتبرك بها قديما وحديثا ، وينقل منها الماء إلى الآفاق ، فكيف ترجح أنها المنسوبة لابنة الحسين مع وجود بئر في تلك الجهة ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم إتيانها والبصق فيها ؟ فالذي ترجح عندي أن هذه البئر المعروفة بزمنم هي بئر إهاب ، وقد رأيت عندها مع طرف الجدار الذي بجانبها الدائر على الحديقة آثار قصر قديم كان مبنيا عليها الظاهر أنه قصر إسماعيل بن الوليد الذي ابتناه عليها ، وفي شاميهما بئر أخرى في الحديقة المذكورة يحتمل أنها هي المنسوبة لابنة الحسين ، ولعل حوض ابن هشام كان هناك ، والله أعلم .

بئر البصة

بئر البصة - بضم الموحدة وفتح الصاد المشددة آخره هاء ، كأنها من بص الماء بصا رشح ، كذا قاله المجد - قال : وإن روى بالتخفيف فن وبص يبص وبصا وبصة كوعد يعد وعدا وعدة إذا بلغ ، أو من وبص لي من المال أي أعطاني . قلت : المعروف بين أهل المدينة التخفيف .

وروى ابن زباله وابن عدي من طريقه عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي الشهداء وأبناءهم ، ويتعاهد عيالاتهم ، قال : فجاء يوما أبا سعيد الخدري فقال : هل عندك من سدر أغسل به رأسي فإن اليوم الجمعة ؟ قال : نعم ، فأخرج له سدرًا ، وأخرج معه إلى البصة ، فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ، فصب غسالة رأسه ومراقبة شعره في البصة .

قال ابن النجار : وهذه البئر قريبة من البقيع على طريق الماضي إلى قباء ، وهي بين نخل ، وقد هدمها السيل وطمها ، وفيها ماء أخضر ، وقفت على قفها ، وذرعت طولها ، فكان أحد عشر ذراعا ، منها ذراعا ماء ، وعرضها سبعة أذرع ، وهي مبنية بالحجارة ، ولون مائها إذا انفصل منها أبيض ، وطعمه حلو ، إلا أن

الأجون غلب عليه . وذكر لى الثقة أن أهل المدينة كانوا يَسْتَقُون منها قبل أن يَطْمُها السيل ، اه .

وقد أصلحت بعده ، ولذا قال المطرى : إنها فى حديقة كبيرة محوط عليها بحائط ، وعندها فى الحديقة أيضا بئر أصغر منها ، والناس يختلفون فيهما أنهما بئر البصة ، إلا أن ابن النجار قطعَ بأنها الكبرى القبلية ، وذكر ما تقدم عنه فى طولها وعرضها ، ثم قال : والصغرى عرضها ستة أذرع ، وهى التى تلى أطم مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنهما . قال : وسمعت من أدركت من أكابر الخدام وغيرهم من أهل المدينة يقولون : إنها الكبرى القبلية ، وإن الفقيه الصالح القدوة أبى العباس أحمد بن موسى بن عجيل وغيره من صلحاء اليمن إذا جاؤا للتبرك بالبصة لا يقصدون إلا الكبرى القبلية .

قلت : الظاهر أن ذلك كله ناشئ عما ذكره ابن النجار فى وصفها ، لكن يُرَجَّحُ أنها الصغرى كونها إلى جانب الأطم المذكور ، وقد قال فيه ابن زباله كما تقدم فى المنازل : إنه المسمى بالأجرد ، وإنه الذى يقال لبئر البصة ، كان لمالك ابن سنان ، والكبرى بعيدة عن الأطم المذكور .

وقد ابتنى قاضى المدينة زكى الدين بن أبى الفتح بن صالح تغمده الله برحمته على محل هذا الأطم منزلا حسنا ، وجعل للبئر الصغرى درجا ينزل إليها منه ، وعمر البئر الكبرى أيضا لما استأجر الحديقة لولده بعد أن أجرها هو وشريكه فى النظر فى الولاية السلطانية لغيره ، وهى من جملة أوقاف الفقراء ، وقفها شيخ الخدام عزيز الدولة ريجان البدرى الشهاى على الفقراء الواردين والصادرين للزيارة على ما ذكره المطرى ، قال : وذلك بعد وفاته بعامين أو ثلاثة ، ووفاته سنة سبع وتسعين وستمائة ، اه .

وفى غربى البئر الصغرى بجانب الحديقة من خارجها سبيل للدواب يُسمى منها ، وعليه موقوف قطعة نخل تعرف بالكبدارية شمالى سور المدينة .

بئر بضاعة

بئر بضاعة - بضم الموحدة على المشهور ، وحكى كسرها ، وبفتح الضاد المعجمة ، وأهملها بعضهم ، وبالعين المهملة ، بعدها هاء - غربى يرحاء إلى جهة الشمال ، بينهما غلوة سهم سبق .

روينا في سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدرى ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو يقال له : إنه يُسْتَقَى لك من بئر بضاعة ، وهى بئر تُلْقَى فيها الحوم الكلاب والمحائض وعُذَر الناس - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الماء طهور لا ينجسه شيء » .

ورواه أحمد ، وصححه النسائى ، والترمذى وحسنه ، والدارقطنى وقال فيه « من بئر بضاعة بئر بنى ساعدة » وابن شبة إلا أنه قال « وعُذَر النساء » بدل قوله « وعذَر الناس » وابن ماجه وزاد « لا ينجسه شيء إلا ما غلب عليه ريحه وطعمه ولونه » .

وفى رواية للنسائى عن أبي سعيد قال : مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ من بئر بضاعة ، فقلت : أتتوضأ منها وهى يُطْرَح فيها ما يُكْرَهُ من النتن ؟ فقال « الماء لا ينجسه شيء » .

وروى ابن شبة عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم « بَصَقَ فى بضاعة » . وعنه أيضا : سقيتُ النبي صلى الله عليه وسلم بيدي من بضاعة ، ورواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات إلا أنه قال « من بئر بضاعة » وكذا رواه أحمد .

وروى ابن زبالة وأبو يعلى عن محمد بن أبى يحيى عن أمه قالت : دخلنا على سهل بن سعد فى نسوة فقال : لو أئى سقيتكن من بئر بضاعة لكرهت ذلك ، وقد والله سقيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي منها . وفى الكبير للطبرانى عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم « بَرَكَ على بضاعة » .

ورواه ابن زبالة عن أبي أسيد ، لكن بلفظ «دَعَا لِبُئْرٍ بِضَاعَةَ» . وفي الكبير للطبراني عن مالك بن حمزة بن أبي أسيد الساعدي عن أبيه عن جده أبي أسيد ، وله بُئْرٌ بالمدينة يقال لها بُئْرُ بَضَاعَةَ ، قد بَصَقَ فيها النبي صلى الله عليه وسلم فهي يتبشر بها ويتيمين بها .

قال : فاما قطع أبو أسيد ثمرَ حائِطه جملة في غُرْفَةٍ ، فكانت الغول تخالقه إلى مَشْرِبَتِهِ فتسرق ثمره وتُفْسِدُهُ عليه ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال « تِلْكَ الْغُولُ يَا أَبَا أُسَيْدٍ ، فاستمع عليها ، فإذا سمعت افتتاحها فقل : بسم الله ، أجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الغول : يا أبا أسيد ، أَغْنِيَنِي أَنْ تَكْلِفَنِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَعْطِيكَ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ أَنْ لَا أَخَالَفَكَ إِلَى بَيْتِكَ ، وَأَنْ لَا أُسْرِقَ ثَمْرَكَ ، وَأَدْلِكَ عَلَى آيَةٍ تَقْرُوهَا عَلَى بَيْتِكَ فَلَا يُخَالَفُ إِلَى أَهْلِكَ ، وَتَقْرُوهَا عَلَى إِنْثَاكِ فَلَا يُكْشَفُ غَطَاؤُهُ ، فَأَعْطَتْهُ الْمَوْثِقَ الَّذِي رَضِيَ بِهِ مِنْهَا ، فقالت : الْآيَةُ الَّتِي أَدْلَكَ عَلَيْهَا هِيَ آيَةُ الْكَرْسِيِّ ، ثُمَّ حَكَتْ أَسْنَانَهَا تَضْرِبُ ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ حَيْثُ دَلَّتْهُ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صَدَقَتْ وَهِيَ كَذُوبٌ » قال الحافظ الهيثمي : رجاله وثقوا كلهم ، وفي بعضهم ضعف .

وقال المجد : وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم « أَتَى بُئْرَ بَضَاعَةَ ، فتوضأ من الدَّلْوِ وَرَدَّهَا إِلَى الْبُئْرِ ، وَبَصَقَ فِيهَا ، وَشَرِبَ مِنْ مَائِهَا ، وَكَانَ إِذَا مَرَضَ الْمَرِيضُ فِي أَيَّامِهِ يَقُولُ : اغْسِلُونِي مِنْ مَاءِ بَضَاعَةَ ، فيغسل فكأنما يَنْشِطُ مِنْ عِقَالٍ » . وقالت أسماء بنت أبي بكر : كُنَّا نَغْسِلُ الْمَرَضَى مِنْ بُئْرِ بَضَاعَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَيَعْفُونَ ، اهـ .

قال أبو داود في سننه : سَمِعْتُ قُتَيْبَةَ بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ : سَأَلْتُ قَيْمَ بْنَ بَضَاعَةَ عَنْ حَقِّهَا أَكْثَرَ مَا يَكُونُ فِيهَا الْمَاءُ ، قَالَ : إِلَى الْقَامَةِ ، قُلْتُ : وَإِذَا نَقَصَ ، قَالَ : دُونَ الْعَوْرَةِ ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ عَقِبَهُ : وَقَدَّرْتُ بُئْرَ بَضَاعَةَ بِرَدَائِي ، مَدَدْتُهُ عَلَيْهَا ثُمَّ ذَرَعْتُهُ

فإذا عرضها ستة أذرع ، وسألت الذى فتح باب البستان فأدخلنى إليه : هل غُيِّرَ بناؤها عما كانت عليه ؟ فقال : لا ، ورأيت فيها ماء متغير اللون .

وقال ابن النجار : هذه البئر اليوم فى بستان ، وماؤها عذب طيب ، ولو أنها صافٍ أبيض ، وريحها كذلك ، ويستقى منها كثيرا ، قال : وذرعها فكان طولها أحد عشر ذراعا وشبرا ، منها ذراعان راجحة ماء ، والباقي بناء ، وعرضها ستة أذرع كما ذكر أبو داود .

قلت : وذرعُها فكان ذرعُها كذلك لم يتغير ، إلا أن قُفِّها مرتفع عن الأرض الأصلية ذراعا ونصفا راجحا ، وهى - كما قال المطرى - فى جانب حديقة عند طرف الحديقة الشامى ، والحديقة فى قبلة البئر ، ويستقى منها أهل حديقة أخرى شمالى البئر ، وهى بينهما ، وماؤها عذب طيب مع تعطلها فى زماننا وخراب قُفِّها ، وهى المرادة بما فى صحيح البخارى عن سَهْل بن سعد « إن كفا لنفراح بيوم الجمعة ، كانت لنا عجوز تأخذ من أصول الصلق » وفى رواية له « ترسل إلى بضاعة » قال ابن سامة أى شيخ البخارى : محل بالمدينة ، الحديث .

قال الإسماعيلي : فى هذا بيان أن بئر بضاعة بئر بستان ؛ فيدل على أن قول أبى سعيد « كانت تلقى فيها الحيض وغيرها » أنها كانت تطرح فى البستان فيجرىها المطر ونحوه إلى البئر .

قلت : ومن شاهد بضاعة علم أنه كذلك لأنها فى وَهْدَة ، وحوها ارتفاع ، سيما فى شاميهما ؛ إذا قدر اليوم هناك أقذار لسال بها المطر إليها ، وتلقى الرياح فيها ماتلقى ، وادعى الطحاوى أنها كانت سَيْحًا ، وروى ذلك عن الواقدى ، وإن صَحَّ فلعل المراد به أن الأرض التى حوها كانت المياه تَسِيحُ فيها فتجرُّ الأقدار إليها ؛ لإطباق مؤرخى المدينة العالمين بأخبارها على تسميتها ببئر ، لا كما قال بعض الحنفية : إنها كانت عينا جارية إلى بستانين ، إذ المشاهدة تردُّه كما قاله المجد ، قال : ولو كان كذلك لما صلح أن يقول فيها المريض « اغسلونى من

ماء بضاعة» لأن الجرية الأولى سارت بُصَاق النبي صلى الله عليه وسلم ، وأيضاً فلو كانت قناة جارية وسدت لماخفى آثار مجاريها المنسدة ، والمشاهدة مع الإطباق على أنها البئر المذكورة كافية في الرد .

وقال المجد : بضاعة داربني ساعدة ، وبها هذه البئر ، ونقله الحافظ ابن حجر عن بعضهم ، ومقتضى كلام شيخ البخاري المتقدم أنها اسم للبستان الذي فيه البئر ، والظاهر إطلاقها على الثلاثة ، والله أعلم .

بئر جاسوم ، ويقال جاسم -- بالجيم والسين المهملة - لم يذكرها والتي بعدها بئر جاسوم ابن النجار ومن بعده ، وتقدم في مسجد رائج من رواية ابن شبة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد رائج ، وشرب من جاسوم ، وهي بئر هناك .
وروى هو وابن زبالة أيضاً عن خالد بن رباح أن النبي صلى الله عليه وسلم « شرب من جاسوم بئر أبي الهيثم بن التيهان » .

وعن زيد بن سعد قال : جاء النبي صلى الله عليه وسلم معه أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما إلى أبي الهيثم بن التيهان رضى الله تعالى عنه في جاسوم ، فشرب من جاسوم ، وهي بئر أبي الهيثم ، وصلى في غائطه^(١) .

وروى الواقدي عن الهيثم بن نصر الأسلمي قال : خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ولزمت بابه ، فكنت آتيه بالماء من بئر جاسم ، وهي بئر أبي الهيثم بن التيهان ، وكان ماؤها طيباً ، ولقد دخل يوماً صائماً ومعه أبو بكر على أبي الهيثم ، فقال : هل من ماء بارد؟ فأتاه بشجب^(٢) فيه ماء كأنه الثلج ، فصب منه على لبن عنزله وسقاه ثم قال له : إن لنا عريشا بارداً ، فقل فيه يا رسول الله عندنا ، فدخله وأبو بكر ، وأتى أبو الهيثم بألوان من الرطب ، الحديث ، وأشار الحافظ ابن حجر إلى أنه يؤخذ منه أن هذه القصة هي التي في الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الأنصار ومعه صاحب له ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إن كان عندك ماء بائت هذه الليلة في شجب^(٢) وإلا كثر عنا ، قال : والرجل يحول

(١) الغائط : اسم للسكان المنخفض (٢) الشجب - بفتح فسكون - سقاء يقطع نصفه فيتخذ أسفله دلو .

الماء في حائطه ، فقال الرجل : يا رسول الله عندنا ماء بأنت ، فانطلق إلى العريش ، قال : فانطلق بهما فسكب في قدح ثم حلب عليه من داجن له ، فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شرب الرجل الذي جاء معه .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم ، وتقدم بيان جهتها في مسجد رائج .

بئر جمل

بئر جمل ، بلفظ الجمل من الإبل - روى ابن زبالة عن ابن عبد الله بن رَوَاحَة وأسامَة بن زيد قالاً : ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر جمل ، وذهبنا معه ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل معه بلال ، فقلنا : لا نتوضأ حتى نسأل بلالاً كيف توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالاً : فسألناه ، فقال : تَوَضَّأَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَمَسَحَ عَلَى الْخَفَيْنِ وَالْخَمَارِ ، وفي صحيح البخاري حديث « أَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَحْوِ بَيْرِ جَمَلٍ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ - الْحَدِيثُ » .

وفي رواية للدارقطني « أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْغَائِطِ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ عِنْدَ بَيْرِ جَمَلٍ » .

وفي أخرى له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذَهَبَ نَحْوَ بَيْرِ جَمَلٍ لِيَقْضِيَ حَاجَتَهُ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مُقْبِلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ » .

وفي رواية النسائي « أَقْبَلَ مِنْ نَحْوِ بَيْرِ الْجَمَلِ » وهو من العقيق ، قاله المجد ، قال : وهي بئر معروفة بناحية الجرف بآخر العقيق ، وعليها مال من أموال أهل المدينة ، قال : ويحتمل أنها سميت بجمل مات فيها ، أو برجل اسمه جمل حفرها . قلت : وهي غير معروفة اليوم ، ولم أر من سبق المجد لكونها بالجرف غير ياقوت .

وقوله « وهو من العقيق » لم أره في السنن الصغرى للنسائي ، ويبعده سَوِّقُ الروايات السابقة لقوله « ذهب نحو بئر جمل ليقضى حاجته » وفي أخرى أن الرجل توارى في السكة ، والمعروف بقضاء الحاجة إنما هو ناحية بقيع الحجة ، وهو ناحية

بئر أبي أيوب ، وهناك الموضع المعروف بالمناصع ، وتقدم بيان زقاق المناصع شرق المسجد فيما يلي الشام ، وسبق في الفصل الحادى عشر من الباب الثالث أن ناقته صلى الله عليه وسلم بركت بين أظهر بنى النجار ، أى شرق المسجد النبوى ، ثم نهضت حتى أتت زقاق الحبشى ببئر جمل فبركت ، الحديث ، وهو مؤيد لما قدمناه على أن عند مؤخر المسجد زقاقا يعرف اليوم بخرق الجمل ، وبقرى درب سويقة بئر صغيرة فى زقاق ضيق زعم أهل تلك الناحية أنها هى ، وأظنه غلطا .

وقال المطرى عقب ذكر الآبار التى اقتصر عليها ابن النجار : إنها ست ، والسابعة لا تعرف اليوم ، إلا ما يسمع من قول العامة إنها بئر جمل ، ولم نعلم أين هى ، ولا مَنْ ذكرها غير ما ورد فى حديث البخارى ، وذكر ما قدمناه . ثم قال : ولم يذكر بئر جمل فى السبع المشهورة ، وكأنه لم يقف على ذكر ابن زبالة لها فى الآبار وروايته لما تقدم .

بئر حاء - رويناه فى صحيح البخارى عن أنس قال : كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالا من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بئر حاء ، وكانت مستقبله المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، قال أنس : فلما نزلت هذه الآية (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ) قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن الله عز وجل يقول (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ) وإن أحب أموالى إلى بئر حاء ، وإنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله ، فضّعها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بخ ، ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت ، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقرب بين » قال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه ، وفى رواية له « فجعلها لأبى وحسان » وكانا أقرب إليه منى ، وفى رواية له أيضاً عقب قوله « وإن أحب أموالى إلى بئر حاء » قال : وكانت حديقة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ، ويستظل فيها ،

ويشرب من مأثها ، قال : فهي إلى الله وإلى رسوله أرجو به وذُخْرَه ، فَضَعَهَا
يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بَخِ يا أبا طلحة
ذلك مال رايح ، قد قبلناه منك ، ورددناه عليك ، فاجعله في الأقربين » فتصدقَ
به أبو طلحة على ذوى قرى رحمه ، قال : وكان منهم أبى وحسان ، قال : فباع
حسان حصته منه من معاوية ، فقيل له : تبيع صدقة أبى طلحة ؟ فقال : ألا أبيع
صاعا من تمر بصاع من دراهم ؟ وكانت تلك الحديقة في موضع قصر بنى جديلة
الذى بناه معاوية .

قال الحافظ ابن حجر : وزاد ابن عبد البر في روايته : وكانت دار أبى جعفر
والدار التي تليها إلى قصر بنى جديلة حائطا لأبى طلحة يقال له بيرحاء ، قال :
ومراده بدار أبى جعفر الدار التي صارت إليه وعرفت به ، وهو أبو جعفر المنصور
الخليفة العباسي . وقصر بنى جديلة هي حصّة حسان ، بنى فيها معاوية بن أبى
سفيان هذا القصر ، وأغرب السكرمانى فزعم أن معاوية الذى بنى القصر المذكور
هو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أحد أجداد أبى طلحة .

قلت : منشأ وهمه إضافة القصر إلى بنى جديلة ، وجديلة لقب معاوية المذكور
وهو مردود ، بل إضافته إليهم لكونه بمنزلهم .

قال ابن شبة : وأما قصر بنى جديلة فإن معاوية بن أبى سفيان بنه ليكون
حصنا ، وله بابان : باب شارع على خط بنى جديلة ، وباب في الزاوية الشرقية اليمانية
عند دار محمد بن طلحة التميمي ، وهو اليوم لعبد الله بن مالك الخزاعي قطيعة ، وكان
الذى ولى بناءه لمعاوية الطفيل بن أبى كعب الأنصارى ، وفي وسطه بيرحاء .
ثم روى عقبه عن العطف بن خالد قال : كان حسان يجلس في أجمة فارغ ،
ويجلس معه أصحاب له ، ويضع لهم بساطا يجلسون عليه ، فقال يوما وهو يرى
كثرة من يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب يسلمون :
أَرَى الْجَلَابِيْبَ قَدْ عَزَّوْا وَقَدْ كَثُرُوا وابن العريفة أمسى بَيْضَةَ الْبَلَدِ

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مَنْ لِي مِنْ أَصْحَابِ الْبَسَاطِ ؟
فقال صفوان بن المعطل : أنا لك يا رسول الله منهم ، فخرج إليهم واخترط سيفه ،
فلما رأوه مقبلا عرفوا في وجهه الشر ، ففرُّوا وتبدَّدوا ، وأدرك حسان داخلا بيته ،
فضربه ، فعلق ثُنْتَه ، فبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم عَوَّضَه وأعطاه حائطا ،
فباعه من معاوية بن أبي سفيان بعد ذلك بمال كثير ، فبناه معاوية بن أبي
سفيان قصرا .

وروى أيضا في خبر الإفك عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِيُّ قصة ضرب
صفوان لحسان ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أَحْسِنْ يا حسان في الذي
أصابك ، قال : هي لك يا رسول الله ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عوضا منها بئر حاء ، وهي قصر بني جديلة اليوم بالمدينة ، كانت مالا لأبي طلحة
ابن سهل تصدَّق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه حسان في ضربته
شيرين أمةً قبطية .

وروى ابن زبالة عن أبي بكر بن حزم أن أبا طلحة تصدَّق بمال له كان موضعه
قصر بني جديلة ، فدفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردَّه على أقاربه
أبي بن كعب وحسان بن ثابت وثبيط بن جابر وشداد بن أوس أو أبيه أوس بن
ثابت يعني أخا حسان بن ثابت ، فتقاوموه ، فصار لحسان بن ثابت ، فباعه من
معاوية بن أبي سفيان بمائة ألف درهم ، قال : وكان معاوية قد بنى قصر خل
ليكون حصنا لما كان يتحدث أنه نصيب بني أمية ، وذكر ما سيأتي في قصر
خل ، ثم قال : فلما اشترى بئر حاء بنى قصر بني جديلة في موضعها الذي كان
يخاف من ذلك .

وقال الحافظ ابن حجر : وَيَبْعُ حسان حصته من معاوية دليل على أن
أبا طلحة مَلَكَهم الحديقة المذكورة ، ولم يقفها عليهم ، ويحتمل أنه وقفها وشرط
أن من احتاج إلى بيع حصته جاز له كما قال بجوازه على وغيره .

قلت : وقد اشترط على في صدقته كما حكاه ابن شبة عن نسخة كتاب الصدقة قال ابن النجار : و بير حاء اليوم في وسط حديقة صغيرة جداً ، فيها نخيلات ويزرع حولها ، وعندها بيت مبني على علو من الأرض ، وهي قرية من سور المدينة ، وهي لبعض أهلها ، وماؤها عذب حلو .

وقال المطري : وهي شمالي سور المدينة بينهما الطريق ، وتعرف الآن بالنورية اشتراها بعض النساء النوريين ووقفها على الفقراء والمساكين فنسبت إليها ، قال ابن النجار : وذرعها فكان طولها عشرين ذراعاً ، منها أحد عشر ذراعاً ماء ، والباقي بنيان ، وعرضها ثلاثة أذرع وشبر .

قلت : وهي اليوم على هذا النعت ، وفي قبلتها مسجد ليس من بناء الأقدمين لم يذكره ابن النجار ولا المطري ، وكأنه لما حدث بعدها . وذكره المجد فقال : وفي بير حاء بير قرية الرشاء ضيقة القنا طيبة الماء ، وأمامها إلى القبلة مسجد صغير في وسط الحديقة .

قلت : وقوله في حديث الصحيح « وكانت مستقبلة المسجد » معناه أن المسجد في جهة قبلتها ، فلا ينافي بعدها عنه على هذه المسافة الموجودة اليوم ، والظاهر أن بعض أرضها كان داخل سور المدينة ؛ لما تقدم من قسمتها وابتناء القصر في بعضها ، ولم أر للفقراء أثراً هناك .

وقد تقدم أن حش أبي طلحة الذي في شامي المسجد منسوب إلى أبي طلحة صاحبها ، فربما كانت أمواله ممتدة إلى هناك . وأما دار محمد بن طلحة التيمي التي ذكر ابن شبة أنه أحد بني القصر المبني عليها عنده فيظهر أنها غير دار إبراهيم ابن محمد بن طلحة التي هي من دار جده طلحة المتقدم ذكرها في الدور المطيعة بالمسجد ، لنسبتها لإبراهيم بن محمد ، ونسبة هذه لأبيه ؛ فلا يقدح ذلك في كون بير حاء هي المعروفة اليوم ، والله أعلم .

تنبيه - في ضبط بير حاء ، وقد أفرد له بعضهم مصنفاً ذكر المجد ملخصه ،

وقد اختلف الناس في ضبطه ، قال صاحب النهاية : بير حاء بفتح الباء وكسر ها ، ضبط بير حاء و بفتح الراء وضمها ، وبالمد فيهما ، و بفتحهما والقصر ، قال الزمخشري : بير حاء اسم أرض كانت لأبي طلحة ، وكأنها فيعلى من البراح ، وهى الأرض المنكشفة الظاهرة ، وقال مرة : رأيت محدثي مكة يقولون بير حاء على الإضافة ، وحاء : من اسم القبائل ، وقيل : اسم رجل ، وعلى هذا يكون منونا ، قال ياقوت : بير حاء بوزن خيزل ، وقيل لى بير حاء مضاف إليه ممدود ، قال : ورواية المغاربة قاطبة الإضافة ، وإعراب الراء بالرفع والجر والنصب ، وحاء على لفظ الحاء من حروف المعجم .

وقال أبو عبيد البكري : حاء-على وزن حرف الهجاء - بالمدينة ، مستقبلة المسجد ، إنها ينسب بير حاء ، فالاسم مركب .

قال الحافظ ابن حجر : اختلف فى حاء هل هو رجل أو امرأة أو مكان أضيف إليه البير ، أو هى كلمة زجر للإبل ، وكانت الإبل ترعى هناك وتزجر بهذه اللفظة فأضيفت البير إلى اللفظة ، قال الباجي : أسكر أبو بكر الأصم الإعراب فى الراء ، وقال : إنما هو بفتح الراء على كل حال ، قال : وعليه أدركت أهل العلم بالمشرق .

وقال أبو عبد الله الصوري : إنما هو بفتح الباء والراء فى كل حال ، بمعنى أنه كلمة واحدة ، قال عياض : وعلى رواية الأندلسيين ضبطنا هذا الحرف عن أبى جعفر فى كتاب مسلم بكسر الباء وفتح الراء ، وبكسر الراء و بفتح الباء والقصر ، ضبطناه فى الموطأ عن أبى عنان وغيره ، وبضم الراء وفتحها معا قيدناه عن الأصيلي ، وقد رَوَاهُ من طريق حماد بن سلمة بريحا ، هكذا ضبطناه عن شيوخنا فيما قيدوه عن البدرى وغيره ، ولم أسمع فيه خلافا ، إلا أنى وجدت الحميدى ذكر فى اختصاره عن حماد بن سلمة بير حاء ، كما قال الصوري ، ورواية الرازى فى مسلم فى حديث مالك بريحا ، وهو وهم ، وإنما هذا فى حديث حماد ، وإنما

لملك بير حاكماً قيد الجميع على اختلافهم . وذكر أبو داود في مصنفه هذا الحديث بخلاف ما تقدم فقال : جَعَلْتُ أَرْضِي بَارِيحًا ، وهذا كله يدل على أنها ليست ببئر ، انتهى كلام عياض .

قل الحافظ ابن حجر : قول أبي داود بَارِيحًا بِإِشْبَاعِ الموحدة ، ووهم من ضبطه بكسر الموحدة وفتح الهمزة فإن أريحاء من الأرض المقدسة ، ويحتمل أن كان محفوظاً أن تكون سميت باسمها .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « ذلك مال راجح ، أو قال رايح » فالأول بالموحدة أى ذو ربح ، والثانى بالثناة التحتيّة ، أى يَرُوح نفعه لقر به ، أى يصل إليك فى الرواح ، ولا يَعْزُب ، قال شاعر :

سَأَطْلُبُ مَالاً بِالْمَدِينَةِ ؛ إِنِّى إِلَى عَازِبِ الْأَمْوَالِ قُلْتُ فَوَاضِلُهُ

بئر حلوة - بالحاء المهملة - لم يذكرها والى بعدها ابن النجار ومن بعده ، وذكرها ابن زبالة ، فروى عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر عن أبيه قال : نَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَزُورًا ، فَبَعَثَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ مِنْهَا بِالسَّكْتَفِ ، فَتَكَلَّمَتْ فِي ذَلِكَ بِكَلَامٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « أَتُنْتِ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ » وَهَجَرَهُنَّ ، وَكَانَ يَقِيلُ تَحْتَ أَرَاكَةِ عَلَى حُلْوَةِ بئرٍ كَانَتْ فِي الزَّقَاقِ الَّذِى فِيهِ دَارُ آمَنَةَ بِنْتِ سَعْدٍ ، وَبِهِ سَمِيَ الزَّقَاقُ حُلْوَةً ، وَبُيِّتَ فِي مَشْرِبَةٍ لَهُ ، فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعَ وَعَشْرُونَ لَيْلَةً دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى عَائِشَةَ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ آلَيْتَ شَهْرًا ، قَالَ : إِنْ الشَّهْرَ تِسْعَ وَعَشْرُونَ .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم بعينها ، وتقدم بيان جملتها فى الدور التى فى ميسرة البلاط عند ذكر دار حُوَيْطَبِ بْنِ عَبْدِ الْعِزَّى .

بئر ذرع - بالذال المعجمة - وهى بئر بنى خَطْمَةَ ، وروى ابن زبالة حديث « أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَنِي خَطْمَةَ فَصَلَّى فِي بَيْتِ الْعَجُوزِ ،

بئر حلوة

بئر ذرع

ثم خرج منه فصلى في مسجد بني خطمة ، ثم مضى إلى بئرهم ذرع فجلس في قفها ، فتوضأ وبصق فيها .

وروى ابن شبة عن الحارث بن الفضل أن النبي صلى الله عليه وسلم « توضأ من ذرع بئر بني خطمة التي بفناء مسجدهم » ، وفي رواية : « وصلى في مسجدهم » .

وفي رواية عن رجل من الأنصار أن النبي صلى الله عليه وسلم « بصق في ذرع بئر بني خطمة » .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم ، ويؤخذ بيان جهتها مما تقدم في مسجد بني خطمة .

بئر رومة - بضم الراء ، وسكون الواو ، وفتح الميم ، بعدها هاء ، وقيل رومة بعد الراء همزة ساكنة - روى ابن زبالة حديث : « نعم القليب قليب المزني فاشترها يا عثمان ، فتصدق بها » وحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الخفيرة خفيرة المزني » يعني رومة ، فلما سمع ذلك عثمان بن عفان ابتاع نصفها بمائة بكرة ، وتصدق بها ، فجعل الناس يسقون منها ، فلما رأى صاحبها أن قد امتنع منه ما كان يصيب عليها باع من عثمان النصف الثاني بشيء يسير فتصدق بها كلها .

وروى ابن شبة عن عدى بن ثابت قال : أصاب رجل من مزينة بئراً يقال لها رومة ، فذكرت لعثمان بن عفان وهو خليفة ، فابتاعها بثلاثين ألف درهم من مال المسامين ، وتصدق بها عليهم .

قلت : في سنده متروك ، ولذا قال الزبير بن بكار بعد روايته في عتيقة : وليس هذا بشيء ، وثبت عندنا أن عثمان اشتراها بماله وتصدق بها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وقال ابن أبي الزناد : أخبرني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« نعم الصدقة صدقة عثمان » يريد رومة .

وقال محمد بن يحيى : أخبرني غير واحد من أهل البلد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « نعم القليب قليب المزني » .

وروى ابن شبة أيضاً عن أبي قلابة قال : لما كانوا بباب عثمان وأرادوا قتله أشرف عليهم ، فذكر أشياء ، ثم ناشداهم الله فأعظم النشدة : هل تعلمون أن رومة كان لفلان اليهودي لا يسقي منها أحداً قطرة إلا بثمن ، فاشتريتها بمالي بأربعين ألفاً ، فجعلت شربي فيها وشرب رجل من المسلمين سواء ، ما استأثرتها عليهم ؟ قالوا : قد علمنا ذلك .

وعن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ يشتري رومة بشرب رِواء في الجنة ؟ فاشتراها عثمان رضي الله تعالى عنه من ماله فتصدق بها .

وعن عبد الرحمن بن حبيب السلمي قال : قال عثمان رضي الله تعالى عنه : أنشدكم الله ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ اشترى بئر رومة فله مثلها من الجنة ، وكان الناس لا يشربون منها إلا بثمن ، فاشتريتها بمالي فجعلتها للفقير والغني وابن السبيل ؟ فقال الناس : نعم .

وعن أسامة الليثي قال : لما حُصرَ عثمان رضي الله تعالى عنه أرسل إلى عمار ابن ياسر يطلب أن يدخل عليه رَوَايَا ماء ، فطلب له ذلك عمار من طَلْحَة ، فأبى عليه ، فقال عمار : سبحان الله ! اشترى عثمان هذه البئر - يعني رومة - بكذا وكذا ألفاً ، فتصدق به على الناس ، وهؤلاء يمنعونه أن يشرب منها ! .

وروى النسائي والترمذي وحسنه عن عثمان أنه قال : أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة ، فقال : مَنْ يشري بئر رومة يجعل دَلْوَهُ مع دلاء المسلمين - الحديث .

وفي صحيح البخاري عن عبد الرحمن السلمي أن عثمان حيث حُوصِرَ أشرف عليهم وقال : أنشدكم بالله ، ولا أنشد إلا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مَنْ حَفَرَ بئرَ رومةَ فله الجنة ؟ فحفرتها - الحديث ، وفيه : وصدقوه بما قال .

وللنسائي من طريق الأحنف بن قيس أن الذين صدقوه بذلك علي بن أبي طالب وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص . ورواه ابن شبة من حديث الأحنف إلا أنه قال : أنشدكم الله الذي لا إلهَ إلا هو ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ يبتاعَ بئرَ رومةَ غفر الله له ، فابتعتها بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إني ابتعت بئرَ رومة ، فقال : اجعلها سقاية للمسلمين ، وآخرها لك ؟ قالوا : نعم .

وقال ابن بطلال في الكلام على رواية البخاري قوله : « فحفرها عثمان » وهم في بعض الروايات ، والمعروف أن عثمان اشتراها ، لا أنه حفرها ، قال الحافظ ابن حجر عقبه : المشهور في الروايات كما قال ، لكن لا يتعين الوهم ؛ فقد روى البغوي في الصحابة من طريق بشر بن بشير الأسلمي عن أبيه قال : لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء ، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة ، وكان يبيع منها القرية بحد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعنيها بعين في الجنة ، فقال : يا رسول الله ليس لي وعيالي غيرها ، ولا أستطيع ذلك ، فبلغ ذلك عثمان ، فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أتجعل لي مثل الذي جعلت له عيناً في الجنة إن اشتريتها ؟ قال : نعم ، قال : قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين ، قال الحافظ ابن حجر : وإذا كانت أولاً عيناً فلا مانع أن يحفر فيها عثمان بئراً ، ولعل العين كانت تجري إلى بئر فوسّعها أو طولها فنسب حفرها إليه ، انتهى .

قلت : الإشكال ليس في ذكر وقوع حفر عثمان لها فقط ، بل في كون

الترغيب فيها بلفظ « مَنْ حفر » إلى آخره ؛ فطريق الجمع أن يكون صلى الله عليه وسلم قال أولاً : « من اشترى بئر رومة » فاشتراها عثمان ، ثم احتاجت إلى الحفر فقال : « مَنْ حفر بئر رومة » فحفرها ، وتسميتها في هذه الرواية عيناً غريب جداً ، ولعله لاشتمال البئر على ما ينبع فيها مقابلة لها بعين في الجنة .

وقال المجد : قال أبو عبد الله بن منده : رومة الغفاري صاحب بئر رومة ، وروى حديثه ، وساق السند إلى بشر بن بشير الأسامي عن أبيه قال : لما قدم المهاجرون ، وساق الحديث المتقدم ، ثم قال المجد : كذا قال رومة الغفاري ، ثم قال : عين يقال لها رومة .

وقال أبو بكر الحازمي أيضاً : هذه البئر تنسب إلى رومة الغفاري ، ولم يسمها عيناً ، والجمع بين هذا وبين قوله في الحديث المتقدم « نعم الحفير حفيرة المزني » يعني رومة أن الذي احتفرها كان من مزينة ثم ملكها رومة الغفاري ، وذكر ابن عبد البر أنها كانت ركية ليهودي يبيع ماءها من المسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها شرب في الجنة ؟ فأتى عثمان اليهودي فساومه بها ، فأبى أن يبيعها كلها ، فاشترى عثمان نصفها باثني عشر ألف درهم ، فجعله للمسلمين ، فقال له عثمان : إن شئت جعلت لنصيبي قر بين ، وإن شئت فلي يوم ولك يوم ، فقال : بل لك يوم ولي يوم ، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين ، فلما رأى اليهودي ذلك قال : أفسدت على ركيتي ، فاشترى النصف الآخر ، فاشتراه بثمانية آلاف درهم .

قلت : وهي بئر قديمة جاهلية ؛ لما رواه ابن زبالة عن غير واحد من أهل العلم أن تبعاً اليماني لما قدم المدينة كان منزله بقنّاة ، واحتفر البئر التي يقال لها بئر الملك ، وبه سميت ، فاستووا بئرهم تلك ، فدخلت عليه امرأة من بني زريق يقال لها فكهة ، فشكا إليها وباء بئرهم ، فانطلقت فأخذت حمارين أعرايين ،

فاستقمت له من بئر رومة ، ثم جاءت به ، فشرب فأعجبه وقال : زيدني من هذا الماء ، فكانت تصير إليه به مقامه ، فلما خرج قال لها : يا فكة إنه ليس معنا من الصفراء والبيضاء شيء ، ولكن لك ما تركنا من أزوادنا ومتاعنا ، فلما خرج نقلت ما بقي من أزوادهم ومتاعهم ، فيقال : إنها كانت لم تزل هي وولدها أكثر بنى زريق مالا حتى جاء الإسلام .

وهذه البئر في أسفل وادي العقيق ، قريبة من مجتمع الأسيال ، في براح واسع من الأرض ، وعندها بناء عال بالحجارة والجص قد تهدم .

قال ابن النجار : قيل : إنه كان دارا لليهودي ، وحوها مزارع وآبار كثيرة ، وهي قبلى الجرف وشمالى مسجد القبلتين بعيدة منه ، قال ابن النجار : وقد انقضت خرزتها وأعلامها ، إلا أنها بئر مليحة جدا ، مبنية بالحجارة الموجهة ، قال : وذرعها فكان طولها ثمانية عشر ذراعا ، منها ذراعان ماء وباقيها مطموم بالرمل الذى تسفيه الرياح فيها ، وعرضها ثمانية أذرع ، وماؤها طاف ، وطعمه حلو ، إلا أن الأجون غلب عليه .

وقال المطري : وقد خربت ، ونقضت حجارتها ، وانطمت ، ولم يبق منها اليوم إلا أثرها .

قال الزين المراغى : وقد جددت بعد ذلك ، ورفع بناؤها عن الأرض نحو نصف قامة ، ونزحت فكثر ماؤها ، أحيها كذلك القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن الحب الطبرى قاضى مكة المشرفة فى حدود الخمسين وسبعائة ، قال : فتناوله إن شاء الله تعالى عموم حديث « من حفر بئر رومة فله الجنة » انتهى .

ومن الغريب قول عياض فى مشاركته : بئر رومة بضم الراء بتران مشهوران بالمدينة ، انتهى ، ولم أقف له على أصل .

بئر السقيا - بضم السين المهملة ، وسكون القاف ، من سقاء الغيث وأسقاه - بئر السقيا

تقدم ذكرها في مسجد السقيا في حديث ابن زبالة أن النبي صلى الله عليه وسلم عَرَضَ جيشَ بدرٍ بالسقيا ، وصلى في مسجدِها ، ودعا هناك ، الحديث ، وفيه واسم البئر السقيا ، واسم أرضها الفلجان .

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : قال أبي : يا بني إنا اعترضنا ههنا بالسقيا ، حين قاتلنا اليهود بحسيكة ، فظفروا بهم ، ونحن نرجو أن نظفر ، ثم عرضاً النبي صلى الله عليه وسلم بها متوجهاً إلى بدر ، فإن سلمت ورجعت ابتعتها وإن قتلت فلا تقوتنك ، قال : فخرجت أبتاعها ، فوجدتها لذكوان بن عبد قيس ، ووجدت سعد بن أبي وقاص قد ابتاعها وسبق إليها ، وكان اسم الأرض الفلجان ، واسم البئر السقيا .

قال ابن شبة : قال محمد بن يحيى : سألت عبد العزيز بن عمران عن حسيكة ، وذكر ما سيأتي فيها ، ثم قال : قال أبو غسان : وأخبرني عبد العزيز بن عمران عن راشد بن حفص عن أبيه قال : كان اسم أرض السقيا الفلج ، واسم بئرها السقيا ، وكانت لذكوان بن عبد قيس الزرقى ، فابتاعها منه سعد بن أبي وقاص ببيعيرين .

وروى أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يُسْتَقَى له الماء العذب من بئر السقيا » وفي رواية « من بيوت السقيا » ورواه أبو داود بهذا اللفظ ، وسنده جيد ، وصححه الحاكم .

وروى الواقدي من حديث سلمة امرأة أبي رافع قالت : كان أبو أيوب — حين نزل عنده النبي صلى الله عليه وسلم — يستعذب له الماء من بئر مالك بن النضر والد أنس ، ثم كان أنس وهند وحارثة أبناء أسماء يحملون الماء إلى بيوت نسائه من بيوت السقيا ، وكان رباح الأسود عنده صلى الله عليه وسلم يستقى له من بئر غرس مرة ومن بيوت السقيا مرة .

وتقدم في رابع فصول الباب الثاني مارواه الترمذى وقال حسن صحيح عن

على بن أبي طالب قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كنا بحرة السقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اثقوني بوضوء ، فتوضأ فقام ثم قام فاستقبل القبلة ، الحديث .
وتقدم أيضا حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى بِأَرْضِ سَعْدِ بِأَرْضِ الْحَرَّةِ عِنْدَ بَيْتِ السَّقِيَا - الْحَدِيثُ » .

قلت : وبئر السقيا هذه هي التي ذكر المطري أنها في آخر منزلة النقاء على يسار السالك إلى بئر على بالحرم ، قال : وهي بئر مليحة ، كبيرة ، متنورة في الجبل ، وقد تعطلت وخربت ، وعلى جانبها الشمالي - يعني من جهة المغرب - بناء مستطيل محصص .

قلت : والظاهر أنه كان حوضا أو بركة لورود الحجاج ، كانوا ينزلون بها أيام عمارة المدينة ، ولهذا سمي المطري محلها منزلة النقاء ، وما سيأتي عنه في النقاء مُصَرَّحٌ بذلك ، وكان بعضُ فقهاء العجم قد جَدَّدَها وعَمَّرَها في سنة ثمان وسبعين وسبعائة فصارت تعرف ببئر الأنجم ، كما رأيته بخط الزين المراغي .

قلت : وقد تهدمت وتَشَعَّتْ بعد ذلك ، فجَدَّدَها الجَناب الخواجه البدر بدر الدين بن عليمة سنة ست وثمانين وثمانمائة ، تقبل الله منه وأثابه الجنة بمنه وكرمه .

وتقدم في بئر إهاب أن المطري تردَّد في أن هذه السقيا لقر بها من الطريق أم هي البئر المعروفة اليوم بزوم ؛ لتواتر التبرك بها ، ثم قال : إن الظاهر أن السقيا هي الأولى .

قلت : وهو الصواب ؛ لزوال التردد بما منَّ الله به من الظَّفَر بمسجد السقيا عندها ، كما تقدم فيه ، والظاهر أنها المرادة بقول الغزالي في آداب الزائر : وليغتسل من بئر الحرة ، انتهى ، وذلك لكونها على جادة الطريق ، وكانت مجاورة لأول بيوت المدينة أيام عمارتها .

وقال أبو داود عقب روايته لحديث استعذاب الماء من بيوت السقيا : قال قتيبة : السقيا عين بينها وبين المدينة يومان . قلت : وما ذكره صحيح كما سيأتى فى ترجمتها ، إلا أنها ليست المرادة هنا ، وكأنه لم يطلع على أن بالمدينة بئرا تسمى بذلك ، وقد اغترَّب به المجد فقال : السقيا قريبة جامعة من عمل الفرع ، ثم أورد حديث أبي داود ، وقول صاحب النهاية : السقيا منزل بين مكة والمدينة ، قيل : على يومين ، ومنه حديث « كان يُستَعَذَّبُ له الماء من بيوت السقيا » ثم قال : وقول أبي بكر بن موسى « السقيا بئر بالمدينة منها كان يستقى لرسول الله صلى الله عليه وسلم » محمول على هذا ؛ لأن الفرع من عمل المدينة ، ثم قال : وأما البئر التى على باب المدينة بينها وبين ثنية الوداع أى المدرج بها كما سيأتى عنه فيظنها أهل المدينة أنها هى السقيا المذكورة فى الحديث ، قال : والظاهر أنه وهم ، قال : ومما يؤكد ذلك قوله فى الحديث « من بيوت السقيا » ولم يكن عند هذا البئر بيوت فى وقت ، ولم ينقل ذلك ، وأيضا إنما استعذب له صلى الله عليه وسلم الماء من السقيا لما استَوْخَمُوا مِياه آبار المدينة ، قال : وهذه البئر التى ذكرناها - أى التى بين المدينة والمدرج - كانت لسعد بن أبى وقاص فيما حكاه المطرى ، قال يعنى المطرى : ونقل أن النبى صلى الله عليه وسلم عَرَضَ جيش بدر بالسقيا التى كانت لسعد ، وصلى فى مسجدِها ، ودعا هنالك لأهل المدينة ، وشرب صلى الله عليه وسلم من بئرِها ، ويقال لأرضها « الفلجان » بضم الفاء والجيم ، وهى اليوم مُعَطَّلَةٌ ، وكانت مطمومة فأصلحها بعضُ فقراء العجم ، اهـ . قلت : حملة لكلام أبى بكر بن موسى على ما ذكره ونَقُلْه ما جاء فى السقيا المذكورة عن المطرى يقتضى أنه لم يقف على ما قدمناه عن ابن زبالة وابن شبة ، وأنه لا يرى أن بالمدينة نفسها بئرا تسمى بالسقيا ، وهو وهم مردود ، مع أن المعتمد عندى أن السقيا التى جاء حديث الاستعذاب منها إنما هى سقيا المدينة ، وذلك لوجوه :

الأول: إيراد ابن شبة للحديث في ترجمة آبار المدينة التي كان يستقي له صلى الله عليه وسلم منها .

الثاني : قرّنه لذلك بحديث عرض جيش بدر بها ، وإيراد ابن زبالة في سياق آبار المدينة ، والسقيا التي من عمل الفرع ليست في طريق النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر ؛ لأن تلك الطريق معروفة ، والسقيا المذكورة معروفة أيضا ، وليست في جهتها كما سيأتى في بيان محلها ، وأيضا في حديث جابر المتقدم أنهم اعترضوا بالسقيا عند قتال اليهود بحسيكة مع بيان أن حسيكة بالمدينة نفسها إلى الجرف .

الثالث : ما تقدم أيضا من أنها كانت لبعض بنى زريق من الأنصار ، وتحريض والد جابر له على شرائها ، وأن سعدا سبقه لذلك .

الرابع : ما تقدم في رواية الواقدي من أنه كان يُسْتَقَى له صلى الله عليه وسلم منها مرة ومن بئر غرس مرة ، ويبعد كلّ البعد قرن السقيا التي هي على يومين بل أيام من المدينة كما سيأتى ببئر غرس التي هي بالمدينة .

الخامس : ما في رواية الواقدي أيضا من أن المتعاطى لذلك أبناء أسماء أنس وهند وحارثة ، ومثل هؤلاء إنما يستقون من المدينة وما حولها ؛ لأن سقيا الفرع تحتاج إلى جمال ورجال .

السادس : ما قدمناه في مسجد السقيا من إيراد الأسدي له في المساجد التي تزار بالمدينة ، ثم ذكر في المساجد التي بين الحرمين مسجد السقيا التي هي من عمل الفرع .

السابع : ما قدمناه من الظفر بمسجد بئر السقيا بالمدينة .

الثامن : أن المجد نقل عن الواقدي في ترجمة بُقع أنه بضم الموحدة من السقيا التي بنقّب بنى دينار ، وسنين في نقب بنى دينار أنه الطريق التي في الحرة الغربية إلى العقيق .

وأما قول المجد « إنه لم يكن عند هذه البئر بيوت في وقت ، ولم ينقل ذلك » فمن العجائب ؛ إذ مَنْ تأمل ما حول البئر المذكورة وما قرب منها علم أنه كان هناك قرى كثيرة متصلة ، فضلا عن بيوت ، كما يشهد به آثار الأساسات ونقضُ العمارات ، وليت شعري أين هو من مسجد السقيا الذي أهمله تبعاً لغيره ومن الله بوجوده بسبب التأمل في تلك الأساسات وآثار العمارات ؟ ولما كشف التراب عن محله وجدنا من بنائه ومحرا به نحو نصف ذراع ، وهو مجاور لهذه البئر كما سبق ، وما ذكره من أن الاستعذاب من السقيا إنما كان لما استوخوا آبار المدينة فردود ، بل هو طلب الماء العذب ، وأيضا أنهم لم يستوخوا كل آبارها . وفي الصحيح في قصة بحبيته صلى الله عليه وسلم إلى أبي الهيثم بن التيهان قول زوجته « خرج يستعذب لنا الماء » ورواية الواقدي المتقدمة مُصَرَّحة بوقوع الاستعذاب من بئر مالك بن النضر والد أنس ، وكانت بدار أنس كما تقدم بيانه ، كما سيأتي في بئر غرس الاستعذاب منها أيضا . ثم لو سلمنا أن المراد من حديث أبي داود في الاستعذاب العين التي ذكرها قتبية فهو محمول على أنه كان يستعذب له صلى الله عليه وسلم منها ، إذا نزل قريبا في سفر حجه ونحوه ، أما استعذابه منها إلى المدينة فلا أراه وقع أصلا ، والله أعلم .

بئر العقبة

بئر العقبة - بالعين المهملة ، ثم القاف - قال المجد : ذكرها رزين العبدري في آبار المدينة ، وقال : هي التي أدلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجلهم فيها ، ولم يعين لها موقعا ، والمعروف أن هذه القصة إنما كانت في بئر أريس ، اهـ .

والذي رأيته في كتاب رزين في تعداد الآبار المعروفة بالمدينة ما لفظه : وبئر العين سقط فيها الخاتم ، وبئر القف التي أدلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجلهم فيها ، انتهى . وقد قدمنا في بئر أريس ما يقتضي تعدد الواقعة .

بئر أبي عنبّة - بلفظ واحدة العنب - قال ابن سيد الناس في خبر نقله عن بئر أبي عنبّة ابن سعد في غزوة بدر ، ما لفظه : وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره على بئر أبي عنبّة ، وهى على ميل من المدينة ، فعرض أصحابه ، وردّ من استصغره ، اه . وهذا مستند ما نقله المطرى في الكلام على بئر السقيا حيث قال بعد ذكر عرض جيش بدر بالسقيا : ونقل الحافظ ابن عبد الغنى المقدسى أنه عرض جيشه على بئر أبي عنبّة بالحرة فوق هذه البئر أى السقيا ، إلى المغرب ، ونقل أنها على ميل من المدينة .

قلت : ولعل العرض وقع أولا عند مرورهم بالسقيا ، ثم لما ضرب عسكره على هذه البئر أعاد العرض لرد من استصغر ، ولعل هذه البئر هى المعروفة اليوم ببئر ودى ؛ لا تطابق الوصف المتقدم عليها ، ولأنها أعذب بئر هناك .

وقد روى ابن زبالة عن إبراهيم بن محمد قال : خرجنا نشيع ابن جريج حين خرج إلى مكة ، فلما كنا عند بئر أبي عنبّة قال : ما اسم هذا المكان ؟ فأخبرناه ، فقال : إن عندي فيه حديثا ، ثم ذكر حديث عاصم بن عمر حين اختصم فيه عمر وجَدّته إلى أبي بكر ، فقال عمر : يا خليفة رسول الله ، ابني ويستقى لى من بئر [أبى] عنبّة ، فدل على أن الماء كان يُستعذب منها ، قال المجد : وقد جاء ذكر هذه البئر في غير ما حديث .

بئر العهن - بكسر العين المهملة ، وسكون الهاء ، ونون - ذكر المطرى الآبار التى ذكرها ابن النجار - وهى : أريس ، والبُصّة ، وبُصّاعة ، ورؤمة ، والغرس ، وبيرحاء - ثم قال : والآبار المذكورة ست ، والسابعة لا تعرف اليوم ، ثم ذكر ما تقدم عنه فى بئر جمل .

ثم قال : إلا أنى رأيت حاشية بخط الشيخ أمين الدين بن عساكر على نسخة من « الدرة الثمينة » فى أخبار المدينة « للشيخ محب الدين بن النجار ما مثاله : العدد ينقص عن المشهور بئرا واحدة ؛ لأن المثبت ست ، والمأثور المشهور سبع ،

والسابعة اسمها « بئر العهن » بالعالية ، يزرع عليها اليوم ، وعندها سِدْرَة ، ولها اسم آخر مشهورة به .

قال المطري عقبه : و بئر العهن هذه معروفة بالعوالي ، وهي بئر مليحة جدا ، منقورة في الجبل ، وعندها سِدْرَة كما ذكر ، ولا تكاد تعرف أبدا ، وقال الزين المراغي عقب نقله : والسدرة مقطوعة اليوم .

قلت : ولم يذكروا شيئا يتمسك به في فضلها ونسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن لم يزل الناس يتبركون بها . والذي ظهر لي بعد التأمل أنها بئر اليسرة الآتي ذكرها ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليها وتوضأ وبصق فيها ؛ لأن اليسرة بئر بني أمية من الأنصار بمنزلهم كما سيأتي ، و بئر العهن عند منازلهم ، وقد أشار ابن عساكر إلى تسميتها باسم آخر ، فأظنه الاسم المذكور ، والله أعلم .

بئر غَرْس - بضم الغين المعجمة كما رأيته في خط الزين المراغي ، وهو الدائر على ألسنة أهل المدينة ، ويقال « الأغرس » كما يؤخذ مما سيأتي في وادي بطحان أول الفصل الخامس ، وقال المجد : بئر الغَرْس بفتح الغين وسكون الراء وسين مهملة ، والغَرْس : الفَسِيل ، أو الشجر الذي يُغْرَس لينبت ، مصدر غَرَسَ الشجر ، قال : وضبطه بعض الناس بالتحريك مثال سَحَر ، وسمعت كثيرا من أهل المدينة يضمون الغين ، قال : والصواب الذي لا يحيد عنه ما قدمته ، أي من الفتح - وهي بئر بقاء في شرقي مسجد لها ، على نصف ميل إلى جهة الشمال ، وهي بين النخيل ، ويعرف مكانها اليوم وما حولها بالغَرْس ، قال : وحولها مقابر بني حنظلة .

قلت : وأظنه تصحيفا ، والمذكور في جهتها بنو خطمة ، وقد تقدم في بئر السقيا أن رباحا الأسود عبد النبي صلى الله عليه وسلم كان يستقي له من بئر غَرْس مرة ومن بيوت السقيا مرة .

بئر غرس

بئر غرس

وروى ابن حبان في الثقات عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال : انتؤني بماء من بئر غرس ؛ فإني رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ .

وفي سنن ابن ماجه بسند جيد عن علي رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أنا مُتُّ فاغسلوني بسبع قرب من بئر بئر غرس » وكانت بقاء ، وكان يشرب منها .

ورواه يحيى عن عليّ بلفظ : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا علي ، إذا أنا مُتُّ فاغسلني من بئر بئر غرس بسبع قرب لم تحلل أو كيتهن » .
وروى ابن سعد في طبقاته رجال الصحيح عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي ابن الحسين رضي الله تعالى عنهم قال : غسل النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات بماء وسدر ، وغسل في قيص ، وغسل من بئر يقال لها الغرس لسعد بن خيثة بقاء ، وكان يشرب منها .

وروى ابن شبة بسند صحيح عنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم غسل من بئر سعد بن خيثة بئر كان يُستغذَّب له منها ، وفي رواية : من بئر سعد بن خيثة بئر يقال لها الغرس بقاء كان يشرب منها .

وروى أيضاً عن سعيد بن رقيش أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ من بئر الأغرس ، وأهراق بقية وضوئه فيها .

وروى ابن زبالة عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش قال : جاءنا أنس بن مالك بقاء فقال : أين بئركم هذه ؟ يعني بئر غرس ، فدللناه عليها ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم جاءها ، وإنها لتسني على حمار ، بسحر ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بدلو من ماءها ، فتوضأ منه ثم سكبها فيها ، فما ترففت بعد .

وعن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع مرسل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني رأيتُ الليلةُ أني أصبحتُ على بئرٍ من الجنة ، فأصبح على بئرِ غرس ، فتوضأُ منها ، وبرزقَ فيها ، وأهدى له عسلَ فصبه فيها ، وغسل منها حين توفي . ورواه ابن النجار من طريق ابن زبالة ، دون قوله « وأهدى له من عسل إلى آخره » .

وقال المجد : وفي حديث ابن عمر : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد على شفيرِ غرس : رأيتُ الليلةُ كأنني جالس على عين من عيون الجنة ، يعنى بئرِ غرس .

قال : وعن عاصم بن سويد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بعسل فشرب منه ، وأخذ منه شيئاً فقال : هذا لبئرِ بئرِ غرس ، ثم صبّه فيها ، ثم إنه بصقَ فيها ، وغسل منها حين توفي .

قلت : وسبق في أوائل الفصل العاشر من الباب الرابع ما يقتضى أن هذه البئر عند مسجد قباء ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أولَ مقدّمه قباء أنأخ على غدق عندها ، وقدمنا أن الظاهر أنه تصحيف ؛ لخالفته لما هو المعروف في محل هذه البئر .

وقال ابن النجار : هذه البئر بينها وبين مسجد قباء نحو نصف ميل ، وهى فى وسط الصحراء ، وقد خربها السيل وطمّأها ، وفيها ماء أخضر ، إلا أنه عذب طيب ، وريحه الغالب عليه الأجون .

قال : وذرعُها فكان طولها سبعة أذرع شافة منها ذراعان ماء وعرضها عشرة أذرع .

قال المطرى : وهى اليوم ملك لبعض أهل المدينة ، وكانت قد خربت فجددت بعد السبعائة ، وهى كثيرة الماء ، وعرضها عشرة أذرع ، وطولها يزيد على ذلك ، وماؤها يغلب عليه الخضرة ، وهو طيب عذب .

قلت : وقد خربت بعد ذلك ، فابتاعها وما حولها صاحبنا الشيخ العلامة
المقيد خواجه حسين بن الجواد الحسن الخواجهي الشيخ شهاب الدين أحمد
القاواني ، أثابه الله تعالى ، وعمرها وحوط عليها حديقة ، وجعل لها درجة ينزل
إليها منها من داخل الحديقة وخارجها ، وأنشأ بجانبها مسجداً لطيفاً ، ووقفها ،
تقبل الله منه ، وذلك في سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة .

بئر القراصة - لم يذكرها وما بعدها ابن النجار ومن بعده ، ولم أر من
ضبطها ، ولعلها بالقاف وبالراء كما في بعض النسخ ، وفي بعضها بالعين بدل القاف

وروى ابن زبالة عن جابر بن عبد الله قال : لما استشهد أبي عبد الله بن
عمرو بن حرام عرّضت على غرّمائه القراصة ، وكانت له ، أصلها وثمرها بما عليه
من الدين ، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه ، إلا أن يقوّموها قيمة ويرجعوا عليه بما بقي
من الدين ، قال : فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : دَعُهُمْ ،
حتى إذا كان جدادها فجَدَّها في أصولها ، ثم اتتني فأعلمني ، فلما حان جدادها
جَدَّها في أصولها ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه ، فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم في نفرٍ من أصحابه ، فبَصَقَ في بئرها ، ودعا الله أن يؤدي
عن عبد الله بن عمرو ، وقال : اذهب يا جابر إلى غرّماء أبيك فشارِطهم على سعر
وائت بهم فأوفهم ، فخرج جابر فشارطهم على سعر ، وقال : انطلقوا حتى أوفيكم
حقوقكم ، وكان أكبرهم اليهود ، قال : فقال بعضهم لبعض : أما تعجبون من
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن صاحبه ، عرّض أصله وثمره فأبينا ،
ويزعم أنه يوفينا من ثمره ، قال : فجاء بهم حتى أوفاهم حقوقهم ، وفضلَ منها
مثل ما كانوا يجدون كل سنة .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم ، إلا أن جهتها جهة مسجد الخربة ،
وهي في غربي مساجد الفتح ؛ لما تقدم فيه من أنه دبر القراصة ، ويؤيده أن أصل

حديث جابر في أرضه المذكور في الصحيح بطرق وفي بعضها : وكانت لجابر الأرض التي بطريق رومة ، وهذه الجهة بطريق رومة .

وروى أحمد عن جابر قال : قلت : يا رسول الله ، إن أبي ترك ديناً يهودي فقال : يأتيك يوم السبت إن شاء الله تعالى ، وذلك في زمن الترمع استجداد النخل ، فلما كان صبيحة يوم السبت جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليّ في مالي أتى الربيع فتوضاً منه ثم قام إلى المسجد فصلى ركعتين ، ثم دنوت به إلى خيمة لي فبسطت له بجاذاً من شعر ، الحديث ، والله أعلم .

بئر القريصة

بئر القريصة - لم أرَ مَنْ ضبطها ، وأظنها بالقاف والصاد المهملة مصغرة .

روى ابن زبالة عن سعد بن حرام والحارث بن عبيد الله قالوا : توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بئر في القريصة بئر حارثة ، أو شرب ، وبصق فيها ، وسقط فيها خاتمه فنزع .

ثم روى عقبه سقوط الخاتم في بئر أريس .

قلت : وهذه البئر لا تعرف اليوم ، إلا أن في شرق المدينة بقرب القراصة المتقدمة في مسجد القراصة بئراً تعرف بالقريصة مصغر القريصة ، فإن صح الضبط المتقدم فهي المرادة .

بئر اليسرة

بئر اليسرة - من اليسر ضد العسر .

روى ابن زبالة عن سعيد بن عمرو قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني أمية بن زيد ، فوقف على بئر لهم فقال : ما اسمها ؟ قالوا : عسرة ، قال : لا ، واسكن اسمها اليسرة ، قال : فبصق فيها وبرك فيها .

وروى ابن شبة عن محمد بن حارثة الأنصاري عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم سمى بئر بني أمية من الأنصار اليسرة ، وترك عليها وتوضأ وبصق فيها وروى ابن سعد في طبقاته عن عمر بن سلمة أن أبا سلمة بن عبد الأسد لما مات غسل من اليسرة ، بئر بني أمية بن زيد بالعالية ، وكان ينزل هناك حين

تَحَوَّلَ من قباء ، غسل بين قرني البئر ، وكان اسمها في الجاهلية العسرة ، فسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليسرة .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم بهذا الاسم ، والذي يظهر أنها بئر العهن ؛ لما قدمناه فيها .

وقد استقصينا هذا الغرض فبلغ كما ترى نحو عشرين بئرا ، وما اقتضاه كلام بعضهم من انحصار المأثور من ذلك في سبع مردود ، لكن الذي اشتهر من ذلك سبع ، ولهذا قال في الإحياء : ولذلك تقصد الآبار التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب ، وهي سبعة آبار ، طلبا للشفاء ، وتبركا به صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : وهي أى السبعة المشار إليها : بئر أريس ، وبئر حاء ، وبئر رومة ، وبئر غرس ، وبئر بُضَاعَة ، وبئر البصة ، وبئر السقيا ، أو بئر العهن ، أو بئر جمل ؛ فجعل السابعة مترددة بين الآبار الثلاث ، ثم ذكر نحو ما قدمناه في فضائل هذه الآبار إلا العهن فلم يذكر فيها شيئا ؛ لأن الوارد فيها إنما هو باسمها الآخر ولم يشتهر . ثم قال : والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة .

وقد روى الدارمي من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه : صُيِّبُوا عَلَىَّ سَبْعَ قَرَبٍ مِنْ آبَارِ شَتَّى ، وهو عند البخارى دون قوله « من آبار شتى » انتهى .

قلت : ومع ذلك فلا دلالة فيه على أن تلك الآبار السبعة هي المرادة بذلك ، والمشهور عند أهل المدينة أن السابعة هي العهن ، ولهذا قال أبو اليمين ابن الزين المراكى فيما أنشدني عنه أخوه شيخنا العلامة أبو الفرج ناصر الدين المراكى :

إِذَا رُمِيَ آبَارُ النَّبِيِّ بِطَبِيعَةٍ * فَعَدَّتْهَا سَبْعٌ مَقَالًا بِلَا وَهْنٍ
أَرِيسٌ ، وَغَرَسٌ ، رُومَةٌ ، وَبُضَاعَةٌ * كَذَا بُصَّةٌ ، قُلْ بِيرِ حَاءٍ مَعَ الْعِهْنِ

تتمّة

في العين المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وما يتصل بها من العين الموجودة في زماننا ، وغيرها من العيون .

عين كهف
بنى حرام

روى ابن شبة عن عبد الملك بن جابر بن عتيك أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ من العين التي عند كهف بنى حرام ، قال : وسمعت بعض مشيختنا يقول : قد دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الكهف .

وترجم ابن النجار لذكر عين النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم روى من طريق محمد بن الحسن وهو عن ابن زبالة عن موسى بن إبراهيم بن بشير عن طلحة بن حراش قال : كانوا أيام الخندق يخرجون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويخافون البيات ، فيدخلونه كهف بنى حرام ، فيبيت فيه ، حتى إذا أصبح هبط ، قال : وبقّر رسول الله صلى الله عليه وسلم العيينة التي عند الكهف ، فلم تزل تجرى حتى اليوم .

قلت : وهو في كتاب ابن زبالة ، إلا أنه قال فيه : عن طلحة بن حراش عن جابر بن عبد الله ، قال ابن النجار عقبه : وهذه العين في ظاهر المدينة ، وعليها بناء ، وهي في مقابلة المصلى .

قال المطري عقبه : أما الكهف الذي ذكره فمعروف في غربى جبل سلع ، على يمين السالك إلى مسجد الفتح من الطريق القبليّة ، وعلى يسار المتوجه إلى المدينة مستقبل القبلة ، يقابله نخل تعرف بالغميمية ، أى المعروفة اليوم بالنقيبية في بطن وادى بطحان غربى جبل سلع ، قال : وفي الوادى عين تأتى من عوالى المدينة تسقى ماحول المساجد من المزارع وتعرف بعين الخيف خيف شامى ، وتعرف تلك الناحية بالسيح .

قلت : وقد تقدم في مساجد الفتح إيضاح هذا الكهف ، وأن عنده آثار نقر في الجبل ، وليست عين الخيف التي ذكرها المطري بجارية في زماننا ، بل هي منقطعة ، ومجراها معلوم .

وبين ابن النجار بما يأتى عنه في الخندق أنها تأتى من قباء ، وأصلها فيما

يقال معلوم غربى قباء ، وقد شرع فى إجرائها متولى العمارة الجنب الشمسى ابن الزمن ، فتتبع قناتها إلى أن آل إلى الموضع الذى يقال إنه أصلها ، ثم بالغوا فى تنظيفه فلم يجز .

قال المطرى : فأما العين التى ذكر ابن النجار أنها مقابلة المصلى فهى عين الأزرق ، وهو مروان بن الحكم ، أجراها بأمر معاوية رضى الله تعالى عنه ، وهو واليه على المدينة ، وأصلها من قباء المعروف من بئر كبيرة غربى مسجد قباء فى حديقة نخل ، وتجرى إلى المصلى ، وعليها فى المصلى قبة كبيرة مقسومة نصفين ، يخرج الماء منها فى وجهين مدرجين قبلى وشمالى ، وتخرج العين من جهة المشرق ، ثم تأخذ إلى جهة الشمال .

قال : وأما عين النبی صلى الله عليه وسلم التى ذكر ابن النجار فليست تعرف اليوم ، وإن كانت كما قال عند الكهف المذكور فقد دثرت ، وعفا أثرها .

قلت : مراد ابن النجار أن أصلها عند الكهف ، وأنها تجرى إلى الموضع الذى عليه البناء فى مقابلة المصلى ، وقد وافق ابن النجار على ذلك ابن جبير فى رحلته ، فقال : وقبل وصولك سور المدينة من جهة المغرب بمقدار غلوة تلقى الخندق ، وبينه وبين المدينة عن يمين الطريق العين المنسوبة إلى النبی صلى الله عليه وسلم ، وعليها حلق عظيم ، ومستدير ، ومنبع العين وسط ذلك الحلق كأنه الحوض المستطيل ، وتحت سقايات مستطيلات باستطالة الحلق ، وقد ضرب بين كل سقاية وبين الحوض بحدارين ، وهوىمد السقايتين ، ويهبط إليها على أدراج نحو الخمس والعشرين درجة ، وهما لتطهير الناس واستنقاہهم وغسل أثوابهم ، والحوض المذكور لا يتناول منه لغير الاستسقاء خاصة صونا له ، انتهى .

قال المجد : ويشبه أنه اشتبه عليه عين الأزرق بعين النبی صلى الله عليه وسلم قلت : اتفاقه هو وابن النجار على ذلك يبعد الاشتباه ، بل يحتمل أن عين النبی صلى الله عليه وسلم كانت تجرى إلى هذا الموضع ، وكذا عين الأزرق ،

ثم انقطعت الأولى وبقيت الثانية التي هي عين الأزرق .
قال المطري : وقد أخذ الأمير سيف الدين الحسين ابن أبي الهيجاء في حدود
الستين وخمسمائة منها شعبةً من عند مخرجها من القبة ، فساقتها إلى باب المدينة
من باب المصلى ، ثم أوصلها إلى الرحبة التي عند مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم من جهة باب السلام ، أي المقابلة لباب المدرسة الزمنية ، وبها سوق
المدينة اليوم .

قال : وبني لها هناك منهلًا بدرج من تحت الدور ، يستقى منه أهل المدينة ،
وجعل لها مصرفًا من تحت الأرض يشق وسط المدينة على الموضع المعروف بالبلاط ،
أي سوق العطارين اليوم ، وما والاه من منازل الأشراف أمراء المدينة ،
يخرج إلى ظاهر المدينة من جهة الشمال شرق الحصن الذي يسكنه أمير المدينة .
قال : وقد كان جعل منها شعبة صغيرة تدخل إلى صحن المسجد ، وجعل لها
منهلًا بدرج عليه عقد يخرج الماء إليه من فؤارة يقوضاً منها من يحتاج إلى
الوضوء ، وحصل في ذلك انتهاك حرمة المسجد من كشف العورات والاستنجاء
في المسجد ، فسدت لذلك .

قلت : وقد سبق في الفصل الحادي والثلاثين من الباب الخامس عن ابن
النجار في ذكر السقايات التي بالمسجد أن الذي عمل هذا المنهل بعض أمراء
الشام واسمه شامة .

ثم ذكر المطري ووصف مسير العين من القبة التي بالمصلى إلى جهة الشام
فقال : وإذا خرجت العين من القبة التي في المصلى سارت إلى جهة الشمال ، حتى
تصل إلى سور المدينة فتدخل تحته إلى منهل آخر بوجهين مدرجين : أي وهو الذي
عند رحبة حصن الأمير ، ثم تخرج إلى خارج المدينة فتصل إلى منهل آخر بوجهين
مدرجين عند قبر النفس الزكية ، ثم تخرج من هناك وتجتمع هي وما يتحصّل من
مصلها في قناة واحدة إلى البركة التي ينزلها الحجاج ، يعني حجاج الشام ، وهي

التي تقدم عنه في الباب الأول في أثرب أن الحجاج يسمونها عيون حمزة ، أي
لظنهم أنها عين الشهداء ، وأنها تأتي من جهة مشهد سيدنا حمزة ، وليس كذلك ،
إنما تأتي كما قال من قباء من البئر التي في الحديقة المعروفة بالجعفرية ، وإذا جاوزت
مشهد النفس الزكية وَثِيَّةُ الْوَدَاعِ مَرَّتْ من شامي سَلَع على المسجد المعروف
بمسجد الراية ، ولها هناك منهل آخر ، ثم تسير في جهة المغرب فتمر في غربي
الجبيلين اللذين في غربي مساجد الفتح ، وهكذا حتى تصل إلى مغيضها ، وهو
الموضع المسمى بالبركة ، وقد زرع عليها هناك نخيل كثيرة هي اليوم بيد أمراء
المدينة ، وقفر قفاتها ظاهرة في الأماكن التي أشرنا إليها ، ولا مرور لها بالشهداء أصلا
فعين الشهداء غير هذه العين ، وهي المراد بما سبق في سابع فصول الباب الخامس
في ذكر قبور الشهداء بأحد من قول جابر : صرخ بنا إلى قتلانا يوم أحد حين
أجرى معاوية العَيْنَ ، وغيره من الأخبار المذكورة هناك ، وحينئذ فكل من
العينين المذكورتين تنسب إلى معاوية : عين الشهداء ، وهي دائرة اليوم ، ويحتمل
أنها التي كان مَغِيضُهَا عند المسجد المعروف بمصرع حمزة رضي الله تعالى عنه المتقدم
ذكرها في المساجد ، وأن الأمير وديا كان قد جَدَّدَهَا ثم دثرت ، لكن أصلها من
جهة العالية ، وبعض قطرها ظاهر يشهد بذلك .

وقال البدر ابن فرحون في ترجمة نور الدين الشهيد : إنه أجرى العين التي
تحت جبل أحد ، قال : وأظنها عين الشهداء ، فإن العين التي أجراها معاوية
رضي الله تعالى عنه مستبطنة الوادي وقد دثرت ، ورسومها موجودة إلى
اليوم ، انتهى .

والعينُ الموجودةُ اليوم المعروفة بعين الأزرق ، وتسميها العامة العين الزرقاء ،
سميت بذلك لأن مروان الذي أجراها بأمر معاوية كان أزرق العينين ؛
فلذلك لقب بالأزرق .

ومن الغرائب العجيبة ما ذكره المنورقي في جزء ألفه في فضائل الطائف عن الفقيه أبي محمد عبد الله بن حمو البخاري عن شيخ الخدام بالحرم النبوي بدر الشهابي أنه بلغه أن مِيضَاة وقعت في عين الأزرق بالطائف ، فخرجت في عين الأزرق بالمدينة .

ويذكر أنه كان بالمدينة وما حَوْلَهَا عيون كثيرة تجددت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان لمعاوية رضي الله تعالى عنه اهتمام بهذا الباب ، ولهذا كثرت في أيامه الغِلَالُ بأراضي المدينة ، فقد نقل الواقدي في كتاب الحرّة أنه كان بالمدينة على زمن معاوية صَوَافِي كثيرة ، وأن معاوية كان يجِدُّ بالمدينة وأعراضها مائة ألف وَسَقٍ وخمسين ألف وَسَقٍ ، ويحصده مائة ألف وَسَقٍ حنطة .

الفصل الثاني

في صدقاته صلى الله عليه وسلم ، وما غَرَسَهُ بيده الشريفة

روى ابن شبة فيما جاء في أمواله صلى الله عليه وسلم وصدقاته عن ابن شهاب قال : كانت صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالاً مُخَيَّرِيْقٍ لليهودي ، أي بالخاء المعجمة والقف مصغرا .

أصل صدقات
الرسول

قال عبد العزيز - يعني ابن عمران - بلغني أنه كان من بقايا بني قَيْنُقَاعٍ ، ثم رَجَعَ حديث ابن شهاب قال : وأوصى مُخَيَّرِيْقٍ بأمواله للنبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد أحداً فقتل به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مُخَيَّرِيْقٍ سابق يهود ، وسَلَمَانُ سابق فارس ، و بِلَالُ سابق الحبشة .

قال : وأسماء أموال مخيريق التي صارت للنبي صلى الله عليه وسلم : الدلال ، وبرقة ، والأعواف ، والصابية ، والميثب ، وحُسْنَى ، ومشرية أم إبراهيم . فأمّا الصابية وبرقة والدلال والميثب فمجاورات لأعلى الصورين من خلف قصر مروان بن الحكم ، ويسقيها مهزور .

أسماء صدقات
الرسول
ومواضعها

وأما مشربة أم إبراهيم فيسقيها مهزور ، فإذا بلغت بيت مذرّاس اليهود
فحيث مال أبي عبيدة بن عبد الله بن زَمْعَة الأسدي فشربة أم إبراهيم إلى جنبه ،
وذكر ما قدمناه عنه في المساجد في سبب تسميتها بمشربة أم إبراهيم .

ثم قال : وأما حُسْنَى فيسقيها مهزور ، وهي من ناحية القف .
وأما الأعواف فيسقيها مهزور ، وهي من أموال بني محم .
ثم قال : قال أبو غسان : وقد اختلف في الصدقات فقال بعض الناس :
هي أموال بني قريظة والنضير .

وروى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : كانت الدلال لامرأة من بني النضير ،
وكان لها سامان الفارسي ، فكاتبته على أن يحبسها لها ، ثم هو حر ، فأعلم بذلك
النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليها فجلس على فقير ، ثم جعل يحمل إليه الودّي
فيضعه بيده ، فما عدت منها ودية أن طلعت . قال : ثم أفاءها الله على رسوله
صلى الله عليه وسلم ، قال : والذي يظهر عندنا أنها من أموال بني النضير ،
ومما يدل على ذلك أن مهزورا يسقيها ، ولم يزل يسمع أنه لا يسقى إلا أموال
بني النضير .

قلت : فيه نظر ؛ إذ المعروف ببني النضير إنما هو مدين ، ومهزور لبني قريظة .
ثم قال : وقد سمعنا بعض أهل العلم يقول : إن برقة والميثب للزبير بن باطا ،
وهما اللتان غرس سلمان ، وهما مما أفاء الله من أموال بني قريظة . والأعواف :
كانت لخنافة اليهودي من بني قريظة ، والله أعلم ما هو الحق من ذلك .

ثم قال : قال الواقدي : وقف النبي صلى الله عليه وسلم الأعواف وبرقة وقف الرسول
أمواله وميثب والدلال وحسنى والصفاية ومشربة أم إبراهيم سنة سبع من الهجرة ، قال :
وقال الواقدي عن الضحاك بن عثمان عن الزهري قال : هذه الحوائط السبعة من
أموال بني النضير : قال : وقال بسنده لعبد الله بن كعب بن مالك قال : قال
نخير بن يوم أحد : إن أصبت فأموالي لحمد يضعها حيث أراد الله ، فهي عامة

صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وقال عن أيوب بن أبي أيوب عن عثمان بن وثاب قال : ما هي إلا من أموال بني النضير ، لقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد ففرق أموال بخيريق ، اه ما أورده ابن شبة .
وقال المجد : قال الواقدي : كان مُخَيَّرِيقُ أَحَدُ بني النضير حَبْرًا عَالِمًا ، فأمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل ماله وهو سبع حوائط لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحوائط المتقدمة ، ونقل الذهبي عن الواقدي سوى ذكر الحوائط ، لكن في أوقاف الخصاص : قال الواقدي : مُخَيَّرِيقُ لم يسلم ، ولكنه قاتل وهو يهودي ، فلما مات دفن في ناحية من مقبرة المسلمين ، ولم يصل عليه .

وروى ابن زبالة عن محمد بن كعب أن صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أموالا لمخيريق اليهودي ، فلما كان يوم أحد قال لليهود : ألا تنصرون محمدا صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله إنكم لتعلمون أن نصرته حق ، قالوا : اليوم السبت ، قال : فلا سبت لكم ، وأخذ سيفه فمضى مع النبي صلى الله عليه وسلم فقاتل حتى أثبتته الجراح ، فلما حضرته الوفاة قال : أموالي إلى محمد يضعها حيث يشاء .

قال محمد بن طلحة راويه : قال عبد الحميد : وكان ذا مال كثير ، فهي عامة صدقات النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمخيريق خير اليهود ، قال : وهي الدلال ، وذكر الحوائط المتقدمة ، إلا أنه قال : والعواف بدل الأعواف .

وروى أيضاً عن بكر بن أبي ليلى عن مشيخة الأنصار قالوا : كانت أموال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموال بني النضير حشاشين ومزارع وإبلا ، ففقرسها الأمراء بعد ، وعملوها ، وهي سبعة أموال ، وذكر الحوائط المتقدمة .
وعن عثمان بن كعب قال : اختلف الناس في صدقات النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : كانت من أموال بني قريظة والنضير ، قال عثمان بن كعب :

وليس فيها من أموال بني النضير شيء ، إنما صارت أموال بني النضير للمهاجرين
نَفَلًا ، قال : وكانت برقة والميثب للزبير بن بطة .

وقال بعضهم : كانت الدلال من أموال بني ثعلبة من يهود ، وكانت مشربة
أم إبراهيم من أموال بني قُرَيْظَةَ ، وكانت الأعواف لخنافة جد ربحانة ، قال :
ويقال : كانت الأعواف من أموال بني النضير .

وروى أيضاً عن جعفر بن محمد عن أبيه أن سلمان الفارسي كان لناس من
بني النضير ، فكاتبوه على أن يغرس لهم كذا وكذا وَدِيَّةً حتى تبلغ عشر
سَعَقَات ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ضَعْ عند كل فقير وَدِيَّةً ، ثم غدا إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه بيده ، ودعاه ، فما عطبت منها وَدِيَّةً ، ثم أفاءها
الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فهي الميثب صدقة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة .
قلت : يتحصّل من مجموع ما تقدم أن نَحَلَ سَلْمَانَ الذي غَرَسَهُ صلى الله
عليه وسلم هو الدلال ، وقيل : برقة والميثب ، وقيل : الميثب .

وروى أحمد والطبراني برجال الصحيح إلا ابن اسحاق وقد صرح بالسماع
عن سَلْمَانَ الفارسي حديثه الطويل ، وفيه ما يقتضي أنه بالفقير ، وأنه أُمِّرَ
من عامه ، وأنه ذكر فيه عن سلمان أن يهوديا من بني قُرَيْظَةَ ابتاعه من ابن عم
له بوادى القرى ، قال : فاحتملني إلى المدينة ، ثم ذكر خبر إسلامه ، وقال : ثم
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : كَاتِبٌ ، فكاتبْتُ صاحبي على ثلثمائة
نَخْلَةٍ أحييها له بالفقير وأربعين أوقية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَعِينُوا
أَخَاكُمْ ، فأعانوني بالنخل ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلثمائة
وَديَّة ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب يا سلمان فَفَقَّرْ لها ، فإذا
فرغت فائتني أكن أنا أضعها بيدي ، قال : فَفَقَّرْتُ وأعانتني أصحابي ، حتى
إذا فرغت جئته فأخبرته ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي إليها ، فجعلنا
نقرب إليه الْوَدِيَّ ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى فرغنا ، فوالذي

نفسُ سلمان بيدي ما ماتت منها وديةٌ واحدة ، قال : فأدَّيتُ النخلَ وبقي على المالُ ، وذكَّر خبره فيه .

وذكر ابن عبد البر في خبر سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتراه من قوم من اليهود بكذا وكذا درهما ، وعلى أن يغرس لهم كذا وكذا من النخل ، يعمل فيها سلمان حتى يُدرك ، فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخلَ كله إلا نخلة غرسها عمر فأطعم النخلُ كله إلا تلك النخلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ غرسها ؟ قالوا : عمر ، فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها ، وفي رواية أن تلك الودية التي لم تثمر غرسها سلمان .

قلت : والفقيه اسمُ الحديقة بالعالية قُرْبَ بنى قريظة ، وقد خفي ذلك على بعضهم فقال كما نقله ابن سيد الناس : قوله « بالفقيه » الوجهُ إنما هو بالفقير ، انتهى . والصواب أنه اسم لموضع ، وليس هو من صدقات النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكر ابن شبة في كتاب صدقة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الذي كان بيد الحسن بن زيد ما لفظه : والفقيه لي كما قد علمت صدقة في سبيل الله ، لكنه سماه قبل ذلك في أخبار صدقاته بالفقيرين ، مُثَنًى ، فقال : وكان لي صدقات بالمدينة الفقيرين بالعالية وبئر الملك بقناة ، فالظاهر أنه يسمى بكل من اسمين ، وأهل المدينة اليوم ينطقون به مفردا بضم الفاء تصغير الفقير ضد الغنى .

وقد ذكره ابن زبالة مفردا فيما رواه عن محمد بن كعب القرظي قال : كانت بئر غاضر والبرزتان قبضها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأضيافه ، وكانت لسكعب بن أسد ، وكان الفقير لعمر بن سعد ، وصار لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه .

قال : وسمعت من يقول : كانت بئر غاضر والبرزتان من طعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من أموال بني النضير .

قلت : وبئر غاضر اليوم غير معروفة ، وأما البرزتان فحديقتان بالعالية متجاورتان يقال لإحدهما البرزة وللأخرى البريزة مصغرة ، ووقع في النسخة التي وقفت عليها من كتاب ابن شبة : قال أبو غسان سمعت من يقول : كانت بئر غاضر والنويرتين من طعمة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهما من أموال بني قريظة بعالية المدينة ، وقد قيل في ذلك إن بئر غاضر مما دخلت في صدقة عثمان في بئر أريس ، انتهى . وأظن قوله « النويرتين » تصحيفا ، وصوابه البرزتان كما في كتاب ابن زبالة لما قدمناه .

تحديد مواضع
الصدقات
والمعروف
منها

وأما بيان مواضع صدقات النبي صلى الله عليه وسلم المذكورة فقد تقدم أن الصافية وبرقة والدلال والميثب متجاورات بأعلى الصورين ؛ فالصافية معروفة هناك اليوم ، قال الزين المراغي : هي في شرق المدينة الشريفة بجزع زهرة ، ورأيته ضبط بخطه زهرة بضم الزاي مصغرة زهرة لاشتهاره في زمنه بذلك ، وإنما هو زهرة مكبر لما سيأتى في ترجمتها ، وبرقة معروفة أيضا في قبلة المدينة مما يلي المشرق ، ولناحيتهما شهرة بها كما قال المراغي .

والدلال : جزع معروف أيضا قبلي الصافة بقرب المليكي ، وقف فقهاء المدرسة الشهابية كما قاله الزين المراغي أيضا .

والميثب : غير معروف اليوم ، ويؤخذ من وصف هذه الأربعة بكونها متجاورات قربها من الأماكن المذكورة ، ولعله بقرب برقة لما سبق من أنهما اللذان غرسهما سلمان ، وكانا لشخص واحد .

والأعواف : جزع معروف بالعالية بقرب المربع ، كما تقدم بيانه في بئر الأعواف من الفصل قبله .

ومشربة أم إبراهيم : معروفة بالعالية كما تقدم بيانه في المساجد .

وحسنى - ضبطها الزين المراغي كما في خطه بالقلم بضم الحاء وسكون السين المهملتين ثم نون مفتوحة - قال : وروايته كذلك في ابن زبالة بالسين بعد الحاء ،

قال : ولا يعرف اليوم ، ولعله تصحيف من الحناء بالنون بعد الحاء ، وهو معروف اليوم . قلت : حمل ذلك على التصحيف المذكور متعذر ؛ لأنى رأيت بحاء ثم سين ثم نون فى عدة مواضع من كتاب ابن شبة ومن كتاب ابن زباله وغيرهما ، وإن أراد أن أهل زمانه صحّفوه بالحناء فلا يصح أيضاً ؛ لأن الموضع المعروف اليوم بالحناء فى شرقى الماششونية ، لا يشرب بمهزور ، وقد تقدم أن حُسْنى يسقيها مهزور ، وأنها بالقف ، وسيأتى فى بيان القف ما يقتضى أنه ليس بجهة الحناء . والذي يظهر أن حُسْنى هو الموضع المعروف اليوم بالحسينيات بقرب الدلال ، فإنه بجهة القف ، ويشرب بمهزور ، وسيأتى فى القف ما يؤيده .

وهذه الأماكن السبعة هى صدقاته صلى الله عليه وسلم ، ولم أقف على أصل ما قاله رزين العبدري من أن الموضع المعروف بالبويرة بقاء صدقة النبي صلى الله عليه وسلم من النخل ، قال : ولم تزل معروفة للمساكين ، محبوسة عليهم ، وعلى من مرّ بها إلى عهد قريب من تاريخ الخمسمائة كالعشرين سنة ونحوها ، فتغلب عليها بعضُ ولاية المدينة لنفسه ، قال : وبها حصن النضير وحصون قريظة ، انتهى . وهو مردود من وجهين :

أحدهما : أن الأئمة المتقدم ذكرهم مع اعتنائهم بهذا الباب لم يذكروا هذا الموضع فى صدقاته صلى الله عليه وسلم . والثانى : أن ما ذكره من أن بهذا الموضع حصون قريظة والنضير مردود بما قدمناه فى منازلها ، والموضع الذى ذكره فى جهة قبلة المسجد إلى جهة المغرب من منازلها ، وسنبين فى ترجمة البويرة أن هذا الموضع ليس هو البويرة المنسوبة لبنى النضير ، وكأن منشأ ما وقع له تسمية هذا الموضع بالبويرة ، وأن صدقة النبي صلى الله عليه وسلم من أموال النضير أو قريظة ، على ما سبق من خلاف ، وظن أنه المراد .

وهذه الصدقات مما طلبته فاطمة رضي الله تعالى عنها من أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، وكذلك سهمه صلى الله عليه وسلم بخير وفدك .

طلب فاطمة
من أبي بكر
صدقات أيها

وفي الصحيح عن عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أخبرته أن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر رضي الله تعالى عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث » ، ما تركنا صدقة » فغضبت فاطمة ، فهجرت أبا بكر ، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، قال : وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة ، فأبى أبو بكر عليها ذلك . وقال : لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا إذا عملت به ، فأبى أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ ، فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي وعباس ، وأما خيبر وفدك فأمسكهما عمر ، وقال : هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانتا لحقوقه التي تعرفوه .

ورواه ابن شبة ، ولفظه : أن فاطمة رضي الله تعالى عنها أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله على رسوله ، وفاطمة حينئذ تطلب صدقة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر ، فقال أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث » ، ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال » وإني والله لا أغير شيئا من صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأعملن فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا ، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك ، فهجرت فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها على ليلا ، ولم يؤذن بها أبا بكر ، رضي الله تعالى عنهم .

تمت له بابه
يجب ما أن
أبواته

وفي رواية له أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر ، وذكره مختصرا كما في رواية الصحيح أيضاً ، وقال فيه : فهجرته فاطمة فلم تكلمه في ذلك المال حتى ماتت ، وكذا نقل الترمذى عن بعض مشايخه أن معنى قول فاطمة لأبي بكر وعمر « لا أكلمكما » أى في هذا الميراث ، ولا يردده قوله « فهجرته » إذ ليس المراد الهجر الحرام ، بل تركها للقاءه ، والمدة قصيرة ، وقد اشتغلت فيها بحزنها ثم بمرضها ، ويؤيد ذلك ما رواه البيهقى بإسناد صحيح إلى الشعبي مرسلاً أن أبا بكر عاد فاطمة فقال لها على : هذا أبو بكر يستأذن عليك ، قالت : أتحب أن آذن له ؟ قال : نعم ، فأذنت له ، فدخل عليها فرضاها حتى رضيت عليه .

أما سبب غضبها مع احتجاج أبي بكر بما سبق فلاعتقادها تأويله ، قال الحافظ ابن حجر : كأنها اعتقدت تخصيص العموم في قوله « لا نورث » ورأت أن المنافع [لكل] ما خلفه من أرض وعقار لا يمنع أن يورث ، وتمسك أبو بكر بالعموم ، فلما صمم على ذلك انقطعت عنه .

قلت : بقى لذلك تنمة ، وهى أنها فهمت من قوله « ما تركنا صدقة » الوقف ورأت أن حق النظر على الوقف وقبض نمائه والتصرف فيه يورث ، ولهذا طالبت بنصيبها من صدقته بالمدينة ، فكانت ترى أن الحق فى الاستيلاء عليها لها وللعباس رضى الله تعالى عنهما ، وكان العباس وعلى رضى الله تعالى عنهما يعتقدان ما ذهب إليه ، وأبو بكر يرى الأمر فى ذلك إنما هو للإمام ، والدليل على ذلك أن عليا والعباس جاءا إلى عمر يطلبان منه ما طلبت فاطمة من أبي بكر ، مع اعترافهما له بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث » ، ما تركنا صدقة » لما فى الصحيح من قصة دخولهما على عمر يختصمان فيما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من مال بنى النضير ، وقد دفع إليهما ذلك ليعملا فيه بما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به وأبو بكر بعده ، وذلك بحضور عثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد والزبير ، قال فى الصحيح : فقال الرَّهْطُ عثمان وأصحابه : يا أمير المؤمنين

أَقِصْ بَيْنَهُمَا وَأَرِخْ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخِرِ ، فَقَالَ عُمَرُ : عَلَى تَيْدِكُمْ ، أَنْشُدْكُمْ اللَّهُ
الَّذِي يَأْذَنُهُ تَقْوَمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ « لَا نُورْثُ ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً » يَعْنِي نَفْسَهُ ؟ فَقَالَ الرَّهْطُ : قَدْ قَالَ ذَلِكَ ، فَأَقْبَلَ
عُمَرُ عَلَى الْعَبَّاسِ وَعَلَى عَلِيٍّ فَقَالَ : أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ ذَلِكَ ؟ قَالَا : قَدْ قَالَ ذَلِكَ ، قَالَ عُمَرُ : فَإِنِّي أَحَدُكُمْ عَنْ هَذَا
الْأَمْرِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ خَصَّ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْفِيءِ بِشَيْءٍ
لَمْ يَعْطِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ) إِلَى قَوْلِهِ (قَدِيرٌ) فَكَانَتْ
هَذِهِ خَاصَّةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهُ مَا احْتَازَهَا دُونَكُمْ وَلَا اسْتَأْثَرَهَا
عَلَيْكُمْ ، قَدْ أَعْطَاكُمْوهَا وَبَنَاهَا فِيكُمْ حَتَّى بَقِيَ مِنْهَا هَذَا الْمَالُ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً سَتَيْتُهُمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ
فَيَجْعَلُهُ مَجْعَلُ مَالِ اللَّهِ ، فَعَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ حَيَاتِهِ ،
أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ : أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ
هَلْ تَعْلَمَانِ ذَلِكَ ؟ قَالَا : نَعَمْ ، قَالَ عُمَرُ : ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَبِضْتُهَا أَبُو بَكْرٍ ، فَعَمِلَ
فِيهَا بِمَا عَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُ فِيهَا لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ
تَابِعٌ لِلْحَقِّ ، ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ فَكَانَتْ أَنَا وَلِيُّ أَبِي بَكْرٍ فَقَبِضْتُهَا سَنَتَيْنِ مِنْ
إِمَارَتِي ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي فِيهَا لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ ، ثُمَّ جِئْتُمَنِي تَكَلِمَتَانِي وَكَلِمَتُكُمَا
وَاحِدَةٌ وَأَمْرُكُمَا وَاحِدٌ ، جِئْتَنِي يَا عَبَّاسُ تَسْأَلْنِي نَصِيْبَكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ وَجَاءَنِي هَذَا -
يُرِيدُ عَلِيًّا - يَسْأَلْنِي نَصِيْبَ امْرَأَتِهِ مِنْ أَبِيهَا ، فَقُلْتُ لَكُمَا : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ « لَا نُورْثُ ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً » فَلَمَّا بَدَأَ لِي أَنْ أَدْفَعُهُ إِلَيْكُمَا قُلْتُ :
إِنْ شِئْتُمَا دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا عَلَى أَنْ عَلَيْكُمَا عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ لَتَعْمَلَانَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِمَا عَمِلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ وَبِمَا عَمِلْتُ فِيهَا مِنْذُ وَلِيْتُهَا ، فَقُلْتُمَا :
ادْفَعْهَا إِلَيْنَا ، فَبِذَلِكَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا ، فَأَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ ؟ قَالَ

الرهط : نعم ، الحديث من رواية مالك بن أوس ، وهو صريح في مطالبتهما مع اعترافهما بحديث « لَانُورُثُ » فليس محله إلا ما تقدم من أنهما فهما أن ذلك من قبيل الوقف ، وأن ورثة الواقف أولى بالنظر على الموقوف ، سيما وما قبضاه من أموال بني النضير هو صدقة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ولهذا زاد شعيب في آخر الحديث المذكور : قال ابن شهاب : فحدثت بهذا الحديث عروة ، فقال : صدق مالك بن أوس ، أنا سمعت عائشة رضي الله تعالى عنها تقول ، فذكر حديثها ، قال : وكانت هذه الصدقة بيد علي منعها العباس فغلبه عليها ، ثم كانت بيد الحسن ، ثم بيد الحسين ، ثم بيد علي بن حسين والحسن بن الحسن ، ثم بيد زيد بن الحسن ، وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري مثله ، وزاد : قال معمر : ثم كانت بيد عبد الله بن حسن حتى ولي هؤلاء ، يعني بني العباس ، فقبضوها ، وزاد إسماعيل التماسي أن إعراض العباس عنها كان في خلافة عثمان .

وفي سنن أبي داود عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر قصة بني النضير ، وقال في آخرها : فكانت نخل بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، أعطاه الله إياه ، فقال (ما أفاء الله على رسوله منهم - الآية) قال : فأعطى أكثرها للمهاجرين ، وبقي منها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي في أيدي بني فاطمة .

وقال ابن شبة : قال أبو غسان : صدقات النبي صلى الله عليه وسلم اليوم بيد الخليفة : يولى عليها ، ويعزل عنها ، ويقسم ثمرها وغلتها في أهل الحاجة من أهل المدينة على قدر ما يرى من هي في يده .

قال الحافظ بن حجر ، بعد نقل نحو ذلك عنه : وكان ذلك على رأس المائتين ، ثم تغيرت الأمور ، والله المستعان .

قلت : قال الشافعي فيما نقله البيهقي : وصدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم - بأبي هو وأمي - قائمة عندنا ، وصدقة الزبير قريب منها ، وصدقة عمر بن

الخطاب قائمة ، وصدقة عثمان ، وصدقة عليّ ، وصدقة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدقة من لا أحصى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأعراسها .

وذكر المجد في ترجمة فذك ما يقتضى أن الذى دفعه عمر إلى علي والعباس رضى الله تعالى عنهم ووقعت الخصومة فيه هو فذك ، فإنه قال فيها : وهى التى قالت فاطمة رضى الله تعالى عنها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحلنّيهما ، فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : أريد بذلك شهودا ، فشهد لها عليّ ، فطلب شاهدا آخر ، فشهدت لها أم يمن ، فقال : قد علمت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يجوز إلا شهادة رجل وامرأتين ، وانصرفت ، ثم أدّى اجتهاد عمر^(١) لما ولى وفتحت الفتوح ، وكان علي يقول : إن النبى صلى الله عليه وسلم جعلها فى حياته لفاطمة ، وكان العباس يأبى ذلك ، فكانا يختصمان إلى عمر ، فيأبى أن يحكم بينهما ، ويقول : أتما أعرف بشأنكما ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره برد فذك إلى ولد فاطمة ، فكانت فى أيديهم أيامه ، فلما ولى يزيد بن عبد الملك قبضها ، فلم تزل فى بنى أمية حتى ولى أبو العباس السفاح الخلافة ، فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فكان هو القيم عليها يفرقها فى ولد علي ، فلما ولى المنصور وخرج عليه بنو حسن قبضها عنهم ، فلما ولى ابنه المهدي أعادها عليهم ، ثم قبضها موسى بن الهادى ومن بعده إلى أيام المأمون ، فجاءه رسول بنى عليّ فطالب بها ، فأمر أن يسجل لهم بها ، فكتب السجل وقرئ على المأمون ، فقام دُعيل وأنشد :
أصْبَحَ وَجْهُ الزمان قد ضحكَا برَدَ مأمونٍ هاشمٍ فدَكا

(١) الكلام لا يتم إلا بذكر ما أدى إليه اجتهاد عمر رضى الله تعالى عنه ، والمراد مفهوم ، وهو أنه دفعها إليهم .

قلت : ورواية الصحيح السابقة عن عائشة ترد ما ذكره من دفع عمر فذك
لعلى وعباس واختصامهما فيها ؛ لقول عائشة رضى الله تعالى عنها : وأما خير وفدك
فأمسكهما عمر ، وكذلك ما ذكره من أن عمر بن عبد العزيز رد فذك إلى ولد
فاطمة موافق لما نقله هو عن ياقوت من أن عمر بن عبد العزيز لما ولي خطب
الناس ، وقص قصة فذك وخلوصها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنفاقه منها
ووضع الفضل في أبناء السبيل ، وأن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضوان الله عليهم
فعلوا كفعله ، فلما ولي معاوية أقطعها مروان بن الحكم ، وأن مروان وهبها
لعبد العزيز وعبد الملك ابنيها ، قال : ثم صارت لى ولوليد وسليمان ، وأنه لما
ولى الوليد سأنته فوهبها لى وسألت سليمان حصته فوهبها لى ، فاستجمعتها ، وأنه
ما كان لى مال أحب إلى منها ، وإني أشهدكم أنى ردتها على ما كانت فى
أيام النبى صلى الله عليه وسلم والأربعة بعده ، فكان يأخذ مالها هو ومن بعده
فيخرجه فى أبناء السبيل .

قلت : وقيل : إن الذى أقطع فذك لمروان عثمان رضى الله تعالى عنه ، قال
الحافظ ابن حجر : إنما أقطع عثمان فذك لمروان ؛ لأنه تأول أن الذى يختص بالنبى
صلى الله عليه وسلم يكون للخليفة بعده ، فاستغنى عثمان عنها بأمواله ، فوصل بها
بعض قرابته .

وأما ما ذكره المجد من أن فاطمة رضى الله تعالى عنها ادعت محل فذك
فروى ابن شبة ما يشهد له عن النير بن حسان قال : قلت لزيد بن على وأنا أريد
أن أهجن أمر أبى بكر : إن أبا بكر انتزع من فاطمة رضى الله تعالى عنها فذك
فقال : إن أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان رجلاً رحياً ، وكان يكره أن يغير شيئاً
تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته فاطمة رضى الله تعالى عنها فقالت : إن
رسول الله أعطانى فذك ، فقال لها : هل لك على هذا بينة ؟ فجاءت بعلى رضى الله
تعالى عنه ، فشهد لها ، ثم جاءت بأم أيمن ، فقالت : أليس تشهد أنى من أهل

الجنة؟ قال : بلى ، قالت : فأشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاها فذلك ، فقال أبو بكر : فبرجل وامرأة تستحقينها أو تستحقين لها القضية ؟ قال زيد بن علي : وإيم الله لو رجعت لي الأمر لقضيتُ فيها بقضاء أبي بكر رضي الله تعالى عنه .

وروى ابن شبة أيضاً عن كثير النوى قال : قلت لأبي جعفر : جعلني الله فداءك ! أرايت أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما هل ظلماكم من حقكم شيئاً أو ذهباً به ؟ قال : لا والذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ما ظلمنا من حقنا مثقال حبة من خردل ، قلت : جعلت فداءك ! فأتولاهما ؟ قال : نعم ، ويحك ! تولهما في الدنيا والآخرة ، وما أصابك في عنقي ، ثم قال : فعَلَ الله بالمغيرة وبكيان فإنهما كذبا علينا أهل البيت .

قلت : وبذلك الكذب تعلقت الروافض ، ولم يفهموا الأحاديث المتقدمة على وجهها ، والله أعلم .

الفصل الثالث

فما يُنسَبُ إليه صلى الله عليه وسلم من المساجد التي بين مكة والمدينة ، بالطريق التي كان يسلكها صلى الله عليه وسلم ، وهي طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وهي تفارق طريق الناس اليوم من قرب مسجد الغزاة كما سيأتي ، فلا تمر بالخيف ولا بالصفراء ، بل تمر بالحي وثنية هرشي ثم الجحفة كما سيتضح لك ، ويكون طريق الناس اليوم على يمين السالك في هذا الطريق ، فتمر على رابغ أسفل من الجحفة ، ثم تلتقي مع هذه الطريق فوق الجحفة قرب طريق قديد .

وفي الأخبار أن من أدب الزائر إلى المساجد التي بين الحرمين أن يصلي فيها ، وهي عشرون موضعاً .

قلت : وهذا بالنسبة إلى هذه الطريق ، مع أن أبا عبد الله الأسدي قد ذكر

فيها أزيد من ذلك ، وقد أضفنا إليه ما وجدناه في كلام غيره ، وأوردناها على ترتيبها من المدينة إلى مكة ، زادها الله شرفاً .

مسجد الشجرة (ذى الحليفة)
فمنها مسجد الشجرة ، ويعرف بمسجد ذى الحليفة أيضاً ، والحليفة : الميقات
المدنى ، ويعرف اليوم ببئر على .

روينا في صحيح مسلم عن ابن عمر قال : بات رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذى الحليفة مبدأه ، وصلى في مسجد ها .

وروى يحيى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج إلى مكة
صلى في مسجد الشجرة .

وروى ابن زبالة عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل
بذى الحليفة حين يعتمر ، وفي حجته حين حج ، تحت سَمرة في موضع المسجد
الذى بذى الحليفة .

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مسجد الشجرة إلى الأسطوانة الوسطى ، استقبلها ، وكانت موضع الشجرة التى
كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى إليها .

وعن أنس بن مالك قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
الظهر أربعاً ، والعصر بذى الحليفة ركعتين .

وعن ابن عمر أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم أناخ بالبطحاء التى بذى الحليفة
وصلى بها .

قلت : المعنى بذلك موضع المسجد المذكور ، فإنه كان موضع نزوله صلى الله
عليه وسلم ، وبني في موضع الشجرة التى كانت هناك ، وبها سمي «مسجد الشجرة»
وهى السَمرة التى ذكر في حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينزل
تحتها بذى الحليفة كما في الصحيح .

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوت به راحلته قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهل فقال : لَبَيْكَ اللَّهُمَّ لِيكَ ، الحديث .

وفي رواية له : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركعُ بذى الحليفة ركعتين ، ثم إذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهل بهؤلاء الكلمات . ويتحصل من صحيح الروايات أنه صلى الله عليه وسلم خرج لحجته نهاراً ، وبات بذى الحليفة ، وأحرم في اليوم الثاني من عند المسجد ، فيظهر أن صلواته صلى الله عليه وسلم في تلك المدة كانت كلها به ، ولم أقف على اغتساله صلى الله عليه وسلم لإحرامه بذى الحليفة .

وفي باب « ما يلبس المحرم » من البخارى عن ابن عباس قال : انطلق النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة بعدما ترجل واذن ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه الحديث ، وليس فيه تصريح بالاغتسال ، لكن في طبقات ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم خرج في حجة الوداع من المدينة مغتسلاً متدهناً مترجلاً متجرداً في ثوبين سحاريين إزار ورداء ، وذلك يوم السبت لخمس ليال بقين من ذى القعدة . وفي كتاب التنبيهات للقاضى عياض : ظاهر المذهب أن المستحب الاغتسال بالمدينة ، ثم يسير من فورِهِ ، وبذلك فسره سحنون وابن الماجشون ، وهو الذى فعله النبي صلى الله عليه وسلم ، كما استحَب أن يلبس حينئذ ثياب إحرامه ، وكذلك فعل عليه الصلاة والسلام ، انتهى .

قلت : ولم يتعرض أصحابنا لذلك ، لكن قالوا : إن من اغتسل في التمتع في الإحرام أجزاءه عن الغسل لدخول مكة للقرب ، فيؤخذ منه اعتبار القرب ، وهو مُنافٍ لظاهر ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يحرم من ذى الحليفة إلا في اليوم الثاني ، فيحتمل أنه أعاد الغسل حينئذ بذى الحليفة . أما لو كان الإحرام عقب الوضوء إلى ذى الحليفة ونحوه فلا يبعد القول به عندنا ، كما ذكرنا .

في الغسل للجمعة من الفجر ، وعدم اشتراطهم لاتصاله بالرَّوَّاح .
قال المطري ، وتبعه مَنْ بعده ، بعد بيان إحرامه صلى الله عليه وسلم عندما
انبعثت به راحلته من عند المسجد : فينبغي للحاج إذا وصل إلى ذى الحليفة أن
لا يتعدى في زاوية المسجد المذكور وما حوله من القبلة والمغرب والشام ، بحيث
لا يبعد عما حول المسجد ، وإن كثيراً من الحجاج يتجاوزون ما حول المسجد إلى
جهة المغرب ، ويصعدون إلى البمداء ، فيتجاوزون الميقات بيقين .

قلت : لم يمين نهاية ذى الحليفة . وقوله « حول المسجد » لا ضابط له ، ولا
يلزم من نزوله صلى الله عليه وسلم بالمسجد وما حوله انحصار ذى الحليفة في ذلك ،
وسنشير إلى زيادة في ذلك في ترجمة ذى الحليفة ، مع بيان المسافة التي بينها
وبين المدينة .

قال المطري : وهذا المسجد هو المسجد الكبير الذى هناك ، وكان فيه عقود
في قبلته ، ومنارة في ركنه الغربى الشمالى ، فتهدمت على طول الزمان .
قال المجد : ولم يبق منه إلا بعض الجدران وحجارة متراكمة .

قلت : جدد المقر الزينى زين الدين الاستدار بالملكة المصرية تغمده الله
برحمته هذا الجدار الدائر عليه اليوم ، لما كان بالمدينة معزولاً عام أحد وستين
وثمانمائة ، وبناه على أساسه القديم ، وموضعُ المنارة في الركن الغربى باقٍ على حاله ،
وجعل له ثلاث درجات من المشرق والمغرب والشام ، في كل جهة منها درجة
مرتفعة ، حفظاً له عن الدواب ، ولم يوجد لحرابه الأول أثر لانهدامه ، فجعل
الحراب في وسط جدار القبلة ، ولعله كان كذلك ، واتخذ أيضاً الدرج التى للآبار
التي هناك ينزل عليها مَنْ يريد الاستقاء .

وطولُ هذا المسجد من القبلة إلى الشام اثنان وخمسون ذراعاً ، ومن المشرق
إلى المغرب مثل ذلك .

قال المطري : وفي قبلته مسجد آخر أصغر منه ، ولا يبعد أن يكون النبي مسجد آخر صلى الله عليه وسلم صلى فيه أيضاً ، بينهما مقـدار رمية سهم أو أكثر بذى الخليفة قليلا ، انتهى .

قلت : ويؤخذ مما سيأتى عن الأسدى أنه مسجد المعرّس ، والله أعلم .
ومنها : مسجد المعرّس - قال أبو عبد الله الأسدى في كتابه وهو من المتقدمين يؤخذ من كلامه أنه كان في المائة الثالثة : بذى الخليفة عدة آبار ومسجدان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمسجد الكبير الذى يحرم الناس منه ، والآخر مسجد المعرّس ، وهو دون مُصعد البيداء ناحية عن هذا المسجد ، وفيه عرّس رسول الله صلى الله عليه منصرفه من مكة .

قلت : ليس هناك غير المسجد المتقدم ذكره في قبلة مسجد ذى الخليفة على نحو رمية سهم سبقت منه ، وهو قديم البناء بالقصة والحجارة المطابقة ؛ فهو المراد .

وفي صحيح البخارى في باب المساجد التى على طريق المدينة والمواقع التى صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم عن نافع أن عبد الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان ينزل بذى الخليفة - حين يعتمر ، وفي حجته حين حج - تحت سَمرة في موضع المسجد الذى بذى الخليفة ، وكان إذا رجع من غزو كان في تلك الطريق أو حجّ أو عمرة هَبَطَ بطن وادٍ ، فإذا ظهر من بطن وادٍ أناخ بالبطحاء التى على شفير الوادى الشرقية فعَرَّسَ ثمَّ حتى يصبح » ليس عند المسجد الذى بحجارة ولا على الأكمة التى عليها المسجد ، وكان ثمَّ خليج يصلّى عبدُ الله عنده في بطنه كُثِبَ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمَّ يصلّى فدحا فيه السيلُ بالبطحاء ، حتى دفن ذلك المسكان الذى كان عبد الله يصلّى فيه .

قال الحافظ ابن حجر : قوله « بطن وادٍ » أى وادى العقيق .

قلت : ورواه ابن زبالة بلفظ « هبط بطن الوادى ، فإذا ظهر من بطن الوادى أناخ بالبطحاء التى على شفير الوادى الشرقية » .

ورواه المطري من غير عزو ، وقال فيه « هبط بطن الوادى وادى العقيق » وأظنه من الرواية بالمعنى ، وهو يقتضى أن يكون المعرّسُ فى شرقى وادى العقيق فلا يكون بذى الحليفة، فيتعين أن يكون المراد بطن وادٍ فى وادى العقيق؛ إذ المعرّس ذو الحليفة .

ففى الحج من صحيح البخارى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يخرج من طريق الشجرة ، ويدخل من طريق المعرّس » وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا خرج إلى مكة يصلى فى مسجد الشجرة ، وإذا رجع صلى بذى الحليفة بطن الوادى وبات حتى يصبح » .

وفيه أيضا من طريق عقبة عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أرى وهو فى مُعرّسه بذى الحليفة بطن الوادى قيل له : إنك ببطحاء مباركة ، وقد أناخ بنا سالم يتوخى المناخ الذى كان عبد الله ينيخ يتجرّى مُعرّس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أسفل من المسجد الذى بطن الوادى ، بينه وبين الطريق وسطا من ذلك .

قلت : والمسجد المتقدم ذكره بطن الوادى ، فاعله المراد ، ويكون المعرّس بقر به من المشرق .

وروى يحيى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قيل له وهو بالمعرّس نائم يعنى معرّس الشجرة : إنك ببطحاء مباركة .

قلت : فيتأيد به ما تقدم لإضافته المعرّس إلى الشجرة ، ولا يشك ذلك ببعد هذا المسجد عن الطريق التى تسلك اليوم إلى المدينة ؛ لما تقدم من رواية ابن عمر فى اختلاف طريق الشجرة وطريق المعرّس .

وروى البزار بسند جيد عن أبى هريرة نحوه ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يخرج من طريق الشجرة ، ويدخل من طريق المعرّس » .

وفي صحيح أبي عوانة حديث « كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من طريق الشجرة إلى مكة ، وإذا رَجَعَ رَجَعَ من طريق المعرس » .

وروى بعضهم عن نافع أنه انقطع عن ابن عمر حتى سبقه إلى المعرس ، ثم جاء إليه فقال : ما حَبَسَكَ عني ؟ فأخبره ، فقال : إني ظننت أنك أخذت الطريق الأخرى ، ولو فعلت لأَوْجَعْتُكَ ضرباً ، وهذا لحرصه على الاتباع في النزول هناك ، وقد أميتت هذه السنة .

وروى ابن زبالة عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي قُرَوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا خرج إلى مكة يَسْلُك على دار جبر بن علي ، ثم على منازل بني عطاء ، ثم في بطحان ، ثم في زقاق البيت ، حتى يخرج عند موضع دار ابن أبي الجنوب بالحرّة » .

قلت : وهذه الأماكن غير معروفة بأعيانها ، والله أعلم .

ومنها : مسجد شرف الرّوّحاء - قال البخاري عقب ما تقدم من رواية مسجد شرف الرّوّحاء نافع وأن عبد الله حَدَّثَهُ أن النبي صلى الله عليه وسلم « صَلَّى حيثُ المسجد الصغير الذي دون المسجد الذي بِشَرَفِ الرّوّحاء » . وقد كان عبد الله يعلم المكان الذي فيه صلى النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول : ثم عن يمينك حين تقوم في المسجد تصلي ، وذلك على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلى مكة ، بينه وبين المسجد الأكبر رمية بحجر أو نحو ذلك .

ورواه يحيى بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى إلى جانب المسجد الصغير الذي دون المسجد الذي بِشَرَفِ الرّوّحاء » . وقد كان عبد الله يعلم المكان الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعواسج ، يكون عن يمينك حين تقوم في المسجد ، وباقيه كلفظ البخاري .

وروى ابن زبالة عن ابن عمر قال : صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بشرف الروحاء على يمين الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، وإلى يسارها وأنت مقبل من مكة .

قلت : وهذا المسجد هو المعنى بقول الأسدى : وعلى ميلين من السيالة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد الشرف ، قال : وبين السيالة والروحاء أحد عشر ميلا ، وبينها وبين ملل سبعة أميال ، وهى لولد الحسين ابن على بن أبى طالب ونقوم من قریش ، وعلى ميل منها عين تعرف بسويقة لولد عبد الله بن حسن ، كثيرة الماء عذبة ، وهى ناحية عن الطريق ، قال : والجبل الأحمر الذى يسرة الطريق حين يخرج من السيالة يقال له ورقان ، يسكنه قوم من جهينة يقال : إنه متصل إلى مكة لا ينقطع ، وذكر آبارا كثيرة بالسيالة .

وقوله « وعلى ميلين من السيالة » أراد من أولها ، ولهذا قال المطرى : شرف الروحاء هو آخر السيالة وأنت متوجه إلى مكة ، وأول السيالة إذا قطعت شرف ملل ، وكانت الصخيرات صخيرات التمام عن يمينك ، وقد هبطت من ملل ثم رجعت عن يسارك واستقبلت القبلة ، فهذه السيالة وكانت قد تجدد فيها بعد النبي صلى الله عليه وسلم عيون وسكان ، وكان لها وال من جهة والى المدينة ولأهلها أخبار وأشعار ، وبها آثار البناء وأسواق ، وآخرها الشرف المذكور ، والمسجد عنده ، وعنده قبور قديمة كانت مدفن أهل السيالة ، ثم تهبط فى وادى الروحاء مستقبل القبلة ، ويعرف اليوم بوادى بنى سالم ، بطن من حرب عرب الحجاز ؛ ثم ذكر ما سياتى .

قلت : وتلك القبور التى عند المسجد مشهورة بقبور الشهداء ، ولعله لكون بعضهم [دفن] فيها ممن قتل ظلما من الأشراف الذين كانوا بالسيالة وبسويقة ، كما يؤخذما سنشير إليه فى ترجمه سويقة .

ومنها : مسجد عرق الطيبة - قال المطرى عقب قوله « ثم يهبط فى وادى

مسجد
عرق الطيبة

الروحاء مستقبل القبلة» ما لفظه : فتمشى مستقبل القبلة وشعب على يسارك ، إلى أن تدور الطريقُ بك إلى المغرب وأنت مع أصل الجبل الذي على يمينك ، فأول ما يلقاك مسجد على يمينك كان فيه قبر كبير في قبلته فتهدم على طول الزمان ، صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعرف ذلك المكان بعرق الظبية ، ويبقى جبل ورقان على يسارك ، قال : وفي المسجد الآن حجر قد نقش عليه بالخط الكوفي عند عمارته الميل الفلاني من البريد الفلاني ، انتهى .

وقال الأسدي : وعلى تسعة أميال - يعني من السيالة - وأنت ذاهب إلى الروحاء مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد الظبية ، فيه كانت مشاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال أهل بدر ، وهودون الروحاء بميلين ، انتهى .

وقال المجد في ترجمة الشرف : إن في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها « أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحد بمل على ليلة من المدينة ، ثم راح فتعشى بشرف السيالة ، وصلى الصبح بعرق الظبية » .

وروى ابن زبالة عن عمرو بن عوف المزني قال : أول غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه غزوة الأبواء ، حتى إذا كان بالروحاء عند عرق الظبية قال : هل تدرون ما اسم هذا الجبل ؟ يعني ورقان ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا حمت جبل من جبال الجنة ، اللهم بارك لنا فيه ، وبارك لأهله فيه ، تدرون ما اسم هذا الوادي ؟ يعني وادي الروحاء ، هذا سجاسج ، لقد صلى في هذا المسجد قبلي سبعون نبيا ، واقد مرّ بها - يعني الروحاء - موسى بن عمران في سبعين ألفا من بني إسرائيل عليه عباأتان قطوانيتان على ناقة له ورقاء ، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى بن مريم حاجا أو معتمرا ، أو يجمع الله له ذلك .

ورواه الطبراني ، وفيه كثير بن عبد الله حسن الترمذي حديثه ، وبقية رجاله

ثقات ، إلا أنه قال فيه عقب قوله « وبارك لأهله فيه » وقال للروحاء هو سبجاسج وهذا واد من أودية الجنة ، لقد صلى في هذا الوادي قبلى سبعون نبيا ، ولقد مر به موسى عليه السلام عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة ورقاء في سبعين ألفا من بنى إسرائيل حاجين البيت العتيق ، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى بن مريم عبد الله ورسوله . ورواه يحيى بنحوه ، إلا أنه قال : لقد صلى قبلى في هذا الموضع سبعون نبيا ، ورواه الترمذى بلفظ : أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في وادي الروحاء ، وقال : لقد صلى في هذا المسجد سبعون نبيا .

قلت : وآثار هذا المسجد موجودة هناك .

ومنها : مسجد بالروحاء ، ذكره الأسدي ، وغاير ما بينه وبين ما قبله وما بعده . وقال الواقدي في غزوة بدر : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء النصف من شهر رمضان ، فصلى عند بئر الروحاء . وسيأتي في ترجمة الروحاء أنه كان بها آبار متعددة ، فلم يبق منها اليوم سوى بئر واحدة ، والله أعلم .

مسجد آخر
بالروحاء

ومنها : مسجد المنصرف ، ويعرف اليوم بمسجد الغزالة ، وهو آخر وادي الروحاء مع طرف الجبل ، على يسارك وأنت ذاهب إلى مكة . قال المطري : ولم يبق منه اليوم إلا عقد الباب . قلت : وقد تهدم أيضا ، ولم يبق إلا رسومه .

مسجد
المنصرف
(الغزالة)

وقال الأسدي : وعلى ثلاثة أميال من الروحاء ، يعنى وأنت قاصد مكة ، مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سَنَد الجبل ، يقال له مسجد المنصرف ، جبل على يسارك تنصرف منه في الطريق ، انتهى .

وقال البخاري : عقب ما قدمناه في مسجد الشرف من رواية نافع : وأن ابن عمر كان يصلى إلى العرق الذي عند منصرف الروحاء ، وذلك العرق انتهاء طرفه على حافة الطريق دون المسجد الذي بينه وبين المنصرف وأنت ذاهب

إلى مكة ، وقد ابتنى ثمَّ مسجد فلم يكن عبد الله يصلى فى ذلك المسجد ، كان يتركه عن يساره ووراءه ويصلى أمامه إلى العرق نفسه .

قلت : توهم بعضهم أن المراد عرق الظبية ، وليس كذلك ؛ لتغاير المحلين ، ورأيت بخط بعضهم هنا : العرق جبل صغير .

وروى ابن زبالة عن ابن عمر قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرف الروحاء ، وبالمنصرف عند العرق من الروحاء .

وفى رواية ليحيى عن ابن عمر أنه كان يصلى إلى العرق الذى عند منصرف الروحاء ، وذلك العرق أثناء طريقه على حافة الطريق ، دون السبيل الذى دون ثنية المنصرف وأنت ذاهب إلى مكة ، قال نافع : كان عبد الله يروح من الروحاء فلا يصلى الظهر حتى يأتى ذلك المكان فيصلى فيه الظهر .

وقال المطري عقب ما تقدم عنه فى هذا المسجد : إن عن يمين الطريق إذا كنت بهذا المسجد وأنت مستقبل البادية موضعاً كان عبد الله بن عمر ينزل فيه ، ويقول : هذا منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ثمَّ شجرة كان ابن عمر إذا نزل هذا المنزل وتوضأ صبَّ فضل وضوئه فى أصل الشجرة ، ويقول : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، وودَّ أنه كان يدور بالشجرة أيضاً ثمَّ يصبُّ الماء فى أصلها ، اتباعاً للسنة ، وإذا كان الإنسان عند هذا المسجد المعروف بمسجد الغزالة كانت طريق النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة على يساره مستقبل القبلة ، وهى الطريق المعهودة قديماً ، ثمَّ السقيا ، ثمَّ ثنية هرثى ، وهى طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قال : وليس بهذا الطريق اليومَ مسجدٌ يعرف غير هذه الثلاثة مساجد ، يعنى سوى مسجد ذى الحليفة .

قلت : سببه هجران الحجاج لهذا الطريق ، وأخذهم من طرف الروحاء على البادية إلى مضيق الصفراء ثمَّ إلى بدر ، وذكر لى بعض الناس ممن سلك

تلك الطريق أن كثيرا من مساجدها موجود ، وسيأتى أنى ظفرت برؤية مسجد طرف قديد الآتى ذكره ، والله أعلم .

مسجد الرويثة

ومنها : مسجد الرويثة - قال البخارى عقب ما تقدم عنه من حديث نافع : وأن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل تحت سَرَحة ضَخْمَة دون الرويثة عن يمين الطريق ووُجَاه الطريق فى مكان بطح سهل حتى يُفْضَى من أكمة دوين بريد الرويثة بميلين ، وقد انكسر أعلاها ، وانثنى فى جوفها ، وهى قائمة على ساق ، وفى ساقها كشب كثيرة .

وقوله « بريد الرويثة » أى الموضع الذى ينتهى إليه البريد بالرويثة ، وينزل فيه ، وقيل : البريد سكة الطريق ، ورواه ابن زبالة بنحوه ، وفى رواية له « صلى دون الرويثة عند موضع السرحة » .

وقال الأسدى : وفى أول الرويثة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وبين الرُّوحَاء والرويثة ثلاثة عشر ميلا ، وقال فى موضع آخر : ستة عشر ميلا ونصف ، ووصف ما بالرويثة من الآبار والحِياض ، قال : ويقال للجبل المشرف عليها المقابل لميوتها « الحمراء » ولذى فى دبرها عن يسارها قبل المشرق « الحسناء » .

مسجد
ثنية ركوبة

ومنها : مسجد ثنية ركوبة كما سيأتى من رواية ابن زبالة فى مسجد مدلجة تعين أنه صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى ثنية ركوبة ، وَبَنَى بها مسجدا » . وسيأتى أن ركوبة ثنية قبل العرج لامتوجه من المدينة على يمين ثنية العابر وثنية العابر هى عقبة العرج ، والعرج بعدها بثلاثة أميال كما سيأتى ، ولم يذكر الأسدى هذا المسجد .

مسجد الأثابة

ومنها : مسجد الأثابة - بالمشاة والمثناة التحتية - كالنواية على الراجح . روى ابن زبالة عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى عند بئر الأثابة ركعتين فى إزار ملتصقا به » .

قال المطري : الأثاية ليست معروفة .

قلت : عرفها الأسدي فقال ، في وصف طريق الذهاب لمسكة : إن من الرويثة إلى الحى أربعة أميال ، ثم قال : وعقبة العرج على أحد عشر ميلا من الرويثة ، ويقال لها : المدارج ، بينها وبين العرج ثلاثة أميال ، وبها أبيات ، وبئر عند العقبة ، وقبل العرج بميلين قبل أن ينزل الوادى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف بمسجد الأثاية ، وعند المسجد بئر تعرف بالأثاية ، انتهى .

وقال المجد : الأثاية موضع في طريق الجحفة ، بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخا ، وفيه بئر ، وعليها المسجد المذكور ، وعندها أبيات وشجر أراك ، وهو منتهى حد الحجاز ، انتهى .

وهو موافق لما ذكره الأسدي ؛ فإن منتهى حد الحجاز مدارج العرج ، وهى بقر بها .

وروى أحمد برجال الصحيح عن عمير بن سامة الضمرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « مرَّ بالعرج فإذا هو بحمار عقير ، فلم يلبث أن جاء رجل بهر ، فقال : يا رسول الله ، هذا رميتى فشأنكم فيها ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه يقسمه بين الرفاق ، ثم سار حتى أتى عقبة الأثاية فإذا بظبي فيه سهم وهو حاقف في ظل صخرة ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه فقال : قفْ ههنا حتى يمر الرفاق لا يرميه أحد بشيء . » ومقتضى ما سبق من صنيع الأسدي أن يكون هذا في رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة ، خلاف ما اقتضاه صنيع الهيمى حيث ترجم عليه بجواز أكل لحم الصيد للمحرم إذا لم يصد أو يصد له .

ومنها : مسجد العرج - روى ابن زباله عن صخر بن مالك بن إياس عن مسجد العرج
أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى في مسجد العرج ،

وقال فيه « يعنى من القيلولة ، وأسقط المطري هذا المسجد ، وجعله المجد الذى بعده ، وهو مردود ، ولم يتعرض له الأسدى .

ومنها : مسجد بطرف تلعة من وراء العرج ، ووقع فى نسخة المجد وخط الزين المراغى « بطريق تلعة » وهو تصحيف لأن الذى فى صحيح البخارى وكتاب ابن زباله طرف بالفاء .

قال البخارى ، عقب ما تقدم عنه فى مسجد الرويثة من رواية نافع : وأن عبد الله حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى طرف تلعة من وراء العرج ، وأنت ذاهب إلى هضبة ، وعند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة ، وعلى القبور رضم من حجارة عن يمين الطريق ، عند سلمات الطريق ، بين أولئك السلمات كان عبد الله يروح من العرج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة فيصلى الظهر فى ذلك المسجد .

ورواه ابن زباله إلا أنه قال فيه : من وراء العرج وأنت ذاهب على رأس خمسة أميال من العرج فى مسجد إلى هضبة .

وقال الأسدى : وعلى ثلاثة أميال من العرج قبل المشرق مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد المنبجس قبل الوادى ، والمنبجس : وادى العرج ، وعلى ثمانية أميال من العرج حوضان على عين تعرف بالمنبجس ، انتهى . ولعله المسجد المذكور .

ومنها : مسجد لحي جمل - قال الأسدى : وعلى ميل من الطلوب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بموضع يقال له « لحي جمل » قال : والطلوب بئر غليظة الماء بعد العرج بأحد عشر ميلا ، والسقيا بعد الطلوب بستة أميال ، قال : وقبل السقيا بنحو ميل وادى العاند ، ويقال له وادى القاحه ، وينسب إلى بنى غفار ، اه .

فتلخص أن هذا المسجد قبل السقيا والقاحه وبعد العرج بالمسافة المذكورة .

و يؤيده أن ابن زبالة روى في سياق هذه المساجد حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتجَمَ بمكان يدعى لحي جمل بطريق مكة وهو محرم » .
وفي رواية له « احتجَم بالقاحه وهو صائم محرم » ففيه بيان قرب ذلك من القاحه ، ولكن رأيت يحيى ختم كتابه بحديث ابن عمر في هذه المساجد وبآخر النسخة ما صورته : نقل من خط أحمد بن محمد بن يونس الإسكاف في آخر الجزء : قلت : إنه لم يذكر في هذا الحديث المسجد الذي بين السقيا والأبواء الذي يقال له مسجد لحي جمل ، انتهى .

وهو يقتضى أنه بعد السقيا بينها وبين الأبواء ، ويوافقه قول عياض : قال ابن وضاح : لحي جمل في عقبة الجحفة . وقال غيره : على سبعة أميال من السقيا .
ورواه بعض رواة البخارى « لحي جمل » أى بالثنية ، وفسره فيه بأنه ما يقال له لحي جمل أى في حديث « احتجَم النبي صلى الله عليه وسلم بلحي جمل » .

وقال المجد : هى عقبة على سبعة أميال من السقيا .

وفي كتاب مسلم أنه ماء .

ومنها : مسجد السقيا - روى ابن زبالة في سياق المساجد التى بطريق مكة مسجد السقيا من حديث عوف بن مسكين بن الوليد البلوى عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم « صَلَّى في مسجد بالسقيا » .

وقال الأسدى ، بعد ما تقدم عنه في المسافة بين الطلوب والسقيا : وبالسقيا مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجبل ، وعنده عين عذبة ، ثم ذكر أن بالسقيا أزيد من عشر آبار ، وأن عند بعضها بركة . ثم قال : وفيها عين غزيرة الماء ، وهبَّتْها في بركة في المنزل ، وهى تجرى إلى صدقات الحسن بن زيد ، عليها نخل وشجر كثير ، وكانت قد انقطعت ثم عادت في سنة ثلاث وأربعين ومائتين

ثم انقطعت في سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، قال : وعلى ميل من المنزل موضع فيه نخل وزرع وصدقات للحسن بن زيد فيها من الآبار التي يزرع عليها ثلاثون بئرا ، وفيها ما أحدث في أيام المتوكل خمسون بئرا ، وماؤه عذب ، وطول رشائهن قامة وبسطة ، وأقل وأكثر .

ثم وصف ما بعد السقيا فقال : وعلى ثلاثة أميال من السقيا عين يقال لها تعهن انتهى .

وفي حديث أبي قتادة في الصحيح بركة بتعهن ، وهو مقابل السقيا ، وسيأتي في ترجمة تعهن ما قيل من أنها قبل السقيا ، مع بيان أن المعروف اليوم أنها بعدها .

ومنها : مسجد مدجلة تعهن - روى ابن زباله عن صخر بن مالك بن إياس مدجلة تعهن عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلى بمدجلة تعهن ، وبنى بها مسجدا ، وصلى في ثنية ركوبة ، وبنى بها مسجدا » . قلت : لم يذكره إلا الأسدي ، وقد سبق عنه أن تعهن بعد السقيا بثلاثة أميال .

ومنها : مسجد الرمادة - قال الأسدي : ودون الأبواء بميلين مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له « مسجد الرمادة » وذكر ما حاصله أن الأبواء بعد السقيا لجهة مكة بأحد وعشرين ميلا ، وأن في الوسط بينهما عين القشيري ، وهي عين كثيرة الماء ، ويقال للجبل المشرف عليها الأيسر « قدس » وأوله في العرج ، وآخره وراء هذه العين ، والجبل الذي يقابلها يمنة يقال له « باقل » ويقال للوادي الذي بين هذين الجبلين « وادي الأبواء » انتهى .

ومنها : مسجد الأبواء - قال الأسدي بعد ما تقدم في وصف ما بين الأبواء والجحفة : إن الجحفة بعد الأبواء بثلاثة عشر ميلا ، قال : وفي وسط الأبواء مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر بها آباراً وبركاً ، منها بركة بقرب

القصر ، قال : وإذا جُرَّتْ وادى الأبواء بميلين كان على يسارك شعاب تسمى « نلعان اليمن » وذكر أن ودَّان ناحية عن الطريق بنحو ثمانية أميال ، ينزل به مَنْ لا ينزل إلا الأبواء ، فمن أرادَه رَحَلَ من السقيا إليه ، وبه عيون غزيرة عليها سبعة مشارع وبركة قديمة ، ثم يرحل منه فيخرج عند ثنية هَرَشَى بينها وبين ودَّان خمسة أميال ، وقد عمَّـل لهذه الطريق أعلام وأميال أمر بها المتوكل .

قلت : وكلا الطريقين عن يسار طريق الناس اليوم بأسفل ودَّان وهى مَعْطُشَة لا ماء بها إلا ما يُحْمَل من بدر إلى رابع .

ومنها : مسجد يسمى بالبيضة - قال الأسدى : وعلى خمسة أميال وشىء من مسجد البيضة الأبواء مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له البيضة .

ومنها : مسجد عقبة هَرَشَى - قال الأسدى : وعلى ثمانية أميال من الأبواء مسجد عقبة هَرَشَى ، وعلم منتصف الطريق ما بين مكة والمدينة دون العقبة بميل ، وفى أصل العقبة مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم حد الميل الذى مكتوب عليه سبعة أميال من البريد ، انتهى .

قال البخارى ، عقب ما تقدم عنه فى المسجد الذى بطرف تلعة من رواية نافع : وأن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عند سَرَحَاتٍ عن يسار الطريق فى مسيل دون هَرَشَى ، ذلك المسيل لا صق بكراع هَرَشَى ، بينه وبين الطريق قريب من غَلَوَة ، وكان عبدُ الله بن عمر يصلى إلى سرحة هى أقرب السرحات إلى الطريق ، وهى أطولهن .

ومنها : مسجدان بالجُحْفَة - قال الأسدى ، فى وصف ما بين الجحفة وقديد ، بعد ذكرهما بالجحفة من الآبار والبرك والعيون : وفى أول الجحفة مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له غورث ، وفى آخرها عند العلمين مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد الأئمة .

مسجد
غدير خم

ومنها: مسجد بعد الجحفة ، وأظنه مسجد غدير خم - قال الأسدي ، بعد ما تقدم عنه : وعلى ثلاثه أميال من الجحفة بسرة عن الطريق حذاء العين مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبينهما الغيضة ، وهى غدير خم ، وهى على أربعة أميال من الجحفة ، انتهى .

وقال عياض : غدير خم غدير تصب فيه عين ، وبين الغدير والعين مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وأخبرنى مخبر أنه رأى هذا المسجد على نحو هذه المسافة من الجحفة ، وقد هدم السيل بعضه .

وفى مسند أحمد عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال : كننا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزلنا بغدير خم ، فنودى فينا الصلوة جامعة ، وكسح^(١) لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فصلى الظهر ، وأخذ بيد على وقال : أستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى ، قال : فأخذ بيد على وقال : اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، قال : فلقبه عمر بعد ذلك فقال : هنيئاً يا ابن أبى طالب ، أخصيت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة ، وعن زيد بن أرقم مثله .

مسجد طرف
قديد

ومنها : مسجد ذكر الأسدي أنه قبل قديد بثلاثة أمثال ، وذكر أن خيمته أم معبد الخزاعية وموضع مناة الطاغية فى الجاهلية على نحو هذه المسافة .

قلت : وقد عثرت فى مسيرى إلى مكة على مسجد قديم قرب طرف قديد ، وهو مرتفع عن يمين الطريق ، مبنى بالأحجار والقصة ، يظهر أنه هذا المسجد .

مسجد عند
جرة خليص

ومنها : مسجد عند حرة عقبة خليص - قال الأسدي : من قديد إلى عين

(١) كسح - وزان منع - أى كنس ، انتهى من هامش الأصل .

ابن بزيع وهى خليص على ثمانية أميال وشيء ، وذكر آبارا كثيرة بقديد ، قال :
وعقبة خليص بينها وبين خليص ثلاثة أميال ، وهى عقبة تقطع حرّة تعترض
الطريق يقال لها ظاهرة البركة ، والشجر ينبت فى تلك الحرة ، وعند الحرة مسجد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنها : مسجد خليص - قال الأسدى : خليص عين غزيرة كثيرة الماء ، مسجد خليص
وعليها نخل كثير ، وبركة ، ومشارع ، ومسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنها : مسجد بطن مرّ الظهران - قال البخارى ، عقب ما تقدم عنه فى مسجد
مسجد بطن مرّ الظهران
عقبة هرشى من رواية نافع : وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه
وسلم « كان ينزل فى المسيل الذى فى أدنى مرّ الظهران قبل المدينة ، حين يهبط
من الصفراوات ، ينزل فى بطن ذلك المسيل عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى
مكة ، ليس بين منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الطريق إلا
بُنية مججر » .

قال المطرى ، فى وصف هذا المسجد : إنه بوادى مرّ الظهران حين يهبط
من الصفراوات عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، قال : ومرّ الظهران
هو بطن مرّ المعروف ، وليس المسجد بمعروف اليوم ، انتهى .

وقال الزين المراغى : ويقال : إنه المسجد المعروف بمسجد الفتح ، انتهى .
وقال النقي القاسى : المسجد الذى يقال له مسجد الفتح بالقرب من الجموم
من وادى مرّ الظهران ، يقال : إنه من المساجد التى صلى فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ثم ذكر ما قاله المراغى .

ثم قال : وممن عمّر هذا المسجد على ما بلغنى أى جدّد عمارته أبو على صاحب
مكة ، وممن عمره بعد ذلك الشريف حياش ، قال : وبيضه فى عصرنا ورفع
أبوابه ضوئاً له الشريف حسن بن عجلان ، انتهى .

وهذا المسجد ينظره الذهاب من الجموم إلى مكة عن يساره عند السيل .
وقال الأسدي : بين مكة وبطن مر سبعة عشر ميلا ، وبيطن مر مسجد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبركة للسيل طولها ثلاثون ذراعا ، وربما ملئت
هذه البركة من عين يقال لها العميق ، قال : وبحضرة هذه البركة بئران .

ومنها : مسجد سرف - بفتح السين المهملة ، وكسر الراء - وهذا المسجد
به قبر ميمونة رضي الله تعالى عنها ، شاهدته وزرته ؛ إذ المروى أنها دفنت بسرف ،
بالموضع الذي بنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم فيه .

وفي حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم « كان لا ينزل منزلا إلا ودَّعه
بركعتين » وقال الأسدي ما لفظه : ومسجد سرف على سبعة أميال من مر ، وقبر
ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم دون سرف ، اه . والمعروف ما قدمناه .
قال التقى الفاسي : من القبور التي ينبغي زيارتها قبر أم المؤمنين ميمونة بنت
الحارث الهلالية ، وهو معروف بطريق وادي مر ، قال : ولا أعلم بمكة ولا فيما
قرب منها قبر واحد ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم سوى هذا القبر ؛ لأن
اخلف تأثر ذلك عن السلف .

ومنها : مسجد بالتنعيم - قال الأسدي : والتنعيم وراء قبر ميمونة بثلاثة أميال ،
وهو موضع الشجرة ، وفيه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه آبار ، ومن
هذا الموضع يُحرّم مَنْ أراد أن يعتمر . ثم قال : ميقات أهل مكة بالإحرام مسجد
عائشة ، وهو بعد الشجرة بميلين ، وهو دون مكة بأربعة أميال ، وبينه وبين
أنصاب الحرم غلوة ، اه .

قلت : وبالتنعيم عدة مساجد : اثنان منها اختلف في المنسوب منهما لعائشة
رضي الله تعالى عنها ، ولم يذكر التقى ولا غيره بالتنعيم مسجداً للنبي صلى الله
عليه وسلم . قال التقى في ذكر مسجد عائشة : وهذا المسجد اختلف فيه ، فقيل :
مسجد عائشة

هو المسجد الذي يقال له مسجد الهليلجة ، لشجرة هليلجة كانت فيه وسقطت من قريب ، وهو للتعارف عند أهل مكة على ما ذكره سليمان بن خليل ، وفيه حجارة مكتوب فيها ما يؤيد ذلك ، وقيل : هو المسجد الذي بقر به بئر ، وهو بين هذا المسجد وبين المسجد الذي يقال له « مسجد على » بطريق وادي مر الظهران ، وفي هذا أيضا حجارة مكتوب فيها ما يشهد لذلك ، ورجح الحب الطبري أنه المسجد الذي بقر به البئر ، وهو الذي يقتضيه كلام إسحاق الخزاعي وغيره ، قال : إن بين مسجد الهليلجة وأول الأعلام سبعمائة ذراع وأربعة عشر ذراعا بذراع الحديد ، وذرع ما بينه وبين المسجد الآخر ثمانمائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا بالذراع المذكور ، اهـ .

والأقرب لكلام الأسدي أن مسجد عائشة رضي الله تعالى عنها هو مسجد الهليلجة ؛ لكونه أقرب إلى أعلام الحرم من الثاني ، ولعل المنسوب للنبي صلى الله عليه وسلم هو مسجد على أو المسجد الثاني .

ورأيت عن بعضهم : روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرات الرسول أربع عمر : عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، وعمرة التنعيم ، وعمرة الجعرانة . قلت : وذكر التنعيم غير معروف ، والمعروف في الرابعة أنها التي مع حجته ، فلعل المراد من نسبتها إلى التنعيم أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة فيها من جهته .

ومنها : مسجد ذى طوى - قال البخاري ، عقب ما تقدم عنه في مسجد بطن مر من رواية نافع : وأن عبد الله حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان ينزل بذي طوى ، ويبعث حتى يصبح يصلي الصبح حين يقدم مكة » ومُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك على أكمة غليظة ليس في المسجد الذي بنى ثم ، وليسكن أسفل من ذلك ، على أكمة غليظة ، وأن عبد الله حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم « استقبل فرُضِيَ الجبل الذي بينه وبين الجبل الطويل

مسجد
ذى طوى

نحو الكعبة فجعل المسجد الذي بنى ثم يسار المسجد بطرف الأكمة ، ومضى
 النبي صلى الله عليه وسلم أسفل منه على الأكمة السوداء ، تدعُ من الأكمة
 عشرة أذرع أو نحوها ، ثم تستقبل الفرضتين من الجبل الذي بينك وبين
 الكعبة ، انتهى .
 قال المطري ، وتبعه من بعده : وادى ذى طوى هو المعروف بمكة بين
 الثنتين ،
 قلت : ويعرف عند أهل مكة اليوم كما قال النقي بما بين الحجونين ، وهو
 موافق لقول الأزرقى : بطن ذى طوى ما بين مهبط ثنية المقبرة التى بالمعل إلى
 الثنية القصوى التى يقال لها الخضراء تهبط على قبور المهاجرين ، انتهى .
 وقال الأسدى ، فى وصف ما بين مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها ومكة : فج
 بعد مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها بنحو ميلين ، وعقبة المذنبين بعد فج بميل
 يسرة عن الطريق ، وطريق ذى طوى إلى المسجد نحو من نصف ميل ، وقال
 فى موضع آخر : يستحب الصلاة بمسجد ذى طوى ، وهو بين مسجد ثنية
 المذنبين المشرفة على مقابر مكة وبين الثنية التى تهبط على الحصاحص ، وذلك
 المسجد ثنية زبيدة ، انتهى .
 الفصل الرابع
 فى بقية المساجد التى بين مكة والمدينة بطريق الحاج فى زماننا ، وبطريق
 المشبان ، وما قرب من ذلك ، وما حل صلى الله عليه وسلم به من المواضع ، وإن لم
 يُبنى مسجداً ،
 فممنها : موضع بدنة المستعجلة - بفتح الدال المهملة وتشديد الموحدة - وهو
 الكثيب من الرمل .
 روى ابن زبالة عن محمد بن فضالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بالذبة دبة
 المستعجلة من المضيق ، واستقى له من بئر الشعبة الصابة أسفل من الدبة ، فهو لا يفارقها أبداً

دبة المستعجلة

قال المطري : والمستعجلة هي المضيق الذي يصعد إليه الحاج إذا قطع النازية وهو متوجه إلى الصفراء ، يعني من أعلى فركان خيف بنى سالم .

شعب سير

قال : وذكر ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بشعب سير وهو الشعب الذي بين المستعجلة والصفراء - وقسم به غنائم أهل بدر ، ولا يزال فيه الماء غالباً ، انتهى .

قلت : الذي قاله ابن إسحاق كما في تهذيب ابن هشام : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على الكثيب بين المضيق وبين النازية يقال له سير إلى سرحة ، وقسم هناك النفل . قلت : وهو صريح في أن سير بعد مضيق الصفراء للجائي من بدر ، وبعده النازية ، فإن كانت المستعجلة هي مضيق الصفراء فهو يقتضي أن سير بينها وبين النازية ، فهو مخالف لما ذكره المطري من أنه بين المستعجلة والصفراء ، فليحتمل مضيق الصفراء على غير المضيق الذي هو المستعجلة ، ويكون مضيق الصفراء هنا من ناحية أسفل الخيف ؛ لأن الذي ذكره المطري في شعب سير هو المعروف اليوم ، ولأنني رأيت في أوراق لم أعرف مؤلفها أن شعب سير هو النزلة التي كانت للحاج إذا رجع عن المستعجلة ونزل في فركان الخيف .

قال : وهناك بركة قديمة ، وهو الشعب بين جبلين يعرف بجبال المضيق علو الصفراء ، بينه وبين المستعجلة نحو نصف فرسخ ، انتهى . والبركة والموضع معروفان كما وصف ، ولعل سير هذا هو المعبر عنه في رواية ابن زبالة بالدبة ؛ لأنها مجتمع الرمل ، وقد سماه ابن إسحاق كثيباً ، ويؤخذ منه أن الخيف كله أعلاه ، وأسفله هو مضيق الصفراء .

ذكر عدة
مساجد

ومنها : مسجد بذات أجدال ، ومسجد بالجيزتين من المضيق ، ومسجد بدفران ، وموضع بذنب دفران المقبل .

وروى ابن زبالة عن ابن فضالة قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بمسجد بذات أجدال من مضيق الصفراء ، ومسجد بالجيزتين من المضيق ،
ومسجد بذفران المدبر من البناء ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذنب
ذفران القبيل الذي يَصُبُّ في الصفراء ، قال : فحفرت بئر هنالك يقال : إنها في
موضع جبهة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلها فضل في العذوبة على ما حوالها .
قلت : مضيق الصفراء تقدمت الإشارة إليه قريبا ، وذفران : وادٍ معروفٌ
قبل الصفراء بيسير ، يصب سَيْلُهُ فيها ، ويسلكه الحاج المصري في رُجُوعه من
المدينة إلى ينبع ، فيأخذ ذات اليمين ويترك الصفراء يسارا .

قال ابن إسحاق ، في وَصْفِ مَسِيرِهِ صلى الله عليه وسلم إلى بدر : فلما كان
بالمنصرف - أي عند مسجد الغزالة - ترك طريق مكة بيسار ، وسلك ذات اليمين
على النازية يريد بدرا ، فسلك في ناحية منها حتى جَزَعَ - أي قطع - واديا
يقال له رجفان بين النازية وبين مضيق الصفراء ثم على المضيق ، ثم انصب حتى
إذا كان قريبا من الصفراء ، ثم ذكر أنه بعث من يتجسس له الأخبار .

قال : ثم ارتحل ، فلما استقبل الصفراء - وهي قرية بين جبلين - سأل عن
جبلها : ما أسماؤهما ؟ فقالوا : يقال لأحدهما المسلح ، وقالوا للآخر : هذا مجرى ،
وسأل عن أهلها ف قيل : بنو النار و بنو حراق ، بطنان من بني غفار ، فكرههما
صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما ، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلها ، فترك الصفراء
يسارا ، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له ذفران .

مسجد ذفران قلت : وذفران اليوم مسجد يتبرك به على يسار من سلكه إلى ينبع ،
فأظنه مسجد ذفران ، ورأيت قبل الوصول إلى طرف ذفران الذي يلي الصفراء
على يمين السالك في طريق مكة يريد الصفراء ، رأيت عليها مسجدا مبنيا بالحص
مرتفعا عن الطريق يسيرا ، يتبرك الناس بالصلاة فيه ، وليس بقربه مساكن ؛
فالظاهر أنه أحد المساجد المذكورة ، ورأيت أمام محرابه قبرا قديما محكم البناء ،
ولعله قبر عبيدة بن الحارث بن المطلب ^(١) ، فقد ذكر ابن إسحاق وغيره أنه
^(١) في الأصول « بن عبد المطلب » والصحيح ما ذكرناه (عن حسب الله) .

مات بالصفراء من جراحته التي أصابته في المبارزة ببدر ، ولم يذكروا محل دفنه ، إلا أن ابن عبد البر قال عقبه : ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مع أصحابه بالنازيين قال له أصحابه : إنا نجد ريح مسك ، فقال : وما يمنعكم وههنا قبر أبي معاوية ؟ يعني عبيدة بن الحارث ، انتهى . والنازيين غير معروف اليوم .

وقال المطري ، عقب ذكر وفاة عبيدة بالصفراء : فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وكان أسن بن عبد مناف يومئذ ، وأظن مستنده في ذكر الدفن بها موته بها مع قول هند بنت أمانة في رثائه على ما نقله ابن إسحاق :

لَقَدْ ضَمَّنَ الصَّفْرَاءُ مَجْدًا وَسُودَدًا وَحِمَامًا أَصِيلًا وَافِرَ اللَّبِّ وَالْعَقْلِ عُبَيْدَةً ، فَأَبْكِيهِ لِأَضْيَافِ غُرَبَةٍ وَأَرْمَلَةً تَهْوِي لِأَشْعَثِ كَا لَجْدَلِ (١)

وقال الزين المراغي : إنه مات بالصفراء من جراحته ، فإن قبره بذفران ، هكذا رأيت به بخطه ، ولم أقف على مستنده في ذلك ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يسلك ذفران في رجوعه من بدر ؛ لأنه رجع على الصفراء ، لكنه مرّ بطرف ذفران الذي يصب فيها .

ومنها : مسجد بالصفراء - روى ابن زبالة عن طلحة بن أبي حدير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد الصفراء .

قلت : ذكر لي بعض الناس أن هذا المسجد معروف بالصفراء يتبرك به .

ومنها : مسجد بثنية مبرك - روى ابن زبالة عن الأصمغ بن مسلم وعيسى ابن مَعْن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى مَطْلَعَهُ مِنْ ثُنْيَةِ مَبْرُكٍ ، فِي مَسْجِدٍ هُنَاكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دَعَانَ سِتَّةِ أَمْيَالٍ أَوْ خَمْسَةٍ .

قلت : ثنية مبرك : معروفة تسلك إلى ينبع في المغرب من جهة أسفل خيف بني سالم من ذات اليمين ، وطريق الصفراء ذات اليسار .

(١) الجدل = بفتح الجيم وسكون الدال - كل عضو وكل عظم موفر لا يكسر ،

فهو كناية عن الشدة وقوة العصب اهـ .

مسجد بدر

ومنها : مسجد بدر - كان العريش الذي بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر عنده ، وهذا المسجد معروف اليوم بقرب بطن الوادي بين النخيل ، والعين قرية منه ، وبقربه في جهة القبلة مسجد آخر يسميه أهل بدر مسجد النصر ، ولم أقف فيه على شيء .

مسجد العشيرة

ومنها : مسجد العشيرة - معروف ببطن ينبع ، وهو مسجد القرية التي ينزلها الحاج المصري ينبع ، في ورده وصدره .

روى ابن زبالة عن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد ينبع بعين بولا .

قلت : والعين اليوم جارية عنده ، لكن لا تعرف بهذا الاسم . قال المجد : وهذا المسجد اليوم من المساجد المقصودة المشهورة ، والمعابد المشهودة المذكورة ، تحمل إليه الذور ، ويتقرب إلى الله بالزيارة له والحضور ، ولا يخفى على النفس المؤمنة روح ظاهرة على ذلك المكان ، وأنس يشهد له بأنه حضرة سيد الإنس والجان .

مساجد الفرع

ومنها : مساجد ثلاثة بالفرع - بضم الفاء - يمر بها من سلك طريقها إلى مكة .

روى ابن زبالة عن أبي بكر بن الحجاج وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الأكمة من الفرع ، فقال في مسجدتها الأعلى ، ونام فيه ، ثم راح فصلى الظهر في المسجد الأسفل من الأكمة ، ثم استقبل الفرع فبرك فيها ، وكان عبد الله ابن عمر ينزل المسجد الأعلى فيقبل فيه ، فيأتيه بعض نساء أسلم بالفراش ، فيقول : لا ، حتى أضغ جنبي حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنبه ، وأن سالم ابن عبد الله كان يفعل ذلك ، وروى أيضاً عن عبد الله بن مكرم الأسلمي عن مشيخته أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل في موضع المسجد بالبرود من مضيق الفرع ، وصلى فيه .

ومنها : مسجد بالضيقه وكهف أعشار - روى ابن زبالة عن أبي بكر بن الحجاج مسجد الضيقه وسليمان بن عاصم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد في الضيقه نَحْرَجَه من ذات حماط . وذكر الزبير ذات الحماط في الأودية التي تَصُبُّ في وادي العقيق في القبلة مما يلي المغرب قرب البقيع ، ثم روى هذا الحديث . وذكر أيضاً في هذه الأودية كهف أعشار ، كما سيأتي عنه ، ثم روى عن أبي بكر ابن الحجاج وسليمان بن عاصم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق نزل في كهف أعشار وصلى فيه .

ومنها : مسجد مقمل ، بوسط النقيع حتى النبي صلى الله عليه وسلم ، على يومين من المدينة في جهة درب المشبان .

روى ابن زبالة عن محمد بن هيصم المزني عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم أشرف على مقمل ظرب وسط النقيع ، وصلى عليه ، فمسجده هنالك .

قال أبو هيصم المدني : وكان أبو البحترى وهب بن وهب في سلطانه على المدينة بعث إلى بثمانين درهما فعمرته بها . قال أبو علي الهجري : إن مقملا على ظرب صغير ، على غلوة من برام ، عليه المسجد المذكور ، ووهم المجد فعده في مساجد المدينة .

الفصل الخامس

في بقية المساجد والمواضع المتعلقة به صلى الله عليه وسلم
فمنها : مسجد العصر ^(١) ، وعصر سيأتي أنه على مَرَحَلَة من المدينة .

قال ابن إسحاق : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر سَلَكَ على عصر ، فبنى له فيها مسجد ، ثم على الصهباء .

(١) في الخلاصة «مسجد بعصرة» .

قال المطري : مسجد عصر من مشهورى المساجد التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم عند خروجه إلى خيبر .

ومنها : مسجد بالصهباء ، وهى على روضة من خيبر .

روى مالك عن سويد بن النعمان رضى الله تعالى عنه أنه خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم عام خيبر ، حتى إذا كانوا بالصهباء - وهى من أدنى خيبر - نزل صلى الله عليه وسلم ، ثم دعا بالأزواد ، فلم يؤت إلا بالسويق ، فأكل وأكلنا ، ثم قام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا ، ثم صلى ولم يتوضأ ، قال المطري : والمسجد بها معروف .

قلت : وقد قدمنا قصة رد الشمس هنا عند ذكر مسجد الفضيخ من مساجد المدينة .

ومنها : مسجدان بقرب خيبر أيضاً - قال الإقشهرى ، ومن خطه نقلت : وبنى له صلى الله عليه وسلم مسجد بالحجارة حين انتهى إلى موضع بقرب خيبر يقال له المنزلة ، عرّس [بها] ساعة من الليل فصلى فيها نافلة ، فعادت راحلته تجرّ زمامها ، فأدركت لترد فقال : دعوها فإنها مأمورة ، فلما انتهت إلى موضع الصخرة بركت عندها ، فتحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصخرة ، وتحوّل الناس إليها ، وابتنى هنالك مسجداً ، فهو مسجدهم اليوم .

ومنها : مسجد بين الشق والنظاة من خيبر روى ابن زبالة عن حسن بن ثابت بن ظهير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتى خيبر ، ودليه رجل من أشجع ، فسلك به صدور الأودية ، فأدركته الصلاة بالقرقرة ، فلم يصل حتى خرج منها ، فنزل بين أهل الشق وأهل النظاة ، وصلى على عوسجة هناك ، وجعل حولها الحجارة .

ومنها : مسجد بشمران - روى ابن زبالة عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه

مسجد العصر

مسجد الصهباء

مسجدان
قرب خيبر

مسجد بين
الشق والنظاة

مسجد شمران

قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس جبل بخيبر يقال له شمران ،
فتم مسجده من ناحية سهم بنى النذار^(١) ، قال المطري : ويُعرف هذا الجبل
اليوم بشمران .

ومنها : مساجد غزوة تبوك - قال ابن رشد ، في بيانته : بنى النبي صلى الله عليه مساجد تبوك
وسلم بين تبوك والمدينة نحو ستة عشر مسجدا ، أولها بتبوك وآخرها بذى خشب ،
وذكر ابن زبالة نحو هذه العدة ، وقال ابن إسحاق : كانت المساجد معلومة
مسمية ، وسردها أربعة عشر مسجدا ، وخالف في تعيين بعض مواضعها لما
ذكره ابن زبالة ، وذكرها الحافظ عبد الغنى وزاد عن الحاكم مسجدا .

وقد اجتمع لنا من مجموع ذلك عشرون مسجدا .
فالأول بتبوك ، قال ابن زبالة : ويقال له مسجد التوبة ، قال المطري :
وهو من المساجد التي بناها عمر بن عبد العزيز ، قال الجدي : دخلته غير مرة ،
وهو عقود مبنية بالحجارة .

الثاني : بثنية مدران - بفتح الميم وكسر الدال المهملة - تلقاء تبوك .

الثالث : بذات الزراب - بكسر الزاي - على مرحلتين من تبوك .

الرابع : بالأخضر ، على أربع مراحل من تبوك .

الخامس : بذات الخطمي ، كذا في تهذيب ابن هشام ، ومشى عليه المجد ،
وفي كتاب المطري « بذات الخطم » - بفتح الخاء المعجمة ثم طاء مهملة - على خمس
مراحل من تبوك .

السادس : ببألى - بالموحدة المفتوحة ، ثم همزة ولام مفتوحتين - على خمس
مراحل أيضاً منها ، قاله المطري ، وكذا هو في تهذيب ابن هشام ، وفي نسخة
ابن زبالة بنقيع بولا .

السابع : بطرف البتراء ، تأنيث أبترا ، قال ابن إسحاق : من ذنب كواكب
وقال أبو عبيدة البكري : إنما هو كوكب جبل هناك ببلاد بني الحارث بن كعب

(١) في الخلاصة « البراز » وفي نسخة « الزار » .

الثامن : بشق تراء - بالمشقة الفوقية والراء - زاد ابن زبالة : من جويرة
التاسع : بذى الخليفة ، قاله ابن زبالة وغيره أيضاً ، وهو غريب لم يذكره
أصحاب البلدان .

العاشر : بذى الخليفة ، لم أر من جمعه مع الذى قبله إلا المجد ، وقال : إنه
بكسر الخاء المعجمة ، وقيل بفتحها ، وقيل بحجيم مكسورة ، وقيل بحاء مهيأة مفتوحة ،
واقصر فى أسماء البقاع على كسر الجيم ، والذى فى تهذيب ابن هشام ذكر هذا
المسجد بدل الذى قبله ، وعكس ابن زبالة .

الحادى عشر : بالشوشق ، قاله الحافظ عبد الغنى عن الحاكم ، قال المجد :
وكأنه تصحيف .

الثانى عشر : بصدر حوضى - بالحاء المهملة ، والضاد المعجمة ، مقصور كما وجد
بخط ابن الفرات ، واقصر عليه المطرى ، وقال المجد - مع ذكره لذلك فى أسماء
البقاع : إنه بفتح الحاء والمد موضع بين وادى القرى وتبوك - قال : وهناك مسجده
صلى الله عليه وسلم ، انتهى . وهو مخالف لما ذكره هناك من المغيرة بين مسجد
ذى الخليفة وبين مسجد صدر حوضى فى ذنب حوضى ومسجد آخر فى ذى
الخليفة من صدر حوضى ، والمغيرة هى التى فى تهذيب ابن هشام ، ولعل صدر
حوضى هو المعبر عنه بسمنة فى رواية ابن زبالة ، فإنه كما سيأتى ماء قرب
وادى القرى ، وفى نسخة المجد فى حكاية روايته : ومسجد بذنب حويضى بدل
قوله بسمنة .

الثالث عشر : بالحجر ، وذكر ابن زبالة بدله العلاء ، وكلاهما بوادى القرى .

الرابع عشر : بالصعيد صعيد قزح .

الخامس عشر : بوادى القرى ، وقال الحافظ عبد الغنى ، فى مسجد الصعيد :

وهو اليوم مسجد وادى القرى .

قلت : فهذا الذى قبله بوادى القرى ، وفى رواية ابن زبالة : ومسجدان

بوادى القرى أحدها فى سوقها والآخري فى قرية بنى عذرة ، فلعل هذا هو الذى بقرية بنى عذرة ، والذى قبله هو الذى بالسوق ، لكن المجد غاير بين الثلاثة أخذنا بظاهر العبارة ، ولأن فى رواية أخرى لابن زباله « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى بصعيد قزح من الوادى ، وتعلمنا مصلاه بأحجار وعظم ، فهو المسجد الذى يجتمع فيه أهل الوادى » .

السادس عشر : بقرية بنى عذرة ، لم يذكره ابن إسحاق ، وذكره ابن زباله كما تقدم .

السابع عشر : بالرقعة ، على لفظ رقعة الثوب ، قال أبو عبيد البكرى : أخشى أن يكون بالرقعة - بالميم - من الشقة شقة بنى عذرة ، وقال ابن زباله بدله بالسقيا ، قال المجد فى أسماء البقاع : والسقيا من بلاد عذرة قريبة من وادى القرى الثامن عشر : بذى المروة ، قال المطرى : وهو على ثمانية بُرْدٍ من المدينة ، كان بها عيون ومزارع وبساتين أثرها باقى إلى اليوم .

قلت : وسيأتى فى ترجمتها ما جاء فى نزوله صلى الله عليه وسلم بها .
التاسع عشر : بالفيفاء فيفاء الفحلتيين ، قاله المطرى ، كان بها عيون وبساتين لجماعة من أولاد الصحابة وغيرهم .

قلت : وسيأتى فى ترجمة الفحلتيين أنهما قنتان تحتها صخر على يوم من المدينة .
العشرون : بذى خشب على مرحلة من المدينة ، ولفظ رواية ابن زباله أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى تحت الدومة التى فى حائط عبيد الله بن مروان بذى خشب ، فهناك يجتمعون .

وفى سنن أبى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل فى موضع المسجد تحت دومة ، فأقام ثلاثا ، ثم خرج إلى تبوك ، وإن جهينة لحقوه بالرحبة ، فقال لهم : من أهل ذى المروة ؟ قالوا : بنو رفاعه من جهينة ، فقال : قد قطعها لبنى رفاعه ، فاقسموها ، فمنهم من باع ومنهم من أمسك فعمل .

وسنتكلم على هذه الأماكن بأوفى من هذا في محلها إن شاء الله تعالى .
 ومنها : موضع مُصَلَّاه بنخل ، ومسجد على ميل من الكديد - روى ابن
 زباله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بنخل تحت أئمة لرجل من أشجع
 من بني نعيم في مزرعة له في وسطها نخل ، وصلى تحتها ، فأضر الناس بتلك المزرعة ،
 فقطع صاحب المزرعة تلك الأئمة ، قال : ثم أصدع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في بطن نخل حتى جاوز الكديد بميل ، فنزل تحت سرحه وصلى تحتها ،
 فموضع مسجده اليوم معروف ، وأنه صلى الله عليه وسلم صلى بالجبل من
 بلاد أشجع .

مسجد الكديد

قلت : نخل موضع بنجد كما سيأتي في محله ، والكديد : موضع بقر به ،
 لا الكديد الذي بين خليص وعسفان ، وذكر الأسدى هذا المسجد في وصف
 الطريق بين فيد والمدينة ، فقال بعد ذكر ذى أمر : إن الكديد واد ، والطريق
 يقطعه ، فلما يفارقه ماء عذب مستنقع ، وفيه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 وبه خيام أعراب من بني كنانة ، والنخيل قريب منها ، وذكر أن بين النخيل
 وبئر السائب اثنين وأربعين ميلا ؛ فعبر عن نخل بالنخيل مصغرا ، وذلك هو المعروف
 اليوم قرب الكديد .

ومنها : مسجد بالحديبية يقال له مسجد الشجرة - وهو غير معروف ، بل
 قال المطري : لم أر في أرض مكة من يعرف اليوم الحديبية إلا الناحية لا غير ،
 انتهى . وهو الموضع الذي نزل به النبي صلى الله عليه وسلم في عُمره الحديبية يريد
 مكة فعاقه المشركون .

مسجد الشجرة
بالحديبية

قال ابن شبة ، فيما نقل عن ابن شهاب : الحديبية واد قريب من بلح ،
 وقال صاحب المطالع : هي قرية ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد
 الشجرة ، وقال التقي الفاسي : يقال إن الحديبية الموضع الذي فيه البئر المعروف ببئر
 شمس بطريق جدة .

مسجد
ذات عرق

ومنها : مسجد دون ذات عرق بميلين ونصف - قال الأسدي في وصف طريق ذات عرق من جهة نجد والعراق : إن بركة أوطاس يسرة عن الطريق بائنة عن الحجة ، وبعدها مسجد يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه ، ودون ذات عرق بميلين ونصف مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ميقات الإحرام ، وهو أول تهامة ، فإذا صرّحت عند الميل الثامن رأيت هناك بيوتاً في الجبل خراباً يمتلئ عن الطريق ، يقال : إنها ذات عرق الجاهلية ، وأهل ذات عرق يقولون : الجبل كله ذات عرق ، وبعض أهل العلم كان يحب أن يحرم من ذات عرق الجاهلية .

مسجد
الجعرانة

ومنها : مسجد بالجعرانة - عن محرس السكبي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الجعرانة ليلاً مُعْتَمِراً ، وجاء مكة ليلاً ، فقصى عمرته ، ثم خرج من ليلته وأصبح في الجعرانة كبائت ، فلما زالت الشمس من الغد خرج في بطن شرف حتى جامع الطريق ، فن أجّل ذلك خفيت عمرته على الناس ، رواه أحمد والترمذي وحسنه .

وذكر الواقدي أن إحرامه صلى الله عليه وسلم من الجعرانة كان ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ، وأنه أحرم من المسجد الأقصى الذي تحت الوادي بالعدوة القصوى ، وكان مُصَلّي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان بالجعرانة به ، فأما الأدنى فبناه رجل من قريش ، واتخذ الحائط عنده ، ولم يجز رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي إلا محرماً .

وعن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم أحرم من الجعرانة من وراء الوادي حيث الحجارة المنصوبة ، وإني لأعرف من اتخذ هذا المسجد على الأكمة ، بناء رجل من قريش ، واشترى مالا عنده ونحلا . ويَبَيّن في رواية أخرى أن المسجد الأقصى الذي من وراء الوادي بالعدوة القصوى مُصَلّي رسول الله صلى

الله عليه وسلم ما كان بالجعرانة ، وأن المسجد الأدنى بناه رجل من قريش ،
رواه الأزرقي .

مسجد لية

ومنها : مسجد لية ، وبين وادي لية ووادي الطائف نحو ثمانية أميال .
قال ابن إسحاق : سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من حنين
متوجهاً إلى الطائف على نخلة اليمانية ، ثم على قرن وهو مهمل أهل نجد ، ثم على
المليج ، ثم على بحرة الرضا من لية ، فابتنى بها مسجداً وصلى فيه .

قال المطري : وهو معروف اليوم وسط وادي لية ، رأيتُه وعنده أثر في حجر
يقال به أثر خف ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن إسحاق عن
حديث عمرو بن شعيب له : إنه صلى الله عليه وسلم أقاد يومئذ ببجرة الرضا ، وحين
نزلها ندم ، وهو أول دم أُقيد به في الإسلام ، رجل من بني ليث قتل رجلاً من
هذيل ، فقتله به .

مسجد الطائف

ومنها : مسجد بالطائف - قال ابن إسحاق بعدما تقدم عنه : ثم سلك صلى
الله عليه وسلم في طريق يقال له الضيقة ، وسأل عن اسمها فقيل : الضيقة ، فقال بل
هي اليسرى ، ثم خرج منها على نخب - وهي عقبة في الجبل - حتى نزل تحت
سِدْرَة يقال لها الصادرة ، قريباً من مال رجل من ثقيف ، ثم مضى حتى نزل
قريباً من الطائف ، فقتل ناس من أصحابه بالنبل لاقتربا من عسكره من حائط
الطائف ، فوضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم ، فحاصروهم بضماً
وعشرين ليلة ، ومعه امرأتان من نسائه إحداهما أم سلمة ، فضرب لهما قبعتين ،
ثم صلى بين القبعتين ، فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلّى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عمرو بن أمية بن وهب مسجداً ، وكانت في ذلك المسجد سارية فيما يزعمون
لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا سُمِع لها نقيض ، انتهى .

وذكر الواقدي بناء عمرو بن أمية للمسجد على مصلّى رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، قال : وكان فيه سارية لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا يسمع لها
نقيض أكثر من عشر مرار ، فكانوا يرون أن ذلك تسبيح .
قال المطري : وهو جامع كبير ، فيه منبر عالٍ عمل في أيام الناصر أحمد بن
المستضيء ، وفي ركنه الأيمن القبلي قبر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب في قبة
عالية ، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحن هذا الجامع بين قبتين
صغيرتين يقال : إنهما بُنيتا في موضع قبتي زوجته عائشة وأم سلمة رضي الله
تعالى عنهما .

قلت : قال التقى الفاسي : إن المسجد الذي يُنسب للنبي صلى الله عليه وسلم
هناك في مؤخر المسجد الذي فيه قبر عبد الله بن عباس ؛ لأن في جداره القبلي من
خارجه حجراً فيه : أَمَرْتُ أُمُّ جَعْفَرُ بِنْتُ أَبِي الْفَضْلِ أُمُّ وَلَاءَةَ عَهْدَ الْمُسْلِمِينَ
بِعِمَارَةِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالطَّائِفِ . وفيه أن ذلك سنة
اثنين وسبعين ومائة ، قال : والمسجد الذي فيه قبر ابن عباس أظن أن
المستعين العباسي عمره مع ضريح ابن عباس ، انتهى . فإن كان المسجد الذي
ذكر الفاسي أنه في مؤخر الجامع المذكور في صحفه فلا مخالفة فيه لما ذكره
المطري ، وإلا فيخالفه .

قال المطري : ورأيت بالطائف شجرات من شجر السَّدْرِ يذكر أنهن من
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينقل ذلك خلف أهل الطائف عن سلفهم ،
فمنهن واحدة دور جذرها خمسة وأربعون شبراً ، وأخرى أزيد على الأربعين ،
فأخرى سبعة وثلاثون ، وأخرى يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بها وهو
على راحلته فانفرك جذرها نصفين ، وأن ناقته دخلت من بينهما وهو ناعس ،
قال : رأيتها قائمة كذلك سنة ست وتسعين ، وأكلت من ثمرها ، وحملت منه
للبركة ، ثم في سنة تسع وعشرين وسبعائة رأيتها وقعت ويبست وجذرها مُلِّقٌ
لا يغيره أحد لحرمة بينهم ، انتهى .

وكأنه بقي منه بقيّة ؛ فإن التقى الفاسى ذكرها ، وقال : إنها انفرجت للنبي صلى الله عليه وسلم نصفين لما اعترضته وهو سائر وسنان ليلاً في غزوة الطائف وثقيف على ساقين ، على ما ذكر ابن فورك فيما حكى عنه عياض في الشفاء ، وبعض هذه السدرة باقية إلى الآن ، والناس يتبركون به ، انتهى .

وقال المرجاني : ورأيت بوجّ من قرى الطائف سدرّة محاذية للجبر قرية أيضاً يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس تحتها حين أتاه عديس بالطبق العنب وأسلم ، وقالوا : سحره محمد ، والقصة مشهورة ، قال : ورأيت في جبل هناك عند آخر الحبرة تحت العين يذكر أنه صلى الله عليه وسلم جلس فيه ، انتهى .

وعن الزبير قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بلية - قال الحميدى : مكان بالطائف - حتى إذا كنا في السدرة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند طرف القرن الأسود عندها ، فاستقبل نخباً - قال الحميدى : مكان بالطائف - ببصره ، ثم وقف حتى اتفق الناس ، ثم قال : إن صيدوّج وعضاها حرمٌ محرمٌ لله عز وجل ، وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفاً ، كذا في نسخة العيسوى عن الحميدى ومسنّد أحمد وسنن أبى داود أيضاً ، وضعفه النووى .

وختم ابن زبالة الكلام على المساجد بحديث عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعاً « مَنْ بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة ، ولو مثل فحَصِ القَطَاة » قالت : فقلت : يا رسول الله والمساجد التي بين مكة والمدينة ؟ قال : نعم ، ورواه البزار . وفيه كثير بن عبد الرحمن ، ضعفه العقيلي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، ولفظه « مَنْ بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة ، قلت : وهذه المساجد التي في طريق مكة ؟ قال : وتلك » ، والحديث في الصحيح عن عثمان بدون هذه الرواية ، ولفظه « مَنْ بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة » .

قلت : فينبغي الاعتناء بما دمر من المساجد التي بالمدينة وغيرها وعمارتها ،
والله الموفق .

الباب السابع

في أوديتها ، وأحماشها ، وبقاعها ، وجبالها ، وأعمالها ، ومضافاتها ،
ومشهور ما في ذلك من المياه والأودية ، وضبط أسماء
الأماكن المتعلقة بذلك ، وفيه ثمانية فصول

الفصل الأول

في فضل وادي العقيق ، وعَرَصَتِهِ ، وحدوده

روينا في الصحيح عن ابن عمر قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول بوادي العقيق : « أتاني الليلة آتٍ فقال : صلِّ في هذا الوادي المبارك ،
وقل عمرة في حجة » .

ماورد من
الأحاديث في
فضل وادي
العقيق

وتقدم في مسجد المعرس في رواية له « أرى وهو في مُعَرَّسِهِ بذى الحليفة
يبطن الوادي قيل له : إنك يبظحاء مباركة » .

وروى ابن شبة عن عمر رضى الله تعالى عنه مرفوعاً « العقيقُ وادٍ مبارك » .

وعن هشام بن عروة قال : اضطلع النبي صلى الله عليه وسلم بالعقيق ، فقيل له :
إنك في وادٍ مبارك .

وروى ابن زباله عن عامر بن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم « نام بالعقيق ، فقام رجل من أصحابه يُوقِظُهُ ، فحال بينه وبينه رجل من أصحابه
آخر ، وقال : لا تُوقِظُهُ فإن الصلاة لم تفته ، فتدارأ حتى أصاب بعضُ أحدهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأيقظهُ ، فقان : مالكما ؟ فأخبراه ، فقال : لقد أيقظتماي

وإني لأراني بالوادي المبارك» وعن زكريا بن إبراهيم بن مطيع قال: بات رجلان بالعقيق، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أين تبنا؟ فقالا: بالعقيق، فقال: لقد تبنا بواد مبارك.

وتقدم أن عمر رضي الله تعالى عنه قال: احصبوا هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - من هذا الوادي المبارك، ورواه صاحب الفردوس مرفوعا. وقال أبو غسان: أخبرني غير واحد من ثقات أهل المدينة أن عمر رضي الله تعالى عنه كان إذا انتهى إليه أن وادي العقيق قد سأل قال: اذهبوا بنا إلى هذا الوادي المبارك، وإلى الماء الذي لو جاءنا جاء من حيث جاء لتمسحنا به.

وروى ابن زبالة عن عامر بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «ركب إلى العقيق، ثم رجع فقال: يا عائشة جئنا من هذا العقيق، فما ألين موطئه، وأعذب ماءه، قالت: فقلت: يا رسول الله أفلا ننقل إليه؟ قال: وكيف وقد ابتنى الناس؟».

وعن خالد العدواني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في عريضة العقيق «نعم المنزل العريضة لولا كثرة الهوام».

وعن محمد بن إبراهيم التيمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «خرج في بعض مغازيه، فأخذ على الشارعة حتى إذا كان بالعريضة قال: هي المنزل لولا كثرة الهوام».

وروى السيد أبو العباس العراقي في ذيله على ابن النجار عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي العقيق، فقال: يا أنس خذ هذه المطهرة أملأها من هذا الوادي فإنه يحبنا ونحبه، فأخذتها فملأناها، الحديث.

وروى ابن شبة عن سلمة بن الأكوع قال: كنت أصيد الوحش وأهدي لحومها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففقدني فقال: يا سلمة أين كنت تصيد

الوحش ؟ فقلت : يا رسول الله تباعد الصيدُ فأنا أُصيدُ بصدور قناة نحو ثيب ، فقال : لو كنت تصيد بالعقيق لَشَيِّعْتُكَ إذا خرجت وتلقيْتُكَ إذا جئت ، إني أحب العقيق ، ورواه الطبراني بنحوه ، قال الهيثمي : وإسناده حسن

وروى ابن زبالة عن جابر قال : كان سلامة يَصِيدُ الظباء فيهدى لحومها لرسول الله صلى الله عليه وسلم جَفِيفًا وَطَرِيًّا ، فافتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا سلامة مالك لا تأتي بما كنت تأتي به ؟ فقال : يا رسول الله تباعد علمنا الصيدُ فإنما نصيد بثيب وصدور قناة ، فقال : أما إنك لو كنت تصيدُ بالعقيق لَشَيِّعْتُكَ إذا ذهبت وتلقيْتُكَ إذا جئت ، فإني أحب العقيق .

قلت : ومحملة إن صح على ما قَبِلَ تحريم المدينة ، أو أن المراد من الصيد بالعقيق طرفه الخارج عن الحرم ، جمعاً بين الأدلة .

ونقل ابن زبالة والزيبر بن بكار عن هشام بن عروة أنه كان يقول : العقيق حد العقيق ما بين قصر المَراجل فهُلِمَ صُعُداً إلى النقيع ، وما أسفل من ذلك - أي من قصر المَراجل - فن زغابة .

وعن المنذر بن عبد الله الحمزاني أنه سمع من أهل العلم أن الجرف ما بين محجة الشام إلى القصاصين ، أي أصحاب القصة ، وأن وطيف الحمار ما بين سقاية سليمان إلى الزغابة ، وأن العرصة ما بين محجة بين إلى محجة الشام ، وأن العقيق من محجة بين فاذهب به صعوداً إلى النقيع .

قلت : محجة بين تبين آخر الجروف ، أي طريقها ، وأظنها طريق درب العصرة ، ومن سلكها مغرباً كانت الجمادات عن يساره .

قال : وحدثني آخرون أن العقيق من العرصة أبداً إلى النقيع . قال الزبير : ولم أزل أسمع أهل العلم والسنن يقولون : إن العقيق الكبير مما يلي الحرة ما بين أرض عروة بن الزبير إلى قصر المَراجل ، ومما يلي الجماء ما بين قصور عبد العزيز بن عبد الله العثماني إلى قصر المَراجل ، ثم اذهب بالعقيق صعوداً

إلى منتهى النقيع ، ويقولون لما أسفل من المراحل إلى منتهى العرصة العقيق الصغير ، فأعلى أودية العقيق النقيع .

وقالت الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمية تبكي أخاها صخر ابن عمرو وقد مات بالنقيع من جراحة فدفن فيه على رأس برام :

أَفِيقِي مِنْ دُمُوعِكَ وَاسْتَفِيقِي وَصَبْرًا إِنْ أَطَقْتَ ، وَلَنْ تُطِيقِي

وَقَوْلِي : إِنْ خَيْرَ بَنِي سَلِيمٍ وَغَيْرِهِمْ بِيَطْحَاءِ الْعَقِيقِ

وروى بن قعاء العقيق .

ونقل أبو علي الهجري أن النقيع يبتدىء أوله من برام ، والعقيق يبتدىء أوله من حضير إلى آخر منتهاه من العقيق الصغير ، ثم يصب في زغابة .

ونقل أيضا أن حضيرا آخر النقيع وأول العقيق ، وآخر العقيق زغابة ، قال : وزغابة

مجمع السيول غربى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ، وهو أعلى وادى إضم .

قلت : فهي منتهى العقيق والعرصة ، ومبتدؤه حضير ، وهي مزارع معروفة بقرب النقيع على أزيد من يوم عن المدينة .

وقال عياض : النقيع صدر العقيق ، والعقيق وادٍ عليه أموال أهل المدينة ،

قيل : على ميلين منها ، وقيل : على ثلاثة ، وقيل : ستة أو سبعة ، وهما عقيقان ،

أدناها عقيق المدينة ، وهو أصغر وأكبر ، فالأصغر فيه بئر رومة ، والأكبر فيه

بئر عروثة . والعقيق الآخر على مقربة منه ، وهو من بلاد مزينة ، وهو الذى

أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث ، وأقطعه عمر الناس ، فعلى هذا

تحمل المسافات لا على الخلاف . والعقيق الذى جاء فيه « إنك بوادٍ مبارك »

هو الذى ببطن وادى ذى الحليفة ، وهو الأقرب منهما - أى من العقيقين -

المنقسم أحدهما إلى الكبير والصغير فلا ينفى كون ما يلى الحرة من العقيق

أقرب . على أنه سيأتى ما يقتضى أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحارث

كلَّ العقيق بعيدَه وقريبه ، وأن الذى أقطعه عمر الناس هو الأدنى من المدينة ،

وهو المنقسم إلى كبير وصغير ، وكلام الزبير وغيره صريح في ذلك ، والصواب أن مهبط الثنية المعروفة بالدرج أول شاطئ وادي العقيق ، على ميلين من المدينة أيام عمارتها ، كما اقتضاه اختبارا لمساحة ما بين المسجد النبوي ومسجد ذي الحليفة ، وبه صرح الأسدي من المتقدمين ، فقال : إن العقيق على ميلين من المدينة ، الميل الأول خلف أبيات المدينة ، والثاني حين ينحدر من العقبة في آخره يعني المدرج ، وكان من عبّر بالثلاثة اعتبر المسافة من المسجد النبوي إلى أول بطن الوادي بعد القصر المعروف بحصن أبي هشام ، ومن عبّر بالستة اعتبرها إلى طرفه الأبعد وهو الذي به ذو الحليفة ، فأدخل بطن الوادي في المسافة ، أو هو مفرع علي القول بأن الميل ألفا ذراعاً ، والراجح الموافق لاختبارنا أنه ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع وقال المطري : وادي العقيق أصل مسيله من النقيع قبلي المدينة الشريفة علي طريق المشبان ، وبينه وبين قباء يوم ونصف ، ويصل إلى بئر علي العليا المعروفة بالخليقة - بالقاف والحاء المعجمة - ثم يأتي علي غربي جبل عير ، ويصل إلى بئر علي بذى الحليفة المحرم ، ثم يأتي مشرقاً إلى قريب الحمراء التي يطلع منها إلى المدينة ، ثم يعرج يساراً ، ومن بئر المحرم يسمى العقيق ، فينتهي إلى غربي بئر رومة ، انتهى .

وقوله : « ومن بئر المحرم يسمى العقيق » أي في زمنه كزماننا ، وهو العقيق الأدنى في كلام عياض .

وقال عقب قوله « والعقيق الذي جاء فيه إنك بواد مبارك هو الذي يبطن وادي ذي الحليفة وهو الأقرب منهما » ما لفظه : وهو الذي جاء فيه أنه مهبط أهل العراق من ذات عرق ، اه . وهو خطأ ، إلا أن يحمل علي ما ذكره بعضهم من أن عقيق ذات عرق يتصل واديه بعقيق المدينة ، والمعروف قديماً امتدادُهُ إلى النقيع كما سبق ، قال الزبير : سألت سليمان بن عياش السعدي : لم سُمي العقيق عقيقاً ؟ قال : لأن سيله عق في الحرة ، وكان سليمان من أفقه من رأيت في كلام العرب .

وقوله « عَقَّ » أى شَقَّ وقطع فى الحرة ، ولما شَخَّصَ تَبَعَ عن منزله بقناة
ومر بالعرصة وكانت تسمى السليل قال : هذه عرصة الأرض ، فسميت العرصة ،
ومر بالعقيق فقال : هذا عقيق الأرض ، فسمى العقيق ، وقيل : سُمى بذلك لحرّة
موضعه .

الفصل الثامن

فى أقطاعه ، وابتناء القُصُور به ، وطريف أخبارها
روى ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحارث العقيق
كله ، فلما ولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يُقَطِّعْكَه لتُحجره ، وأقطعه عمرُ الناس .

رسول الله
يقطع بلالا
العقيق

وقال ابن شبة : حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا مَنْ نثق به من آل حرم .
وغيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحارث المزنى العقيق ،
وكتب له فيه كتابا نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسول الله
بلال بن الحارث ، أعطاه من العقيق ما أصلح فيه معتملا . وكتب معاوية ، قال :
فلم يعمل بلال فى العقيق شيئا ، فقال له عمر فى ولايته : إن قويت على ما أعطاك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من معتمل العقيق فاعتمله ، فما اعتملت فهو لك كما
أعطاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن لم تعتمله أقطعته بين الناس ولم تحجره
عليهم ، فقال بلال : تأخذ منى ما أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال :
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشترط عليك فيه شرطا ، فأقطعه عمر رضى
تعالى عنه بين الناس ، ولم يعمل فيه بلال شيئا ؛ فلذلك أخذ عمر رضى الله تعالى
عنه ، ورواه الزبير بن بكار ، وأسند نسخة القطيعة المذكورة عن هشام بن عروة .
وروى عن محمد بن سلمة الخزومى قال : أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلال بن الحارث المزنى معادن القبيلة والعقيق ، فبلغنا أنه باع رومة من عثمان بن

عفان ، وانتزع منه عمر بقية العقيق وأقطعه للناس ، وقال : إنما أعطاك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعمروا ولم يعطك تحجر .

وعن هشام بن عروة وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحارث العقيق ، فلم يزل على ذلك حتى ولى عمر فدعاه بلالاً فقال : قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنع شيئاً سئله ، وإنك سألته أن يعطيك العقيق فأعطاك ، فالناس يومئذ قليل لا حاجة لهم ، وقد كثر أهل الإسلام واحتاجوا إليه ، فانظر ما ظننت أنك تقوى عليه فأمسكه واردد إلينا ما بقى نُقطعه ، فأبى بلال ، فترك عمر بيد بلال بعضه وأقطع ما بقى للناس .

وذكر في رواية مع العقيق « معادن القبيلة وحيث يصلح الزرع من قدس » وهي في سنن أبي داود بدون ذكر العقيق .

وروى ابن شبة عن عبد الله بن أبي بكر أن عمر لما ولى قال : يا بلال ، إنك استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاً طويلة عريضة ، فأقطعها لك ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنع شيئاً سئله ، وإنك لا تطيق ما في يدك ، فقال : أجل ، فقال : فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه ، وما لم تطق فادفعه إلينا نقسمه ، فأبى ، فقال عمر : والله لنفعلن ، فأخذ منه ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين .

خبر قصر عروّة ، وبئر

عن عروة بن الزبير قال : لما أخذ عمر بن الخطاب من بلال بن الحارث ما أخذ من العقيق وقف في موضع بئر عروّة بن الزبير التي عليها سقايته ، وقال : أين المستقطنون ؟ فنعم موضع الحفيرة ، فاستقطعه ذلك خوات بن جُبَيْر الأنصاري ، ففعل ، قال مصعب بن عثمان : فقرأت كتاب قطيعته أرض عروة بن الزبير بالعقيق في كتب عروة ما بين حرة الوبرة إلى ضفيرة المغيرة بن الأخنس .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما أقطع عمرُ العقيقَ فدنا من موضع قصر عروة وقال : أين المستقطعون منذ اليوم ؟ فوالله ما مررت بقطيعةٍ شبيهة هذه القطيعة ، فسألها خَوَّات ، فأقطعها له ، وكان يقال لموضعها « خيف حرة الوبرة » فلما كانت سنة أحد وأربعين أقطع مروان بن الحكم عبد الله بن عياش بن علقمة ما بين الميل الرابع من المدينة إلى ضفيرة أرض المغيرة بن الأخنس بالعقيق إلى الجبل الأحمر الذي يطلعك على قباء ، قال هشام : فاشتري عروة موضع قصره وأرضه وبثاره من عبد الله بن عياش ، وابتنى واحتفر وحجر وضفر ، وقيل له : إنك لست بموضع مُدِر ، فقال : يأتي الله به من النقيع ، فجاء سيل فدخل في مزارعه فكساها من خليج كان خَلَجَه ، وكان بناء جنابذ - أي جمع جنبد بضم الجيم ، وهو ما ارتفع واستدار كالقبة - قال : وكان لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الناحية الأخرى المراحل وقَصْرُ أمية والمنيف والآبار التي هناك والمزارع ، فاستفتى عبد الله عبد الله بن عبد الله بن عمرو على عروة وقال : إنه حَمَلَ على حق السلطان ، فهدم عمر بن عبد العزيز جنابذه وضفائره ، وسد بثاره ، فقدم رجل من آل خالد ابن أسيد بن أبي العيص بن أمية يريد الوليد ، فسأل عن عروة ، فأخبر قصته ، فقدم على الوليد فسأله عن عروة وحاله ، فأخبره ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز ما عروة ممن يُتَّهَمُ فدَّعاه وما انتقص من حق السلطان ، فبعث إليه عمر وقال : كتبت في إلى أمير المؤمنين ؟ فقال : ما فعلت ، فقال : اذهب فاصنع ما بدا لك فقال عروة : جزعوا من جنابذ نبنيا ، والله لأبنيته بناء لا يبلغونه إلا يشقَّ الأنفس ، فبنى قصره هذا البناء ، وهيل بثاره ، فقال له ابنه عبد الله : يا أبتاه لو تبدلت بئارا فاحتفرتها لكان أهون في العزم ، فقال : لا والله إلا هي بأعيانها وأنشأ عروة يقول :

بَذِينَاهُ فَأَحْسَنَاهُ بِنَاهُ * بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ الْعَقِيقِ
نَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ شَزْرًا * يَلُوحُ لَهُمْ عَلَى وَضْعِ الطَّرِيقِ

فساء الكاشحين وكان غيظاً * لأعدائي وسراً به صديقي
يراه كلُّ مرتفقٍ وسارٍ * ومُعتمِرٍ إلى بيتِ العقيق
وعن مصعب بن عثمان قال : لما كتب الوليدُ إلى عمر بن عبد العزيز في ذلك
ولي عمرو بن عبد الله بن عمرو بناء قصره ، فلما كثرت النفقة فيه لقيه عمه
يحيى بن عمرو فقال : يا ابن أخي ، كم أنفقت في القصر ؟ قال : كذا وكذا ،
قال : هذه نفقة كثيرة لو علم أبي بها لاقتصر في بنائه ، فأخبره بذلك ، فأخبر عمر
جده ، فقال : أقيقك يحيى ؟ قال : نعم ، قال : إنما أراد أن يعوق عليّ بنائي ، أنفق
ولا تحسب ، فأنفق ولم يحسب حتى فرغ ، وحفر بئارا إحداهن بئر السقاية ، وبئر
يدعى العسيلة ، وبئر القصر .

وقال مصعب : وسبب هدم عمر بن عبد العزيز وتهوره البئر أن عمرو أراد
أن يرفع في رأس عينه محلاً فمنعه عبد الله بن عمرو بن عثمان إلا أن يسأله ذلك ،
وكان له حقيق به ، فقال عمرو : مثلي يُكلف ذلك ؟ وتركها ، فلما بنى عبد الله
قصره المراحل وعمل مزارعه عمل له خليجاً ، فلما بلغ به مزارع عمرو حال بينه وبين
ذلك ، فاستفتى عبد الله بن عبد الله عمر بن عبد العزيز على عمرو ، وقال : بني وحفر
في غير حقه ، وكانت جنازته سبعة ، وكانت الركبان ينزلون على بئر مروان ، فلما
حفر عمرو بئر وأعذب اختاروا السهل والعذوبة فتركوا النزول على بئر مروان
وكان في نفس عمر بن عبد العزيز شيء من ذلك ، مع ما كان في نفسه على
جميع بني الزبير .

وعن ابن أبي ربيعة أنه مرَّ بعروة وهو بيني قصره بالعقيق فقال : أردت
الحرب يا أبا عبد الله ؟ قال : لا ، ولكن ذكر لي أنه سيصيبها عذاب ، يعني
المدينة ، فقلت : إن أصابها كنت منتحياً عنها .

وعن عمرو مرفوعاً : يكون في آخر أمتي خسف وقذف ومسح ، وذلك
عند ظهور عمل قوم لوط ، قال عمرو : فبلغني أنه قد ظهر شيء منه ، فتنجّيتُ

عنها ، وخشيت أن يقع وأنا بها ، وبلغني أنه لا يصيب إلا أهل القصبة قصبة المدينة ، وفي نسخة المجد « القصبة » مصغراً ، فأوردوه في ترجمة القصبة ، وهو وهم . وعن هشام قال : لما اتخذ عروة قصره قال له الناس : قد جفوت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إني رأيت مساجدهم لاهية ، وأسواقهم لا غية ، والفاحشة في فجاجهم عالية ، فكان فيما هناك عما هم فيه عافية . وتصدق عروة بقصره وأرضه وبثره على المسلمين ، وأوصى بذلك إلى الوليد ابن عبد الملك ، فولاه ابنه يحيى وعبد الله ، ثم توفي يحيى وأقام عبد الله في القصر نحواً من أربعين سنة ، ثم توفي عبد الله ، ثم وليها هشام بن عروة بالسن ، ثم عبد الله بن عروة ، وقيل له : مالك تركت المدينة ؟ قال : لأنى بين رجلين حاسد لنعمة أو شامت بمصيبة ، وهو القائل :

لو كان يدرى الشيخ عذرى بالسحر نحو السقاية التي كان اختفر
لفتيمة مثل الدنانير غرر وقاهم الله النفاق والضجر
بين أبي بكر وزيد وعمر ثم الخواري لهم جد أغر
فهم علمها بالعشي واليكر يستقون من جاء ولا يؤذوا بشر
* لزاد في الشكر وكان قد شكر *

ولما ولي إبراهيم بن هشام المدينة لهشام بن عبد الملك أراد أن يدخل في حقوق بني عروة بالقرع ، فحال عبد الله ويحيى بينه وبين ذلك فهدم قصر عروة وشعنه ، وطرح في بئر عروة جملاً مطلياً بقطران ، فكتب عبد الله إلى هشام ابن عبد الملك بذلك ، فكتب إلى ابن أبي عطاء عامله على ديوان المدينة أن يرد ذلك على ما كان حتى يصنع الوند في موضعه ، فكان غرم ذلك ألف دينار وثلاثين ألف درهم .

وكان عبد الله يتحين ركوب ابن هشام ، فإذا أشرف على الحرة قال للناس : كبروا واسكم جزور ، فيفعلون ، فينحرها ، فيغيظ بذلك ابن هشام ويبلغ منه .

وقال في ذلك يحيى بن عروة أبياتا منها :
 ألا أبلغ مُغْلَغَلَةً بِرِيدَا وأبلغ إن عَرَضْتَ أبا سعيد
 وأبلغ معشراً كانت إليهم وصايا ما أريد بني الوليد
 فإن لا نعتني قُرْبَايَ مِنْكُمْ فَوَدَّى غَيْرِ ذِي الطَّمَعِ السَّكْدُودِ
 ولما قدم الوليد بن يزيد في خلافة هشام بن عبد الملك ليدفع بالناس في
 الموسم وأقام عبد الله بن عروة بالعقيق ، حتى قيل : هذا ولي العهد قد رُكِعَ في بركة
 مكة ؟ [فلقيه عبد الله وهو على ظهر الحرة ، فلما نظر الوليد إلى قصور بني أمية عَنَبَسَ
 ابن سعيد ومروان بن سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر جعل يقول لعبد الله
 ابن عروة : لمن هذا ؟ فيخبره ، فلما نظر إلى قصر عُرْوَةَ قال : لمن هذا ؟ قال : هذا
 قصر عروة ، قال : عامر بن صالح في قصر عُرْوَةَ وبئرهِ :

حَبَبًا الْقَصْرَ ذُو الظَّلَالِ وَذُو البُسْرِ بَيْطُنَ العَقِيقِ ذَاتِ السَّقَاةِ
 ماء مُزْنٍ لَمْ يَبِغْ عُرْوَةَ فِيهَا غَيْرَ تَقْوَى الإِلَهِ فِي الْمَفْطَعَاتِ
 بِمَكَانٍ مِنَ العَقِيقِ أُنْدِسَ بَارِدِ الظِّلِّ طَيِّبِ الْغُدُواتِ
 وقال أيضا :

يَا حَبَبًا الْقَصْرُ لَدَى الإِمْلَاقِ ذُو البُرِّ بِالْوَادِي عَلَيْهَا السَاقِ
 وقال أيضا :

ولقصر عروة ذُو الظَّلَالِ وبئرهِ بَسَقَا العَقِيقِ الْبَارِدِ الْأَفْيَاءِ
 أَشْهَى إِلَى مِنَ العَيُونِ وَأَهْلَهَا وَالدُّورِ مِنْ فُحْلَيْنِ وَالْفِرْعَاءِ
 وقال جابر الزمعي في بئر عُرْوَةَ :

يَعْرِضُهَا الْآتَى مِنَ النَّاسِ أَهْلُهُ وَيَجْهَلُهُ زَادَا لَهُ حِينَ يَذْهَبُ
 وقال الزبير بن بكار : رأيت الخرجاج من المدينة إلى مكة وغيرها ممن يمر
 بالعقيق يخففون من المساء حتى يتزودوه من بئر عروة ، وإذا قدموا منها بماء
 يَقْدُمُونَ بِهِ عَلَى أَهْلِهِمْ يَشْرَبُونَهُ فِي مَنَازِلِهِمْ عِنْدَ مُقَدِّمِهِمْ .

وقال : ورأيت أبي يأمر به فيغلى ، ثم يجعل في القوارير ثم يهديه إلى أمير المؤمنين هارون بالركة .

وعن نوفل بن عمار قال : لما بَنَتْ أُمِّي قصرها أرسل إليها هشام بن عروة يقول : إنك نزلت بين الطيبين بئر عروة وبئر المغيرة بن الأخنس ، فأسألك برحمتي إلا جعلت شرابك من بئر عروة ووضوءك من بئر المغيرة ، فكأنت أُمِّي لا تشرب إلا من بئر عروة ، ولا تتوضأ إلا من بئر المغيرة ، حتى لقيت الله تعالى .

وعن مرزوق بن والاة [؟] أنه قال لهشام بن عروة : رأيت أن عينا من الجنة تصب في بئر عروة .

وقال السريُّ بن عبد الرحمن الأنصاري :
كَفَنُونِي إِنْ مُتُّ فِي دِرْعِ أَرْوَى وَاسْتَقُوا لِي مِنْ بَيْرِ عُرْوَةَ مَائِي
سَخْنَةً فِي الشِّتَاءِ بَارِدَةً الصَّيْفِ سِرَاجَ فِي اللَّيْلِ الظُّلُمَاءِ
وقال علي بن الجهم :

هَذَا الْعَقِيقُ فَعَدَّ أَيَّ * دَى الْعَيْسِ عَنْ غُلُومِهَا
وَإِذَا أَصْفَتَ بَيْرُ عُرْوَةَ * وَفَاسَقَنِي مِنْ مَائِهَا
إِنَّا وَعِيشُكَ مَا ذَمُّ * نَا الْعَيْشَ فِي أَفْنَانِهَا
قال المجد : إنه لم يجد من يعرف هذه البئر من أهل المدينة .

قلت : سيأتي في قصر عاصم أن جماء تضارع مُشْرِفَةً على قصر عروة ، وتسيل إلى بئرته .

وقال الأسدي : إن الميل الثالث من المدينة وراء بئر عروة بقليل ؛ فيظهر أنها البئر المطمومة اليوم على يمينك وأنت متوجه إلى ذى الحليفة إذا جاوزت الحصن المعروف بأبي هاشم بنحو ثلث ميل وقريب من الجماء .

قصر عاصم بن عمرو بن عمر بن عثمان بن عفان ، وهو في قبل الجماء جماء

تضارع المشرفة على قصر عروة وعلى الوادى يُوَاجِه بئر عروة بن الزبير ، والجماء
تسيل على قصر عاصم وعلى بئر عروة .
وكان عبد الله الجعفرى وعمر بن عبد الله بن عروة تعاونوا فى هجاء قصر
عاصم ، فقالا :

ألا يا قَصْرَ عاصم لو تَبَيَّنُ فتستعدى أمير المؤمنين
فتذكر ما لقيت من البسايَا فقد لاقيت حزنا بعد حين
بنيت على طريق الناس طرا يَسْبُكُ كل ذى حسب ودين
ولم توضع على غمض فتخفى ولم توضع على سهل ولين
يرى فيك الدخان لغير شىء فقد سميت خَدَّاعَ العيون
فى أبيات آخرها :

قبيح الوجه منعقد الأواسى خبيت الخلق مطرود بطين
فاشترى عاصم قصة فطره بها وغرم فيه ألفى درهم ، وقال يرد عليهما :
بَنَوْا وَبَنَيْتُ وَانْخَذُوا قُصُوراً فَمَا سَاوَوْا بِذَلِكَ مَا بَنَيْتُ
بنيت على القرار وجانبوه إلى رأس الشواحق واستويت
على أفعالهم وعلى بنائهم علوت وكان مجدا قد حويت
وتلك صلاصل قد فلتستهم وذاك وديهم فيها يموت
فليس لعامل فيها طعام وليس لضيفهم فيها مبيت
وقيل : البيتان الأخيران لزيد بن عاصم ، قال الزبير : وهو أشبه .

وصلاصل : أرض كانت لعروة بحرة بطحان ، ثم صارت لابنه يحيى ،
فوقها فى بنيه ، وكان يقال لها المقتربة ، فكانت فتاتان لبعض نساء بنيه تختصمان
بها عند اجتناء الرطب ، وتضرب إحداها الأخرى ، فغلب عليها اسم صلاصل
لكثرة صلاصلهما بالخصومة ، وفيها يقول عروة :

ما أثر أخوالى عدى وما زلت * تخيرتها ، والله يعطى الرغائب

فمن قال فيها قيل صدق فلم يقل ومن قال فيها غيره كان كاذبا
ومر ابن أبي البداح - وكان أعلم الناس بالنخيل - على عُرْوَةٍ وهو يغرسها
ألوأنا، فقال له : إن كنتَ ولا بد غارسا فعليك بعذق ابن عامر ، فإنه ليس عذق
أحسن للتنزه ولا أصبر على المالح منه .

قصر المغيرة

قصر أبي هاشم المغيرة بن أبي العاص وبئر - روى عنه الزبير :
أنه قال : لما أردت أن أبني قصراً بالعقيق قلت : أبنيه بيتين ، ثم مضيت للنزهة
العشرة الأيام وما أشبهها ، قال : فدخلت على مولاة لي فقالت : يا أبا هاشم ،
أردتَ بناء قصر بالعقيق ؟ فقلت لها : نعم ، فقالت : ابنه على أنه لم يبن بالعقيق
مُغِيرِي غيرك ، فبنيتَه هذا البناء ، وغرمت فيه غرما كبيرا ، قال : وهو القصر الذي
يعرف بقصر بنت المرازقي .

وعن عبد الله بن ذَكْوَانَ قال : كانت بنو أمية تجرى في الديوان ورقا
على من يقوم على حوض مروان بن الحكم بالعقيق ، في مصلحته وفيما يصلح بئر
المغيرة من علقها ودلائها .

قال : ومر هشام بن عبد الملك وهو يريد المدينة بجر هشام بن إسماعيل بالرابع
فقال له : يا أمير المؤمنين ، جر جدك هشام ، فأمر بمصلحتها وما يقيمها من بيت
المال ، فكانت توضع هنالك جرار أربع يسقي منهن الناس ، وسيأتي ذكر
الرابع في شعر في القصر الآتي .

قصر عنبسة

قصر عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وهو إلى جنب الجماء بعد أن
تجاوز المصعد تريد البطحاء ، وهو الذي قيل فيه :

ابن عثمان

ابن عفان

يا قصر عنبسة الذي بالرابع لا زلتَ تُوْهَلُ بالحيا المتتابع

فلقد بنيت على الوطاء ، وبنيت تلك القصور على رُبَا ورفائع

يارب نعمة ليلة قد بتها بفنائك الحسن المنيف الواسع

وقال شاعرهم :

خذل ابن عنبسة بن عمرو وعده وكذبت حين أقول مالم يفعل

وبنى قصيرا بالعقيق ملعنا لا بالكريم ولا جميل المدخل
ودعا المهندس فاخترني في جوفه بثرا فأنبطها كطعم الحنظل

قصر عنبسة بن سعيد بن العاص بالعقيق الصغير - ركب هشام بن عبد الملك
ومعه عنبسة بن سعيد ، فر بموضع قصر عنبسة ، فقال : نعم موضع القصر
يا أبا خالد ، قد أقطعته لك ، قال : يا أمير المؤمنين من يقوى على هذا ؟ قال :
فإني أعيذك فيه بعشرين ألف دينار ، فدفعها عنبسة إلى ابنه عبد الله وقال : إنك
أزلت بين الأشياخ ، فانظر كيف تبني ؟ وكان أول من قارب بين القصور ،
ونزل إلى جنب عبد الله بن عامر ، فلما فرغ من القصر بنى ضفائره بالآجر المطبق ،
فقال له عنبسة : أما علمت أن متزهى أهل المدينة يدقون عليه العظام ، ابنه
بالحجارة المطابقة ، ففعل ، وبعث إليه هشام بأربعين بُخْتِيا ، فكان ينضح عليها
في مزارعه وصهر يحه .

قلت : وأهل الموضع المعروف اليوم بالعنابس مزارع عنبسة هذا .

وعن بعض ولد عنبسة قال : بينا عبد الله بن عنبسة نائم في قاعة القصر ،
وعنده خصي يذب عنه ، وكان له غلام صُغْدِي يسقيهم الماء ، فدخل فرآه نائما ،
فزع القربة وشد عليه بخنجر كان معه ، وثار الخصي يحول بينهما ، فقتل الخصي ،
واندبّه عبد الله واثقاه بوسادة ، وتداعى عليه أهل القصر وأخذوه ، وأمر به
عبد الله فقتل وصلب بفناء القصر .

وكان قصر عنبسة فيما أخذ من أموال بني أمية ، ثم رد على ابن عنبسة .

وكان جعفر بن سليمان إذ كان واليا بالمدينة نزل ، وابتنى إليه أرباضا ،
وأسكنها حشمه ، ثم تحول منه إلى العرصة فابتنى بها وسكنها حتى عزل فخرج
منها ، ولذلك يقول ابن المزكي :

أوحشت الجاء من جعفرٍ وطلما كانت به تُعمرُ
كم صارخ يدعو ذى كربة يا جعفر الخيرات يا جعفر

أنا الذي أحييت بذل الندى وكان قد مات فلا يذكر
 ثم اعباس وصلى الهدى ومن به في الحل يستعطر

وقال شاعرنا: تسببت به
 في مررت على العقيق وأهله تسببت به
 ما ضركم أن كان جعفر جاركم تسببت به
 وقال محمد بن الضحاك: خرج أبي وابن عبد الله بن عنبسة في جماعة من
 لميتهم إلى قصر عنبسة بالعقيق الصغير، وخرج بي أبي معهم وأنا حدث السن،
 ونحروا جزورا، فجعلوا يمزحون به فيما بينهم، يقول هذا بيتا وهذا بيتا، فكان
 مما حفظت من ذلك قول أحدهم:

حبذا ثم حبذا في قصر ابن عنبسة
 ولمات تجمعوا وجزور مكر دسه
 والتواليء عندنا كالرباط المورسنة

قصر أبي بكر بن عبد الله بن مصعب الزبيري الذي يعرف بالمستقر - اشتراه
 وهو بيت أو بيتان، فهدم ذلك، وبناء قصرا، ففيه يقول القائل:
 يا قصر لو كان خالداً أحد بالجوّد والمجد كان مولا كا
 ولو تفدى النون ذا كرم كان أبو بكر الندى ذا كا
 وفيه يقول أيضاً حين بيع في تركة أبي بكر:

أوحش المستقر بعد أبي بكر فأضحى ينوح في كل حين
 بعد عز وبهجة وبهاء تاه [يوماً] به على الثقلين
 فاعذروه يا هؤلاء: إن ذا الشج - وليجري دموعه من معين

قصر عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن عثمان بن عفان - قال محمد بن معاوية:
 كنت أنا ومحمد بن عبد الله البكري - وكان قاصياً على المدينة - متزهين بالعقيق
 في قصر ابن بكير، فكتب محمد بن عبد الله في الجدران:

قصر أبي بكر
 الزبيري
 المعروف
 بالمستقر

قصر عبد الله
 ابن أبي بكر
 العنابي

أين أهل العقيق أين قریش أين عبد العزيز وابن بكير
* وَلَوْ أَنَّ الزَّمانَ خَلَدَ حَيًّا *

ثم كتب تحته : من أتم هذا النصف فله سبق ، قال : فتنزه عمر بن عبد الله بن
النافع في قصر ابن بكير ، فقرأ الكتاب ، فأنتم النصف ، فكتب :

* كان فيه يخلد ابن الزبير *

قال محمد بن معاوية : فعاد محمد بن عبد الله للنزهة ، فوجد البيت قد أتم ،
فسأل من أتمه ، فقلت له : عمر بن عبد الله ، فقال : لو كنت أكله وفيت له
بسبقه ، أحسن وصدق .

أو كان عمر بن عبد الله له هاجرا .

وستانى قصور أخرى في الجمالات ، قال أبو علي الهجري : إن سيل الوادي
يُنْقِضُ إلى الشجرة التي بها مُحَرَّمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إلى ذلك
مزارع أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ، ثم تتابع القصور يَمْنَةً وَيَسْرَةً بها منازل
الأشراف فيها يبتدون ، منها منازل عن يمين الجاني من مكة بسفح غير .

ومنها قصر لإسحاق بن أيوب الخزومي ، وقصر لإبراهيم بن هشام ، وقصر
لآل طلحة بن عمر بن عبید الله ، ومنازل أسفل منها عن يمين الطريق أيضاً لآل
سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، ووجه ذلك في قبالة جماء تضارع
منازل لعبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، ثم يليها منازل لعبد الله بن بكير
ابن عمرو بن عثمان ، وهو قصر ظاهر بن يحيى ومنازل ولده .

ووجهها في صير حرة الوبرة مزارع عروة بن الزبير وبئر ، وأسفل منها
البئر التي تعرف ببئر المغيرة بن أبي العاص ، وأسفل منها بئر زياد بن عبد الله
المداني وحوضها ، وضفائر قصر مراحل والزبيني قصر سكينه بنت حسين ، وقصور
فوق الزبيني لإسحاق بن أيوب متتابعة ، وفوقها قصور كثيرة لغير واحد ، ثم
قصور ابنة المرازقي الزهرية ، ثم منازل جعفر بن إبراهيم الجمعي ، ثم يُنْقِضُ إلى

جملة من
القصور
والآبار

بئر رومة ، وقصور كثيرة يمنية ويسيرة منها قصور عبد الله بن سعيد بن العاص ، وبيطن الوادي بشار لعبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس والقصور يمنية ويسيرة . ثم ذكر ما بالعرصة من القصور ، وقال : ثم يُفَضَّى ذلك إلى الجرف ، وفيه سقاية سليمان بن عبد الملك ، وهي على ميمنة من خرج إلى السلام يعسكر بها الخارج من المدينة إليها ، ثم الزغابة وبها مزارع وقصور أيضاً ، انتهى .

الفصل الثالث

في العرصة وقصورها ، وشيء مما قيل فيها وفي العقيق من الشعر

قصر خارجة - روى ابن زبالة أن بني أمية كانوا يمنعون البناء في العرصة حياها ، وأن سلطان المدينة لم يقطع فيها قطعة إلا بإذن الخليفة حتى خرج خارجة ابن حمزة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العوام إلى الوليد بن عبد الملك ، فسأله أن يقطعه موضع قصر فيها ، فكتب إلى عامله بالمدينة أن أقطعهُ موضع قصر فيها وألقه بالسواد ، أي الحرة ، فلم يزل بأيديهم حتى صار ليحيى بن عبد الله بن حسين ابن علي بن حسين .

قصر عبد الله بن عامر برومة - قال الواقدي : إنه بنَاهُ هناك من أول ما بنى بذلك العقيق إلا قصرًا بعَرَصَةِ البقل ، ولما قتل أهل الحرة وعسكر مشرف بالجرف أمر بالعسكر ، فحول إلى عرصة البقل ، وأمر بالأسرى فحبسوا هناك .

وقال ابن أبي عوف : إنه بعد أن نهب المدينة خرج إلى قصر ابن عامر ، وقتل من قتل .

قصر مروان بن الحكم - روى الزبير أن مروان ابنتى بعَرَصَةِ البقل ، واحتفر وضرب لها عينًا فازدرع .

قصر سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية ، أحد مشاهير الأجواد ابن العاص

— ابتنى سعيد بالعرصة قصرا في سرتها ، واحتفر بها ، وغرس النخل والبساتين ، وكان نخلهما أبكر شيء بالمدينة ، وكانت تسمى عرصة الماء .

وعن يحيى بن كعب مولى سعيد قال : كان نخل سعيد بالعرصة لا يطير حمامها ، وكانت فيها بئار ثلاث ، العليا منهن اليمانية تدعى الشمردلية ، والتي تليها أسفل منها تدعى الواسطية ، قال : وأنسيب السفلى ، وبنى بالعرصة عند نخله قصره الذي يقول فيه أبو قطفية عمر بن الوليد بن عقبة :

والْقَصْرُ ذُو النَّخْلِ فَالْجَمَّاءُ بَيْنَهُمَا أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ أَبْوَابِ جَيْرُونِ
وقال المهجرى : ثُمَّ يُفْضَى — يعنى سيل العقيق — إلى العرصة عرصة البقل ،
وعرصة الماء ، وعرصة جعفر بن سليمان بقبل الجماء العاقر مرتفعة في حصن الجبل .
وبالعرصة الكبرى قصرى سعيد بن العاص الذى امتدحه الشاعر بقوله ، وذكر البيت المتقدم .

والذى ذكره الزبير وغيره أن قصر سعيد بعرصة الماء — وهى العرصة الصغرى — لأنهم قالوا : وفى عرصة الماء يقول داود بن سلم :

أُبْرَزَتْهَا كَالْقَعْرِ الزَّاهِرِ فِي عَصْفَرٍ كَالشَّرِّ الطَّائِرِ

بالعرصة الصغرى إلى موعد بين خليج الواد والظاهر

قالوا : إنما قال لها العرصة الصغرى لأن العقيق الكبير ينيفها من أحد جانبيها ، وينيفها عرصة البقل من الجانب الآخر ، وتختلط عرصة البقل بالجرف فيتسع ، والخليج الذى ذكر خليج سعيد بن العاص ، انتهى ؛ فالعرصة الكبرى هى عرصة البقل ، والصغرى هى عرصة الماء ، فهى عرصة سعيد بن العاص ، وأظنها التى فيها البناء المعروف اليوم بعقد الأرقطية ، ولعله قصر سعيد بن العاص وموضع آباره وبستانه فيما يليه ، وبلى ذلك عرصة البقل لجهة بئر رومة .

وقال فضالة بن عثمان : لما حضر سعيدا الموت قال لابنه عمرو وهو الأشدق :
أوصيك بثلاث : على دين عظيم ، فأكثر فيه مالى حتى تؤديه ، وانظر إخوانى فإن

فَقَدُّوا وَجْهِي فَلَا يَفْقِدُوا مَعْرُوفِي ، وَلَا تَزُوجْ بَنَاتِي إِلَّا فِي الْأَكْفَاءِ ، ثُمَّ مَاتَ ،
فَرَكِبَ عَمْرُو إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَقَالَ الْحَاجِبُ لَهُ : عَمْرُو بِالْبَابِ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : هَلَّاكَ
وَاللَّهِ سَعِيدٌ ، فَأَدْخَلَهُ ، فَنَعَى لَهُ سَعِيدًا وَأَخْبَرَهُ بِوَصِيَّتِهِ ، فَقَالَ : نَحْنُ قَاضُونَ عَنْهُ الدِّينَ
قَالَ : إِنَّمَا أَوْصَى إِلَيَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ صُلْبِ مَالِهِ ، فَقَالَ : بِعْنِي بَعْضَ ضِيَاعِهِ ، وَإِنِّي
أَكْرَهُ إِحْنَ صَدْرِ مَرْوَانَ وَذَوِيهِ مِنْ قَرِيشٍ بِقَضَاءِ دِينِ أَبِيكَ ، فَبَاعَهُ الْعَرَصَةَ
بِأَلْفِ أَلْفٍ ، فَقَالَتْ قَرِيشٌ : أَيُخَدِّعُ مَعَاوِيَةَ نَفْسَهُ أَوْ يَكِيدُنَا ؟ وَقَالَ مَرْوَانُ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دُونَ اللَّهِ يَدُ تَحْجِرُكَ عَنْ هَوَاكَ ، وَلَنَحْنُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ فِيمَا تَرِيدُ ،
فَعَلَامَ تَخْدَعُ نَحْلَكَ وَتَكِيدُهَا ؟ هَلَا جَعَلْتَ مَا أُعْطِيتَ عَمْرًا صِلَةً ؟ فَقَالَ : إِنَّكَ
عَادَيْتَ سَعِيدًا حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَمَا بَلَغَ مِنْ إِيمَانِي لِضِيعَتِهِ مَكِيدَةَ قَرِيشٍ ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ
قَرِيشَ أَنِّي أَحْفَظُ الْمَيِّتَ فِي الْحَيِّ وَأَصِلُ الْحَيَّ إِلَى الْمَيِّتِ ، وَلَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَكُونَ
كَذَلِكَ ، فَأَخَذَ عَمْرُو الْمَالَ ، فَاتَى بِهِ الْمَدِينَةَ فَقَضَى دِينَ أَبِيهِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَحْوَالِ
أَبِيهِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَوَصَّلَهُمْ ، ثُمَّ أَدْخَلَ إِخْوَانَهُ ، فَوَقَعَ الشَّرْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَرْوَانَ
وَمَرْوَانَ خَالَهِ ، فَقَالَ :

يُكَادُنَا مَعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ وَلَسْنَا جَاهِلِينَ بِمَا يَكِيدُ
فِي أَيْبَاتِ بَلْغَتِ مَعَاوِيَةَ ، فَأَنْشُدُ :

أَلَا اللَّهُ دَرُّ غُوَاةٍ قَهْرٍ أَرِيدُ سِوَى الَّذِي فَهَرُّ تَرِيدٍ
أَرَانِي كَمَا أَخْلَقْتَ ضَغْنًا أَتَانِي مِنْهُمْ ضَغْنٌ حَدِيدٍ
فِي أَيْبَاتٍ ، قَالَ الزُّبَيْرُ : وَلَمْ يَصْحَ عِنْدِي الشُّعْرَانِ .

وَرَوَى عَنْ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ : إِنْ مَنَزَلِي هَذَا بِالْعَرَصَةِ لَيْسَ مِنَ الْعَقْدِ ،
إِنَّمَا هُوَ مَنْزِلُ نَزْهَةٍ ، فَبِعْهُ مِنْ مَعَاوِيَةَ ، وَأَقْضِ دِينِي وَمَوَاعِيدِي ، وَلَا تَقْبَلْ مِنْ
مَعَاوِيَةَ قَضَاءَ دِينِي .

وَعَنْ نَوْفَلِ بْنِ عِمَارَةَ أَنَّ سَعِيدًا قَالَ لِابْنِهِ : إِنِّي مُوصِيكَ بِأَرْبَعٍ ، لَا تَنْقَلِنِي

من موضعين - يعنى قصره - حتى أموت فيه ؛ فإنه أحب المواضع إلى ، وقليل
 لى من قومي فى برى بهم أن يحملونى على رقابهم إلى موضع قبرى ، وذكر الوصايا
 الثلاث المتقدمة ؛ فلما توفى حمّله رجال قریش حتى دفنوه بالقيع ، وقصره على
 ثلاثة أميال من المدينة ، ثم رحل ابنه إلى معاوية ، فدخل وهو أشعث ، فقال له
 معاوية : ما بالاك ؟ قال : هلك أبو عثمان ، فترحم عليه ، ثم قال : حاجتك
 فذكر وصاياه ، فسأله عن دينه ، فقال : ثلاثة آلاف ألف ، قال : هو على ،
 قال : إنه أمرنى أن لا يكون إلا من صلب ماله ، قال : فبغنى ، قال : بعثك
 العرصة ، قال : قد أخذت القصر بألف ألف ، والنخيل بألف ألف ، والمزارع
 بألف ألف ، ثم قال : يا أهل الشام ، اكْتُبُوا عليه لثلاثين دينم ، وفى رواية أنه
 قال : أمرنى أن أبيع فى دينه ما استباع من أمواله ، قال معاوية : فعرضى ماشئت
 قال : أنفسها وأحبها إلينا منزله بالعرصة ، فقال : هيهات لا يبيعونه ، انظر
 غيره ، قال : تحب تعجيل قضاء دينه ؟ قال : قد أخذته بثلاثمائة ألف ، قال :
 اجعلها بالوافية يعنى الدرهم زنة المثقال ، قال : قد فعلت ، قال : وتحملها إلى المدينة
 قال : ونفعل ، فقدم عمرو فجعل يفرقها فى الديوان ، ويحاسبهم بما بين الدراهم
 الوافية وهى البغالية والدراهم الجواز ، حتى أتاه فتى من قریش بذكر حق له من
 أديم فيه عشرون ألف درهم بخط مولى لسعيد وشهادة سعيد على نفسه ، فعرف
 الخط وأنكر أن يكون لذلك الفتى الصعلوك ذلك ، فقال : ما سبب مالك ؟ قال :
 رأيت وهو معزول وهو يمشى وخذ ، فشيت معه لباى داره ، فوقف وقال : هل
 لك حاجة ؟ قلت : رأيتك تمشى وحدك فأحببت أن أصل جناحك ، فقال :
 وصلتك رحم ، يعنى قطعة أديم ، فأتيته بهذه القطعة ، فكتب غلامه هذا الكتاب
 وفيه شهادته ، ثم قال : يا ابن أخى ، ليس عندنا اليوم شىء ، فخذ هذا الكتاب ،
 فقال عمرو : لا جرم لا يأخذها إلا وافية ، ودفعها إليه بغلية .
 ولما أصغت العرستان عن بنى أمية استقطع خنجر - وهو كثير بن العباس

ابن محمد - عرصة سعيد بن العاص ، فأقطعه إياها أبو العباس المنصور ، فقال زياد
ابن عبد الله الحارثي - وكان واليا على المدينة - مخرج ياخنجر ، صارت لك عرصة
سعيد ، فقال : وما ينكر من ذلك ؟ فأعجب منه دار معاوية بن سفيان بالبلاط
لزياد بن أم زياد ، واقتطع السلطان في سلطان بني هاشم في العرصة ، وابتنوا عرصة
الماء ، وفي ذلك يقول ذؤيب الأسلمي :

قد أقر الله عيني بغزال يا ابن عون
طاف من وادي دجيل بفتى طلق اليدين
بين أعلى عرصة الماء إلى قصر زبين
فقضاني في منامي كل موعود ودين

وفيهما يقول أبو الأبيض سهل [بن أبي كثير] :

قلت من أنت فقالت بكرة من بكرات
ترعى نبت الخزامى تحت تلك الشجرات
حبذا العرصة ليلا في ليلال مقمرات
طاب ذاك العيش عيشاً وحديث الفتيات
ذاك عيشي أشتهي وحديثي مع لمات

وفيهما يقول بعض المدنين :

وبالعرصة البيضاء إن زرت أهلها
يدرن إذا ما الشمس لم يخش حرها
إذا الحر آذاهن لذن ببحرة
كما لا ذ بالظل الظباء الكوانس

وقال عامر بن صالح في العرصتين :

أهوى البلاط فجانيه كليهما فالعرصتين إلى نخيل قباء

وقال حكيم بن عكرمة الديلمي فيهما وفي العقيق وجوانب المدينة :

لعمرك للبلاطُ وجانباه وحره واقيم ذات المنار
فجماء العقيق فعرضته فمفضى السيل من تلك الحرار
إلى أحد مدى حرض فبنى قناب الحى من كنفى صرار
أحب إلى من ربح وبصرى بلا شك على ولا تمارى
ومن قريات حمص وبعلمك لو أنى كنت أجعل بالخيار
وفيها وفي العقيق يقول الوليد بن زيد :

لم أنس بالعرضتين مجلسنا بالسفح بين العقيق والسند
وقال عبد الله بن مصعب في ذلك وفي الصلصل :

أشرف على ظهر القديمة هل ترى برقاً سرى في عارض متهلل
نضح العقيق فبطن طيبة موهنا ثم استمر يؤم فضل الصلصل
فكأنما ولعت مخائل برقه بمعالم الأحباب ليست تأتلى
فالعرضتين فسفح غير فالربا من بطن خانخ ذى الحل الأشهل

وقال سعيد المساحق في ذلك [وهو] ببغداد، وذكر أنه ابتلى بعد أخيه بمحادثة

غلامه زاهر :

أرى زاهراً لما رأى من توحشي وأن ليس لى من أهل ودى زائر
فظل يعاطيني الحديث وإننا لختلفان حين تبلى السرائر
يحدثني مما يجمع عقوله أحاديث منها مستقيم وجائر
وما كنت أخشى أن أرانى راضياً يُعَلِّقُني بعد الأوبة زاهر
وبعد المصلى والبلاط وأهله وبعد العقيق حيث يحلو الزاور
إذا اعشوشبت قريانه وتزينت عراض بهما نبت أنيق وزاهر

وقال أيضاً :

ألا قل لعبد الله إما لقيته وقل لابن صفوان على النأى والبعد
ألم تعلم أن المصلى مكانه وأن العقيق ذا الظلال وذا الورد
وأن رياض العرصتين تزينت بنوارها المصفر والأشكال الوردي
وأن بهما لو تعلمان أصائلا وليلا رقيقا مثل حاشية البرد
وأن غدير اللابتين مكانه وأن طريق المسجدين على العهد
فهل منكما مستأذن فسلم على وطن أو جاذب لذوى الود
فما العيش إلا ما يسر به الفتي إذا لم يجد يوما سبيل ذوى الرشيد
فأجابه عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان :

أتانى كتاب من سعيد فشاقى وزاد غرام القلب جهدا على جهد
وأذرى دموع العين حتى كأنما بها رمد عنه المراد لا تجدى
بأن رياض العرصتين تزينت وأن المصلى والبلاط على العهد
وان غدير اللابتين ونبته له أرج كالسك في عنبر الهند
فكدت لما أضمرت من لاعج الهوى ووجد بما قد قال أفضى من الوجد
وقال إبراهيم بن موسى الزيرى :

ليت شعرى هل العقيق فسلم فقصور الجـاء فالعرستان
فإلى مسجد الرسول فما حـا ز المصلى فجانبنا بطحان
فبنو مازن على العهد أم ليس كعهدي فى سالف الأزمان
وأنشد عبد السلام بن يوسف وهو فى غاية العذوبة :

على ساكنى بطن العقيق سلام وإن أشهر ونى بالفراق وناموا
حظرتهم على النوم وهو محلل وحللتهم التعذيب وهو حرام
إذا بنتهم عن حاجر وحجرتم على السمع أن يدنو إليه كلام

فلا مَيَّلتُ ربح الصبا فرع بانه ولا سجدت فوق الغصون حمام
ولا قهقهت فيه الرعود ، ولا بكى على حافتيه بالعشي غمام
فمالي ومال الربيع قد بان أهله وقد قوضت من ساكنيه خيام
ألا ليت شعري هل إلى الرمل عودة وهل لي بتلك البانتين لمام
وهل نهلة من بئر عروة عذبة أداوى بهما قلبا براه أوام
ألا يا حمامات الأراك إليكم فما لي في تغريدكم مرام
فوجدى وشوق مسعد ومؤانس ونوحى ودمعى مطرب ومدام
وقال أعرابي :

أيا سرحتي وادى العقيق سقيما حيا غضة الأنفاس طيبة الورد
ترويكما مع الشرى ، وتغلغلت عروقتكما تحت الندى في ثرى جعد
ولا يهنين ظلالكما أن تباعدت بي الدار من يرجو ظلالكما بعدى
وعن محمد الزهرى قال : ركب عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وعبد الله
ابن حسن بن حسن ومحمد بن جعفر بن محمد على بغلات لهم ، حتى إذا كانوا
بالعقيق أصابهم المطر ، وهنالك سرحة عظيمة ، فدخلوا تحتها ، فقال عبد العزيز
ابن عمر :

خبرينا يا سرح - خصصت بالغيث - بصدق فالصدق فيه شفاء
هل يموت المحب من لاعج الحب ويشفى من الحبيب اللقاء
نعم إن السماء أقلعت ، فساروا ساعة ، ثم رجعوا للسرحة فإذا في أصلها
كتاب فيه :

إن جهلا سؤالك السرح عما ليس يوما به عليك خفاء
فاستمع تحبر اليقين وهل يشفى من الشك نفسك الأنباء
ليس للعاشق المحب من الحب سوى رؤية الحبيب شفاء

وعن رجل من الأنصار أنه كان نازلاً تحت سَرْحَةٍ ببطن العقيق إذ وقف عليه ابن عمر ، فسلم ، ثم قال : مَنْ ذَلِكَ عليها ؟ قال : الذى دَلَّكَ عليها ، قال ابن عمر : فهل تدرى لم يستحب ظلال السرح ؟ قال الرجل : إنه ظَلِيل ، وليس له شوك ، قال ابن عمر : وغيره ، أرأيت إذا كنت بين الأخشبين من مَنَى فإن بينك وبين مطلع الشمس وادياً يقال له وادى سرر ، سُرٌّ به سبعون نبياً ، وقد سر نبي منهم تحت سرحة فدعا للسرح ، فهي لا تقيل كما يقيل الشجر [؟] .

وعن محمد بن معن الغفارى قال : أراد محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أن يخرج إلى مكة ، فذكر ذلك لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قال له عبد العزيز : هل لك أن تَقِيلَ عندي أنت وأصحابك ثم تروحون من عندنا وهو بالبطحان فى قصر عمر بن عبد العزيز ؟ فقال محمد : نعم ، فهياً لهم نزلاً ، فقال محمد : ما بقى شيء يبر به أحد أحداً إلا وقد أنزلناه إلا طعام البادية ، قال : وما هو ؟ قال : التمر والزبد ، قال : أما الغنم فإنها لعاصم بنت سفيان بن عاصم بن عبد العزيز ، يعنى امرأته ، ولست مقدماً على شيء منها إلا بإذنها ، ولكنى سأستطعمها لكم ، وكتب إليها :

إن عندي قد تَكَ نَفْسِي ضُيُوقاً واجبٌ حَقُّهُمْ كُهُولاً وَمُرْدَاً
عمدوا جارك الذى كان قدما لا يرى من كرامة الضيف بدا
فلديه أضيافه قد قَرَّاهم وهمو يشتهون تمرا وزبدا
فلهذا جرى الحديث ، ولكن قد جعلنا بعض المزاحة جـداً
فقال له محمد : مازال هذا العيش بينكما ، قال : نعم والله مامستت غيرها ، ولا احتملت غيرها قط ، ولا خالفتها فى شيء هو يته قط ، فبعثت إليهم بتمر وزبد .

وعن عبد العزيز بن أبي حازم قال : كان عروة بن الزبير قائماً بفناء قصره نصف النهار ، إذ أقبل شيخ من أهل المدينة معه حمام ، فوقف عند المبل ، فمسح

حمامه ، وسوّى ريشه ثم أرسله ، ثم أقبل على بئر عروة فشرب من مائها ، فقال له عروة : جئت في مثل هذه الساعة كأنك صبي ، فأرسلت حماما ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شيطان يتبعه شيطان » فقال الشيخ :

مألف وأصله

يا خليلي لا تكلم ليس فيه من ملام

وعن عبد العزيز بن عبد الله قال : بينا أنا بالعقيق إذ أقبل رجل له موضع يحمل حماما ، فقلت له : مثلك يحمل هذا الحمام ؟ ولا أراك إلا قد راهنت به ، قال : أجل ، وما في ذلك ؟ قلت : إنه حرام ، قال : فهذه الخيل يُراهنُ بها ، قلت : تلك سنة ، قال : وهذه رعلة ، ثم انصرف ، انتهى .

والرعلة : نوع من تمر المدينة ، وكذا السنة ، فحمل السنة على ذلك .

الفصل الرابع

في جماواته ، وأرض الشجرة ، وثنية الشريد وغيرها من جهاته

نقل ابن زبالة وغيره أن الجماوات ثلاث :

الأولى : جماء تضارع التي تسيل على قصر عاصم وبئر عروة ، وقال الهجري : جماء تضارع أول الجماوات جماء تضارع التي تسيل على قصر عاصم وهو منزل أبي القاسم طاهر ابن يحيى وولده ، وفيها يقول أحيحة بن الجلاح :

إني والمشعر الحرام وما حجت قريش له وما نحرّوا

لا آخذ الخطة الدنية ما دام يرى من تضارع حجر

وتحتة المكيمن مكيمن الجماء^(١) .

وعن محمد بن إبراهيم مرفوعاً : إذا سالت تضارع فهو عام ربيع .

وروى ابن شبة حديث « لا تسيل تضارع إلا عام ربيع » قال : وتضارع

الجل الذي بسفحه قصر ابن بكير العثماني ، وقصور عبد العزيز بن عبد الله العثماني

على ثلاثة أميال من المدينة ، على يمين الذهاب إلى مكة .

(١) في الأصول « مكين » محرفاً ؛ وصوابه عن ياقوت .

قلت : هذا الجبل هو الذي يقابلك وأنت بالمدرج تريد مكة ، فإذا استبطنت العقيق صار عن يمينك ، والجبل المعروف بمكيم الجماء متصل به ، آخذ منه على يمين الذهاب أيضاً .

جماء أم خالد الثانية: جماء أم خالد التي تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفرى وما والاء ، وفي أصلها بيوت الأشعث ، وقصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلى ، وفيفاء الخبار من جماء أم خالد ، قاله الزبير .
ونقل ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران نحوه ، إلا أنه قال : في أصلها بيوت الأشعث وفيفاء الخبار ، وبينها وبين جماء العاقر طريق من ناحية بئر رومة وفيفاء الخبار من جماء أم خالد في مَهَبِّ الشمال من الأولى مما يلي مسيل وادى العقيق منحدرًا ، وفيفاء الخبار منهما .

وقال المجد : في أصل جماء أم خالد جبل يقال له سفر كما سيأتى في ترجمته .
روى الزبير عن موسى بن محمد عن أبيه قال : وجد قبر آدمى على رأس جماء أم خالد مكتوب فيه : أنا أسود بن سودة رسول رسول الله عيسى بن مريم إلى أهل هذه القرية .

وعن ابن شهاب قال : وجد قبر على جماء أم خالد أربعون ذراعًا في أربعين ذراعًا ، مكتوب في حجر فيه : أنا عبد الله من أهل نينوى رسول رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل هذه القرية ، فأدركنى الموت ، فأوصيت أن أدفن في جماء أم خالد .

قال عبد العزيز بن عمران : نينوى موضعان : أحدهما من أرض السواد بالطف حيث قتل الحسين رضى الله تعالى عنه . والآخر قرية بالموصل ، وهى التى فيها يونس النبى صلى الله عليه وسلم ، ولستنا ندرى أى الموضعين عنى . وتقدم فى أوائل الباب الثالث روايتان جاءتا فى ذلك قال فى إحداهما : فإذا فيه « أنا عبد الله الأسود رسول رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل قرى عرينة »

وقال في الأخرى « وإذا فيه أنا عبد الله رسول نبي الله سليمان بن داود إلى أهل يثرب ، وأنا يومئذ على الشمال » .

المثالثة جماء العاقر - بالراء كما في كتاب ابن شبة وغيره ، وفي بعض نسخ ابن زباله والهجرى ومعارف العقيق للزبير باللام - قال ابن شبة ، عقب ما تقدم عنه : وجاء العاقر الجبل الذى خلفه المشاش ، وإليه قصور جعفر بن سليمان بن على بالعرصة ، وقال الهجرى : المثالثة جماء العاقل ، فيها طريق إلى جماء أم خالد ، تسيل على قصور جعفر بن سليمان ، خلفها المشاش وهو وادٍ يصبُّ في العرصة ، وقال الزبير : جماء العاقل طريقٌ بينها وبين جماء أم خالد خلفها المشاش . وفى المشاش يقول عُروة بن أذينة :

إذ جرى شعب المشاش بهم وعضيف تلمة الرخمة [؟]

ومن البطحاء قد نزلوا دارَ زيدٍ فوقها العجمة [؟]

وأورد ابن زباله هنا حديث « لا تقوم الساعة حتى يقتل رجلان موضع فسطاطيها في قبل الجماء » وحديث « نعم الجماء المنزل لولا كثرة الأسود » . وقد قدمنا في الفصل الأول نحوه في العرصة ، وقدمنا ماجاء في ذى الحليفة وبطحانها والمعرس ومسجد الشجرة ، وروى البيهقى في المعرفة عن الشافعى قال : كان سعيد ابن زيد وأبو هريرة يَكُونان بالسحر على أقل من ستة أميال فيشهدان الجمعة ويدعّانها .

وروى الزبير عن نافع أنه لما استصرخ على سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يوم الجمعة بعدما ارتفع الضحى أتاه ابن عمر بالعقيق ، وترك الجمعة .

وعن القلاء بن عبد الرحمن عن أبيه أن أروى بنت أويس أسعدت مروان ابن الحُكم على سعيد بن زيد في أرضه بالشجرة ، فقالت : إنه أدخل ضفيري في أرضه ، فقال : كيف أظلمها وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من اقتطع شبراً من الأرض طوّقه من سبع أرضين يوم القيامة » ؟ وترك لها سعيد

ما أَدَّعَتْ ، وقال : اللهم إن كانت أروى ظلمتني فأعْمْ بَصَرَهَا ، واجعل قبرها في بئرها ، فعميت أروى ، وجاء سيل فأبدى عن ضفيرتها خارجا عن حق سعيد ، فأقسم سعيد على مروان ليركبَنَّ معه وينظر إلى ضفيرتها ، فركب والناس حتى نظروا إليها ، ثم إن أروى خرجت لبعض حاجتها فوقع في البئر فماتت .
وفي رواية أنها سألت سعيداً أن يدعوا لها ، وقالت : إني ظلمتك ، فقال : لا أَرُدُّ على الله شيئاً أعطانيه .

قال إبراهيم بن حمزة : وكان أهل المدينة يدعو بعضهم على بعض فيقول : أعماك الله كما أعمى أروى ، يريدونها ، ثم صار الجهال يقولون : أعماك الله كما أعمى الأروى ، يعنون أروى الجبال ، يظنونها شديدة العمى .

وفي رواية أن سعيداً قال : اللهم إن كانت أروى كاذبة فلا تخرجها من الدنيا حتى تعمى ، وتجعل منيتها في بئرها ، فعميت ، فكانت لها جارية تخرج بها تقودها ، فتقول لها : أخبريني ما يعمل العمال ، فتخبرها ، فتقول لهم : أنتم تفعلون كذا وكذا ، وتصيح عليهم ، ففعلت الجارية عنها يوماً ، فخرجت إلى العمال فوقعَتْ في بئرها فماتت ، فلذلك يقولون : عمى أروى .

وعن يحيى بن موسى قال : كان أبو هريرة نَزَلَ الشجرة قبل أن تكون مزدراعاً ، فمرَّ به مروان وقد استعمله معاوية على المدينة فقال : مالي أراك ههنا ؟ قال : نزلت هذه البرية مع أبي أصلي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة ، فأقطعه مروان أرضه وضمها له ، فتصدق بها أبو هريرة على ولده ، ولم ينزل العقيق نخلاً حتى عملت العيون .

ثنية الشريد ونقل ابن زبالة أن ثنية الشريد كانت لرجل من بني سليم كان بقية أهل بيته ، فقيل له : الشريد ، وكانت أعناباً ونخلاً لم ير مثلاً ، فقدم معاوية المدينة ، فطلبها منه ، فأبى ، ثم ركب يوماً فوجد عماله في الشمس ، فقال : مالكم ؟ فقالوا :

نسجم البئار ، فركب إلى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين إنه لم يزل في نفسي منعى إياك ما طلبت منى ، فهو لك بما أردت ، فكتب إلى ابن أبي أحمد أن يدفع إليه الثمن ، قال : وسمعتهم يكثرونه جدا ، فقال له ابن أبي أحمد : إن أمير المؤمنين لم يَسْمَكْ بها وهى على هذه الحال ، فقال : إني رجوت حين صار امرئ إليك التيسير على ، فدفع إليه الثمن .

ومزارع ثنية الشريد من أرض المحرمين إلى أرض المنصور بن إبراهيم ، وقال الهجرى : إن سيل العقيق يُفْضَى إلى ثنية الشريد ، وبها منازل وبئار كثيرة ، وهى ذات عضاه وآكام ، تُنْبِتُ ضروبا من السكلا ، صالحة للمال ، تحف الثنية شرقى غير الوادى وغربى جبل يقال له القراء ، ثم يُفْضَى إلى الشجرة التى بها الحرم والمعرس .

وقال ابن النجار عن أهل السير : إن النبي صلى الله عليه وسلم ولى العقيق لرجل اسمه هيصم المزنى ، وأن ولادة المدينة لم يزلوا يولون عليه ، حتى كان داود ابن عيسى فتركه فى سنة ثمان وتسعين ومائة .

قلت : هذا إنما ذكره ابن زباله والزبير فى حمى النقيع كما سيأتى .
وروى ابن زباله عن يحيى بن سعيد أن رجلا كان لا يعرف والده كان يوما بالعقيق ، فنهاه عمر بن عبد العزيز .

وفى رواية : كان يصلى لهم الجمعة بالشجرة ، فنهاه عمر بن عبد العزيز أن يؤمهم لأنه لا يعرف له أب ، وهو يقتضى أن الجمعة كانت تقام بالعقيق ، فأثار أبنية مكان العقيق موجودة إلى اليوم ، وهى دالة على ما كان به من القصور الفائقة ، والمناظر الرائقة ، والآبار العذبة الحسان ، والحدائق الملتفة الأغصان ، دثرت على طول الزمان ، وتكرر الحدثنان ، وبقي هناك بعض الآبار ، وبقايا الآثار ، فترتاح النفوس برؤيتها ، وتنتعش الأرواح بانتشاق نسمتها ، فهى كما قال حبيب ابن أوس :

ماربع مَيَّةَ معمورا يُطِيفُ به غَيْلَانُ أَبْهَى رُبَاً مِنْ رَبْعِهَا الْخَرِبِ
ولا الحدود وإن أدمينَ مِنْ نَظَرٍ أَشْهَى إِلَى نَظَرٍ مِنْ خَدِّهَا التُّرْبِ
وقال أعرابي :

ألا أيها الركب المَحْثُونُ هل لَكُمْ بأهل عقيق والمنازل من عِلْمِ
فقالوا : نعم تلك الطلولُ كَمَهْدِهَا تَلُوحُ ، وما يغنى سُوَّالَكَ عَنْ عِلْمِ

خاتمة

في سرد ما يدفع في العقيق من الأودية ، وما به من الغدران
قال في جزيرة العرب لأبي عبيدة رواية أبي عبد الله المازني عنه ، مالفظة :
والعقيق يشق من قبل الطائف ، ثم يمر بالمدينة ، ثم يلقي في إضم البحر ، انتهى
وسياتي في وادي قناة أنه من وَجِّ الطائف أيضا ، ولكن قال الزبير وغيره :
أعلى أودية العقيق النقيع ، ثم ذو العش ، ثم ذو الضرورة ، ثم ذو القرى ، ثم
ذو الميت ، ثم ذو المسكبر ، ثم ذات القطب ، ثم حد المولى ، ثم حد الأبنى ، ثم
ذو تنقية ، ثم القويح ، ثم ذو الصواير ، ثم الفلجة ، ثم الوشيحة ، ثم مخايل
الوغائر ، ثم مخايل الرمضة ، وكلاهما يصب في حصين ، ثم ذو العشرة ، ثم الراحة ،
ثم ذو سمر ، ثم مرخي الحرة اليماني والشامي محتذيان جميعاً ، ثم يجتمع ذو سمر
ومرخان فيقال لمجتمعهم : المجتمعة ، ثم ذات السليم ، ثم ذو الغصين ، ثم شونى ،
ثم خانح ، ثم المناصفة ، ثم شعاب الحمري والفراء وغيرين .

وقال الزبير : وأوديته مما يلي القبلة في المغرب أعلاها ذات الربوكة ثم نفعا
وعن مشيخة مربية أن صدور العقيق ما يبلغ في النقيع من قدس وما قبل
من الحرة وما دبر من النقيع وثنية عمق ، فهو يصب في الفرع ، وما قبل من الحرة مما
يدفع في العقيق يقال له بطاويح ، قال : ثم فرش موزد ، ثم راية الأعمى ، ثم راية
الغراب ، ثم الخائع ، ثم ذو عاصم ، ثم بلغة السرج ، ثم بلغة برام ، ثم بلغة رماد ،
ثم بلغة المعيرا ، ثم بلغة الرمس ، ثم نبعة العشرة ، ثم نبعة الطوى ، ثم الحنينة ،

ثم النبعة ، ثم ضاف ، ثم بلغة التمر ، ثم نبع الأضاة ، ثم الأتمة أئمة عبد الله بن الزبير ، ثم ذات الحماط ، وفي حديث تقدم أنه صلى الله عليه وسلم « صلى في مسجد بالضيقة نخرجه من ذات الحماط » ثم هاوان ، ثم فريقان ، ثم الساهية ، ثم أعشار ، وتقدم في حديث نزوله صلى الله عليه وسلم بكهف أعشار وصلاته فيه ، ثم ريم ، ثم لاي ، ثم ذو سلم النظيم ، ثم ذو بدوم ، ثم حفية ، ثم قسبان ، ثم الصهوة ، ثم بقرة ، ثم ذو سنية ، وسنية : قوم من مزينة ، ثم الرومامية ، ثم الموقية ، ثم ضبع ، ثم مهر ، ثم الملحاء ، ثم المليحة ، ثم النخيل ، ثم الرديهة ، ثم أنفة ، ثم المنتقة ، ثم مراح الصحرة ، ثم سائلة أبي يسار التي تسيل على قصر الحرى ، ثم شعاب الفراء ، ثم ذات الجيش ، وتقدم حديث الأعلام في حرَم المدينة على شرف ذات الجيش ، ثم وادى أبي كبير بن سعيد بن وهب بن عبد ابن قصي ، وذات الجيش يدفع فيه ، وبه قصر الرماد لآل أبي كبير ، وكانت لهم بئر بطرف الفراء يُوردون عليها سبعين أو ثمانين بعيرا لهم ، قال الزبير : وأنا رأيت بئر أحد طرف الفراء مكبوسة ، وما قبل من الصلصلين يدفع إلى بئر أبي عاصية ، ثم يدفع في ذات الجيش ، ثم يدفع في وادى أبي كبير ، وما دبر منهما يدفع في البطحاء ، فطرف عظيم الغربي يدفع في ذات الجيش ، وطرفه الشامى يدفع في البطحاء بين الجبلين في وادى العقيق ، ثم الجاوات ثلاث ، وتفصيل مسائلها كما قدمناه فيها .

ثم ذكر مجتمع سيول المدينة بزغابة ، وذلك أعلى وادى إضم ، قال : وأعلى غدُر مسيلات العقيق التي في درج الوادى مما يلي الحرة موكلان من أعلى ذى العش ، ثم غدير سليم ، ثم ذو التحاميم ، ثم الأعوج ، ثم غدير الجبال ، ثم يماحم ، ثم غدير الذباب ، ثم غدير الحبر ، ثم غدير فليج الأعلى ، ثم غدير فليج الأسفل ، وهذه الثلاثة تعرف بمنحنيات فليج الزبيرى ، ثم غدير السيالة ، ثم الطويل ، ويُعد من منحنيات فليج أيضا ، ثم غدير البيوت بيوت عبد الله العمري ،

ثم غدير رتيبة ، ثم بكين ، ثم غدير سلافة ، ثم غدير الرعاء ، ثم غدير الأحى مقصوراً والأحى : طرب العدس في أصله ، ثم غدير حصير ، ثم الندبة من أسفل حصير ، ثم العرابة في أعلى مرج ، ثم مرج ، ثم غدير الصدر ، ثم غدير الخم ، ثم المستوجبة ، ثم حليف ، ثم حليف ، ثم الحقن ، ثم ذو الطفيتين ، ثم ذواللحمين ، ثم ذو الابنة ، ثم غدير مريم ، ثم غدير المجاز ، ثم غدير المرس ، ثم رابوع ، وقاما يفارقه ماء وإذا قل ماؤه احتسى ، وهو أسفل شيء من غدران درج العميق إلا غدير أسفل منه يقال له غدير السيالة ، هذا كلام الزبير .

ونقل ابن شبة أن سيل العميق يأتي من موضع يقال له بطاويح ، وهو حرس من الحرة ، وغربي شطاي حتى مضيا جميعاً في النقيع وهو قاع كبير الدر ، وهو من المدينة على أربعة برود في يمانها ، ثم يصب في غدير يلبن وبرام ، ويدفع فيه وادى البقاع ، ويصب فيه لقعا فيلتقيان جميعاً بأفصل من موضع يقال له نقع ، ثم يذهب السيل مشرقاً فيصب على رواوتين يعترضهما يسارا ، ويدفع عليه واد يقال له هوان ، ثم يستجمعان فيلقاهن بوادى دبر بأفصل الحليفة العليا ، ثم يصب على الأتمة وعلى الجام ، ثم يُفْضَى إلى وادى الحميراء فيستبطن واديهما ويدفع عليه الحرتان شرقياً وغربياً حتى ينتهى إلى ثنية الشريد إلى أن يُفْضَى إلى الوادى فيأخذ في ذى الحليفة حتى يصب بين أرض أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وبين أرض عاصم بن عدى بن العجلان ، ثم يستبطن الوادى فيصب عليه شعاب الجماء ونمير حتى يُفْضَى إلى أرض عروة بن الزبير وبثره ، ثم يستبطن بطن الوادى فيأخذ منه شطيب إلى خليج عثمان بن عفان الذى حفر إلى أسفل العرصة التى يقال لها خليج بنات نائلة وهن بنات عثمان منها ، وكان عثمان ساقه إلى أرض اعتملها بالعرصة ، ثم يفترش سيل العميق إذا خرج من حوافر عبد الله بن عتبة ابن سعيد يمنة ويسرة ، ويقطعه نهر الوادى ، ثم يستجمع حتى يصب في زغبة ، انتهى .

ونقل الهجرى أن سيل العقيق إذا أفضى من النقيع أفضى إلى قراره أسفل قاع لا شجرَ فيه ، وأسفل منه حصير ، ثم يُفَضَّى إلى مرج ، ثم إلى المستوجبة ، ثم إلى غدير يقال له ديوا الضرس ، ثم إلى غدير المجاز ، ثم إلى غدير يقال له رواوة ، ثم إلى غدير الطفتين ، ثم الابنة ، ثم أسفل من ذلك رابوع ، ثم يلقاه وادى بريم فإذا التقيا دفعا في الحليفة حليفة عبد الله بن أبي أحمد بن جحش ، ثم سطح سيول النقيع والصحرة ومراج وأنفة عند جبل يقال له واسطة المسطح ، ثم يُفَضَّى إلى الجبخانه صدقة عباد الزبيرى ، وله دوافع من الحرة مشهورة منها شوظى وروضة الجام ، ثم يُفَضَّى إلى حمراء الأسد ، ثم إلى ثنية الشريد ، ثم إلى الشجرة التي بها الحرم ، اه .

الفصل الخامس

في بقية أودية المدينة ، وصدورها ، ومجتمعا ، ومغايضا

فمنها وادى بطحان - روى ابن شبة والبخاري عن عائشة رضى الله تعالى عنها وادى بطحان قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن بطحان على ترعة من ترع الجنة » قال ابن شبة : وأما سيل بطحان - وهو الوادى المتوسط بينوت المدينة ، أى في زمنه - فإنه يأخذ من ذى الحدر ، والحدر قراره في الحرة يمانية من حلقات الحرة العليا حرة معصم ، وهو سيل يفتش في الحرة حتى يصب على شرقى ابن الزبير وعلى جفاف ومرفية والحساء حتى يُفَضَّى إلى فضاء بنى خطمة والأعرس ، ثم يستن حتى يرد الجسر ، ثم يستبطن وادى بطحان حتى يصب في زغابة .

وسياتى في مدينه من رواية ابن زباله أن بطحان يأتى من الحلايين حلابى مصعب على سبعة أميال من المدينة أو نحو ذلك ، وفي رواية له أن بطحان يأتى من صدر جفاف .

فيتلخص أنه يأتى من الحلايين فيصل أولا إلى وادى جفاف ، ثم إلى

بطحان ، ولهذا استغنى ابن زباله وغيره ببطحان عن أفراد جفاف بالذكر ، وجعل المطرى ومن تبعه الترجمة لجفاف ، قالوا : ووادي جفاف على موضع في العوالي شرق مسجد قباء ، اه .

ويفهم من أطراف كلام ابن شبة أن ابتداء وادي بطحان من جسر بطحان ، وذلك بقرب الماشونية وآخره في غربي مساجد الفتح ، ويشاركه رانونا في المجري من الموضع الذي في غربي المصلى وما والاها من القبلة ، لأنها تصب فيه كما سيأتي ، والذي يقتضيه كلام غيره أن الماشونية وتربة صعيب من بطحان .

وادي رانونا

ومنها : رانونا ، ويقال رانون - قال ابن شبة : وأما سئل رانون فإنه يأتي من مقمة في جبل في يمانى غير ومن حرس شرق الحرة ، ثم يصب على قرين صريحه ثم سد عبد الله بن عمرو بن عثمان ، ثم يفترق في الصفاصف فيصب في أرض إسماعيل ومحمد ابني الوليد بالقصبة ، ثم يستبطن القصبة حتى يعترض قباء يميناً ، ثم يدخل غوسا ثم بطن ذى خصب ، ثم يجتمع ما جاء من الحرة وما جاء من ذى خصب ، ثم يقترن بذى صلب ، ثم يستبطن السرارة حتى يمر على قعر البركة ثم يفترق فرقتين ؛ فتمر فرقة على بئر جشم تصب على سكة الخليج حتى تفرغ في وادي بطحان ، وتصب الأخرى في وادي بطحان ، اه .

وفي رواية لابن زباله عن عبد الله بن السائب قال : رانونا تأتي من بين سد عبد الله بن عمرو بن عثمان وبين الحرة وتلتقى هي ووادي آخر عند الجبل الذي يقال له مقمن أو مكن .

وقال ابن زباله : وأما ذو صلب فيأتي من السد ، وأما ذو ريش فيأتي من جوف الحرة ، ثم قال في رواية أخرى : إن صدر سيل ذى صلب من رانونا ، وصدر رانونا يأتي من التجنيب ، ثم يسكب ذو صلب ورانونا في سد عبد الله ابن عمرو بن عثمان ، ثم في ساخطة وأموال العصبية ، ثم في غوسا ، ثم في بطحان ،

ثم يلتقى هو وبطحان عند دار الشواترة ، وهى فى عداد بنى زريق ، ويزعمون أنهم من عاملة ، اه .

والسد موجود فى تلك الجهة ، ولكنه لا يضاف اليوم لعبد الله المذكور ، قال المراغى : والسد لا يعرف اليوم بهذا الاسم ، ولعله المعروف بسد عنتر ؛ لانطباق الوصف عليه ، وساخطة لا تعرف ، ولعلها مزرعة السد ، وغوسا غير معروفة ، ولعله أراد حوسا - بالحاء المهملة - وهى معروفة بقاء ، ويشرب من رانونا ، ووقع فى الاسم تغيير ، اه . وقال نصر : عوسا قريب قباء .

قلت : وقرين صريحه ينطبق وصفه على القرين المعروف اليوم بقرين الصرطة ، وقال المطرى : إن رانونا ينتهى إلى مسجد الجمعة بينى سالم ، ثم يصب فى بطحان . قال المراغى : الذى رواه ابن زباله أنه صلى الله عليه وسلم صلى بينى سالم فى ذى صلب ، لا رانونا ، وأن كلام ابن زباله السابق يدل على المغايرة بينهما .

قلت : هما وإن افترقا فى بعض الأماكن فيتهيان إلى مجتمع واحد ، ولذا قال ابن شبة : ثم يقترب ذى صلب ، كما سبق ، فيسمى برانونا لمروورها عليه ، ولذا قال ابن إسحاق فى أمر الجمعة : فأدر كته فى بنى سالم بن عوف فصلها فى المسجد الذى فى بطن الوادى وادى رانونا ، فعبر به عن ذى صلب ، بل فيما تقدم عن ابن زباله أنه يأتى من جوف الحرة ، فلعله المعنى بقول ابن شبة : ثم مجتمع ما جاء من الحرة - ويعنى بالحرة حرة بنى بياضة لما تقدم فى منازلهم من أن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم ابنتى الأطم الذى فى أدنى بيوت بنى بياضة الذى دونه الجسر الذى عند ذى ريش .

وأما السرارة المذكورة فى كلام ابن شبة فتقدم ذكرها أيضا فى منازل بنى بياضة ، فليست هى الحديقة المعروفة اليوم بالسرارة .

وأما بئر جشم فغير معروفة اليوم ، ولعلها مضافة إلى جشم بن الخزرج الأكبر ،

وادی قنّاء

كما حدثني مالك بن عصب ، وهم ببني بياضة ، وسيأتي ما يرجّحُه ، ويحتمل أن تكون مضافة إلى جشم بن الحارث ، ومنزلهم بالسنع ، وهو بعيد .
ومنها : وادی قنّاء - سمي بذلك لأن تبعاً لما غزا المدينة نزل به ، فلما شخص عن منزله قال : هذه قنّاء الأرض ، فسميت قنّاء ، وتسمى الشظاة ، وفي القاموس أن هذا الوادی عند المدينة ، أي ما حاذها منه تسمى قنّاء ، ومن أعلى منها عند السد أي الذي أحدثته نار الحرة تسمى بالشظاة .

وقال ابن شبة : وادی قنّاء يأتي من وجّ أي وج الطائف .
وعن شريح بن هانيّ الشيباني أنه قدّم على عمر بن الخطاب ومعه امرأته أم الغمر فأسلمت ، ففرق بينهما عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين اردد علي زوجتي ، فقال : إنها لا تحل لك إلا أن تسلم ، فنزل شريح بقنّاء وقال :

ألا يا صاحبيّ بيّظن وجّ روادف لا أرى لكم مقاماً
ألا تريان أم الغمر أمست قريباً لا أطيق لها كلاماً
فجعل بطن قنّاء بطن وج لأن السيل يأتي منه .

وقال المدائني : قنّاء وادي يأتي من الطائف ، ويصب في الأرخضية وقرقرة السكر ، ثم يأتي بئر معاوية ، ثم يمر على طرق القدوم في أصل قبور الشهداء بأحد وقال ابن زبالة : إن سيول قنّاء إذا استجمعت تأتي من الطائف ، قالوا : ومحول أودية العرب قنّاء وإضم ، أي اللاتي في مجتمع السيول ووادي نخلة ، وإنما سميت محولا لبعدها صدورها وكثرة دوافعها ، ويأتي وادی قنّاء من المشرق حتى يصل السد الذي أحدثته نار الحجاز المتقدم ذكرها آخر البساب الثاني ، وتقدم هناك أن هذا الوادی كان قد انقطع بسبب ذلك ، وانحبس السيل حتى صار مجرا مدّ البصر عرضاً وطولاً ، كأنه نيل مصر عند زيادته ، قال المطري : شاهدهة كذلك سنة سبع وعشرين وسبعائة ، وتقدم أنه انخرق من تحته سنة تسعين وستمائة ، فجرى الوادی سنة ، فلما بين الجانبين ، وسنة أخرى دون ذلك ،

ثم انخرق بعد السبعمائة فجرى سنة أو أزيد ، ثم انخرق سنة أربع وثلاثين وسبعمائة بعد تواتر الأمطار فكثرت الماء وجاء سيل لا يُوصَف كثرة ، ومجراه على مشهد سيدنا حمزة ، وحفر واديا آخر قبلي الوادي والمشهد . وقبلي جبل عينين في وسط السيل ، ومكثنا نحو أربعة أشهر لا يقدر أحد على الوصول إليهما إلا بمشقة ، ولو زاد مقدار ذراع في الارتفاع وصل إلى المدينة ، ثم استقر في الوادين القبلي والشمالي قريبا من سنة ، وكشف عن عين قديمة قبلي الوادي جَدَّدها الأمير ودي ، وهذا الوادي هو المراد بقوله في حديث الاستنشاق من رواية الصحيح « وصال وادي قناة شهرا » وينتهي سيل قناة إلى مجتمع السيول ترعا أيضا .

ومنها : وادي مدين ، ويقال : مدين . قال ابن زبالة عن غير واحد من وادي مدين الأنصار : مدين شعبة من سيل بطحان ، يأتي مدين إلى الروضة روضة بني أمية ، ثم ينشعب من الروضة نحوًا من خمسة عشر جزءًا في أموال بني أمية ، ثم يخرج من أموالهم حتى يدخل بطحان وصدير ، مدين و بطحان يأتیان من الحلابين حلابي صعب على سبعة أميال من المدينة أو نحو ذلك ، ومصبتها في زغابة حيث تلتقي السيول ، اه .

وقوله « من سيل بطحان » يعني من أصله من الحلابين كما بينه أخيرا ، وسبق بيان منازل بني أمية وأن من أموالهم بئر العهن .

وسأتي عن ابن شبة ما ظاهره المخالفة لهذا ، حيث قال في مهزور : حتى حلاة بني قريظة ، ثم يسلك منه شعيب فيأخذ على بني أمية بن زيد بين البيوت في وادي يقال له مدين ، ثم يلتقي هو وسيل بني قريظة بالمشارف فضاء بني خطمة ، ثم يجتمع الواديان مهزور ومدين ، فمقتضاه أن مدين من أصل مهزور ، ولهذا قال المجد : قال أحمد بن جابر : ومن مهزور إلى مدين شعبة تصب فيه .

قلت : لكن أعلى صدر سيل بطحان ومدين ومهزور من حرة واحدة ، فيصح تشعب مدين من كل منهما .

ولهذا نقل المجد عن أبي عبيدة أن اليهود لما نزلوا المدينة نزلوا بالسافلة ، قاستو بؤها ، فبعثوا رائداً إلى العالية ، فرأى بطحان ومهزورا يهبطان من حرة ينصب منهما مياه عذبة ، فرجع فقال : وجدت بلداً طيباً وأودية تنصب إلى حرة عذبة ، فتحولوا ؛ فنزل بنو النضير على بطحان ، وقرية على مهزور ، اه . مع أن الذي تقدم في المنازل أن بني النضير نزلوا بمذنب ، ومنازلهم النواعم ، فمن أطلق نزولهم على بطحان راعى اتحاد الأصل وأن مذنب يصب في بطحان أيضاً ، كان في زماننا يشق في الحرة الشرقية قبلي بني قرية ، ويمر في وسط قرية قديمة كانت شرقي العهن والنواعم ، ويتشعب في تلك الأموال ، ويخرج ما فضل منه من الموضع المعروف بنقيع الرديدي ومن الناصرية ، فيصب في الوادي الذي يأتي من ضفاف شرقي مسجد الفضيخ ، حتى يأتي الفضاء الذي عند بؤور النورة خلف الملاجشونية فتلقاه هناك شعبة من مهزور ، ثم يصبان جميعاً في بطحان .

وقال المطري : مذنب شرقي جفاف ، يلتقي هو وجفاف فوق مسجد الشمس ، ثم يصبان في بطحان ، يلتقيان مع رانونا ببطحان ، فيمران بالمدينة غربى المصلى ، اه . ومراده جفاف أصل مسيل بطحان .

ومنها : مهزور - نقل ابن زباله أنه يأتي من بني قرية ، ثم قال في هذه الرواية ما لفظه : وأما معجب فيأتي سيله ، وكان يمر في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالت الأنصار : إنما الذي يمر في المسجد مهزور ، ولم يبين أصل سيل معجب ، وكذا ابن شبة ، فقال : وأما بطن مهزور فهو الذي يتخوف منه الغرق على أهل المدينة فيما حدثنا به بعض أهل العلم ، ثم ذكر رواية ابن زباله السابقة .

وقال ابن زباله عقب ما تقدم عنه في مذنب ، ما لفظه : وسيل مهزور وصدره من حرة سوران ، وهو يصب في أموال بني قرية ، ثم يأتي بالمدينة فيسقيها ، وهو السيل الذي يمر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يسكب في زغابة ، يلتقي هو وبطحان بزغابة حيث تلتقي السيول ، اه .

واجتماعه في بطحان بزغابة من مجرى قناة ، ولهذا قال ابن شبة : وسيل مهزور يأخذ من الحرة من شرقها ومن هكر ، وحرة صفة ، حتى يأتي أعلى حلاة بنى قريظة ، ثم يسلك منه شعيب فيأخذ على بنى أمية بن زيد بين البيوت في وادٍ يقال له مذيذب ، ثم يلتقى وسيل بنى قريظة بفضاء بنى خطمة ، ثم يجتمع الواديان جميعا مهزور ومذيذب فيتفرقان في الأموال ويدخلان في صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها إلا مشربة أم إبراهيم ، ثم يُفَضَّى إلى السورين على قصر مروان بن الحكم ، ثم يأخذ بطن الوادي على قصر بنى يوسف ، ثم يأخذ في البقيع حتى يخرج على بنى حذيلة ، والمسجد بطن مهزور ، وآخره كومة أبى الحرة ، ثم يمضى فيصب في وادي قناة ، انتهى .

ومقتضاه أن الشعبة التي تجتمع من مهزور بمذيذب بالفضاء المذكور تسقى بعد ذلك ، فكانها صرفت عن جهة الصدقات إلى بطحان ، أو أن كلامه مؤوَّل ؛ لأن المعروف اليوم أن الشعبة التي تلقى مذيذب من مهزور تصب بعد اجتماعهما في بطحان كما سبق ، والذي يسقى ما ذكر من الصدقات ويمر بالبقيع إنما هو شعبة أخرى من مهزور ، ولا تجتمع بمذيذب ، بل تمر على الصافية وما يليها من الصدقات ، ثم تغشى بقيع الغرقد والنخيل التي حوله خصوصاً الجزع المعروف بالحضاري ، فاتخذ لذلك شيخ الحرم الزيني مرجان التقوى حفظه الله تعالى طريقاً إلى بطحان ، وحفر له مجرى من ناحية الصدقات ، فصارت الشعبة المذكورة تصب أيضاً في بطحان ، ولا تمر بالبقيع ، ولم يتعرض ابن شبة للشعبة التي تشق من مهزور إلى العريض وهو معظمه بسبب السد المبني هناك ، وقد اقتصر عليها المطري فقال : مهزور شرق العوالى ، شمالي مذيذب ، ويشق في الحرة الشرقية إلى العريض ، ثم يصب في وادي الشظاة .

قال الزين المرائي عقب نقله : وكان حَرَّة شوران أى المذكورة في كلام ابن زباله هي الحرة الشرقية .

وقال ابن شبة : وكان مهزور سال في ولاية عثمان رضى الله تعالى عنه سيلا عظيما على المدينة خيف على المدينة منه الغرق ، فعمل عثمان الردم الذى عند بئر مدرى ليرد به السيل عن المسجد وعن المدينة .

وذكره ابن زباله فقال : وأما الدلال والصابية فيشربان من سَرِّح عثمان ابن عفان الذى يقال له مدرى الذى يشق من مهزور في أمواله ويأتى على أريس وأسفل منه حتى يتبطن الصورين ، فصَرَفَه مخافة على المسجد في بئر أريس ، ثم في عقد أريم ثم في بَلْجَارْث بن الخزرج ، ثم صرفه إلى بطحان ، انتهى .

وقال ابن شبة عقب ما تقدم : ثم سال وعبدُ الصمد بن على وال على المدينة في خلافة المنصور سنة ست وخمسين ومائة ، فخيف منه على المسجد فبعث إليه عبدُ الصمد عميد الله بن أبى سلامة العمرى ، وهو على قضائه ، وندب الناس فخرجوا إليه بعد العصر - وقد طغي وملاً صدقات النبي صلى الله عليه وسلم - فدلوا على مصرفه ، فحفروا في برقة صدقة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأبدؤا عن حجارة منقوشة ففتحوها فانصرف الماء فيها وغاض إلى بطحان . دلم على ذلك عجوز مُسِنَّة من أهل العالية ، قالت : إني كنت أسمع الناس يقولون : إذا خيف على القبر من سيل مهزور فاهدموا من هذه الناحية ، وأشارت إلى القبلة ، فهدمها الناس فأبدؤا عن تلك الحجارة ، انتهى .

وذكره ابن زباله مع مخالفة في التاريخ فقال : وفي ليلة الأربعاء هلال الحرم سنة ثمان وخمسين ومائة في إمارة عبد الصمد لما أصيب المسجد بتلك الغرقة استغاث الناس على سيل مهزور مخافة على القبر ، فعمل الناس بالمساحى والمكاتل والماء في برقة إلى أنصاف النخل ، فطلعت عجوز من أهل العالية فقالت : أدركتُ الناس يقولون : إذا خيف على القبر فاهدموا من هذه الناحية ، يعنى القبلة ، فدار الناس إليها فهدموا وأبدؤا عن حجارة منقوشة ، فعدل الماء إلى هذا الموضع اليوم وأمينوا ، وهى الليلة التى هدمت فيها بيوت بطحان وبنى جشم ، انتهى .

ونقله المراغى إلا أنه قال كما رأيته بخطه : وأبدوا حجارة منقوشة ، وضبط

الباء بالتشديد ، والذي في كلام ابن زبالة وابن شبة ما قدمته ، قال المراغي عقبه :
و بنو جشم لا تعرف ، وإنما المعروف دشم - بالدال - بستان شامى مسجد الفعلة
على نحو رميتى سهم منه ، فلعلها منازلهم ، ووقع في الأسم تغيير .
قلت : والظاهر أن المراد منازل بنى جشم بن الحارث بالسفح لقربها من
بطحان ، فطغى الماء إليها لما صرّفوه .

تتمّة

قضاؤه

بين رجل
من الأنصار
والزبير

فيما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأودية

روينا في الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن الزبير أن رجلا من الأنصار
خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون بها النخل ، فقال الأنصارى : سرح
الماء يمر ، فأبى عليه ، فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم للزبير : اسق يازبير ثم أرسل الماء إلى جارك ، فغضب الأنصارى ،
فقال : أن كان ابن عمك ؟ فتلّون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :
اسق يازبير ثم اخبس الماء حتى يرجع إلى الجدر .

وفي رواية للبخارى : حتى يرجع الماء إلى الجدر ، فكان ذلك إلى
السكعين ، وفي أخرى له : كان النبي صلى الله عليه وسلم أشار على الزبير برأى فيه
سعة ، فلما أخفض الأنصارى النبي صلى الله عليه وسلم - أى أغضبه - استوفى
للزبير حقه في صريح الحكم .

والجدر قيل : أصل الشجرة ، وقيل : جدور المشارب التي يجتمع فيها الماء
في أصول النخل ، وقيل : المسحاء وهو ما وقع حول المزرعة كالجدار ، وقال ابن
شهاب : قدرت الأنصار والناس ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك
إلى السكعين .

قضاؤه

وفي سنن أبى داود عن ثعلبة بن أبى مالك أنه سمع كبارهم يذكر أن
رجلا من قریش كان له سهم من بنى قريظة ، فخاصم إلى النبي صلى الله عليه وسلم في سيل مهزور

وسلم في مهزور السيل الذي يتسمون ماءه ، فقضى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الماء إلى الكعبين لا يجلس الأعلى على الأسفل .

وفي رواية له : قضى في السيل المهزور أن يمسك حتى يبلغ الكعبين ، ثم يرسل الأعلى على الأسفل ، كذا قال في « السيل المهزور » والمشهور كما قال السبكي « في سيل المهزور » .

وفي الموطأ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في سيل مهزور ومذنب : يمسك حتى الكعبين ، ثم يرسل الأعلى على الأسفل .

وروى ابن شبة : قضى في سيل مهزور أن يمسك الأعلى على الأسفل حتى يبلغ الكعبين والجدر ، ثم يرسل الأعلى على الأسفل ، وكان يسقى الحوائط . وعن جعفر قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سيل مهزور أن لأهل النخيل إلى العقيق ، ولأهل الزرع إلى الشراكين ، ثم يرسلون الماء إلى مَنْ هو أسفل منهم .

وهو صريح فيما قاله المتولى والماوردي من أن التقدير بالكعبين ليس على عموم الأزمان والبلدان والزرع والشجر ؛ لأن الحاجة تختلف ، ولم يقف السبكي على هذه الرواية فقال : وهو قوى ، والحديث واقعة حال ، ولولا هيبة الحديث لكنت أختاره .

خاتمة

في مجتمع الأودية ومغائضها

قال الزبير : ثم يلتقى سيل العقيق ورانونا بوادٍ آخر وذى صلب وذى ريش وبطحان ومعجف ومهزور وقناة بزغابة ، وسيول العوالي هذه يلتقى بعضها ببعض قبل أن يلتقى العقيق ثم يجتمع ، فيلتقى العقيق بزغابة .

قلت : والحاصل أن سيول العالية ترجع إلى بطحان وقناة ، ثم تجتمع مع العقيق بزغابة عند أرض سعد بن أبي وقاص كما صرح ابن زبالة .

مجتمع
سيول العالية

قال الزبير : وذلك أعلى وادى إضم ، وفيه يقول إسحاق الأعرج :
غَشِيَتْ دياراً بأعلى إضمَّ محأها البلى واختلافُ الدِّيمِ
قال الهجرى : سمي إضم لا نضمام السيول به واجتماعها فيه ، وقال ابن شبة :
تجتمع هذه الأودية بزغابة ، وهو بطرف وادى إضم ، سمي بإضم لانضمام
السيول به .

قلت : ويسمى اليوم بالضيقة ، ويسمى زغابة بمجتمع السيول ، ولهذا أورد
الزبير هنا حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم « رَكِبَ إلى مجتمع السيول فقال :
ألا أخبركم بمنزل الدجال من المدينة - الحديث » .

قال الزبير : ثم تمضى هذه السيول إذا اجتمعت فتتحد على عين أبي زياد
والصورين في أدنى الغابة ، ثم تلتقى هذه السيول في وادى نغمى ووادى نعمان أسفل
من عين زياد ، ثم تنحدر هذه السيول فتلقاها سيول الشعاب من كنفها ، ثم
يلقاها وادى ملك بذى خشب وظلم والجنينة ، ثم يلقاها وادى ذى أوان ودوافعه
من الشرق ، ويلقاها من الغرب وادٍ يقال له بواط والحزار ، ويلقاها من الشرق
وادى الأثمة ، ثم تمضى في وادى إضم حتى يلقاها وادى برمة الذى يقال له ذوالبيضة
من الشام ، ويلقاها وادى ترعة من القبلة ، ثم يلتقى هو ووادى العيص من القبلة ،
ثم يلقيه دوافع وادٍ يقال له حجر ووادى الجزل الذى به السقيا والرحبة في نخيل
ذى المروة مغرباً ، ثم يلقيه وادى عمودان في أسفل ذى المروة ، ثم يلقيه وادٍ يقال
له سفيان حين يُفْضَى إلى البحر عند جبل يقال له أراك ، ثم يدفع في البحر من
ثلاثة أودية يقال لها اليعبوب والنتيجة وحقيب ، وذكر ابن شبة نحوه ، وكذا
الهجرى .

وقال المطرى : إن السيول تجتمع بدومة سويل بطحان والعقيق والزغابة
والنغمى وسيل غراب من جهة الغابة فيصير سيلاً واحداً ويأخذ في وادى الضيقة
إلى إضم جبل معروف ، ثم إلى كرى من طريق مصر ويصب في البحر ، انتهى .

وفيه أمور : الأول : جعله مجتمع السيول برومة ، وإنما مجتمعا بزغابة كما سبق ، وذلك أسفل من رومة غربى مشهد سيدنا حمزة كما قاله الهجرى ، وهو أعلى وادى إضم ، ومأخذ المطرى قول ابن إسحاق فى غزوة الخندق : أقبلت قریش حتى نزلت بمجتمع السيول من رومة بين الجرف وزغابة ، وهو مخالف لما سبق .
 الثانى : جعله لزغابة سيلا ينصب لرومة ، ورومة هى التى تنصب إلى زغابة .
 الثالث : جعله النقمى مما يجتمع مع السيول برومة ، مع أنه المعبر عنه فيما سبق بنقمى ، وإنه يجتمع مع السيول بالغابة .
 الرابع : جعله لغراب سيلا يجتمع برومة ، ولم أقف له على مستند ، وغراب جبل فى تلك الجهة على طريق الشام .
 الخامس : جعله إضم اسم جبل ، ومغايرته بينه وبين وادى الضيقة ، خلاف ما تقدم ، واختلف اللغويون فى أن إضم اسم لموضع أو جبل هناك ، والظاهر أنه اسم للجبل وواديه .

الفصل السادس

فما سمي من الأسماء ، ومن حماها ، وشرح حال حمى النبى صلى الله عليه وسلم والحمى ، لغة : الموضع الذى فيه كلاً يُحمى ممن يرعاه ، وشرعاً : موضع من المَوَات يمنع من التعرض له ليتوفر فيه السكلاً فترعاه مواشٍ مخصوصة . وهو بالقصر ، وقد يمد ، ويكتب المقصور بالألف والياء ، قال الأصمعى : الحما حِمَيَان : حمى ضَرِيَّة ، وحمى الرَبْدَة ، وكأنه أراد المشهور من الحمى بنجد ، قال صاحب المعجم : ووجدت أنا حمى فيد ، وحمى النير ، وحمى ذى الشرى ، وحمى النقيع .

معنى الحمى

قلت : وهى عدا النقيع بنجد ، وهى متقاربة ، بل سيأتى ما يؤخذ منه دخول النير فى حمى ضرية . والنقيع بالنون المفتوحة والقاف المكسورة والياء التحتية

حمى النقيع

السبا كنة والعين المهملة على الصحيح المشهور ، وهو كل موضع يستنقع فيه الماء ، وبه سمي هذا الوادي . وحكى عياض عن أبي عبيد البكري أنه بالباء كبقيع الغرقَد ، قال : ومتى ذكر دون إضافة فهو هذا .

قلت : الذي نقله السهيلي عن أبي عبيد أنه بالنون ، قال عياض : وأما الحمى الذي حمّاه النبي صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء الأربعة فهو الذي يضاف إليه غور النقيع ، وفي حديث آخر « أتى بقدح لبن من النقيع » . وحكى النقيع على عشرين فرسخاً من المدينة ، وهو صدْرُ وادي العقيق ، وهو أخصب موضع هناك ، وهو ميل في بريد ، فيه شجر ، ويستأجم حتى يغيب فيه الراكب ، فاختلف الرواة وأهل المعرفة في ضبطه : فوقع عند أكثر رواة البخاري بالنون ، وذكر نحو ما تقدم ، وهو موافق في ذكر المسافة لأبي على الهجري ، وقد تقدم عنه أنه ينتهي إلى حضير ، وأن العقيق يبتدىء من حضير ، ولعل المراد من رواية ابن شبة في أن النقيع على أربعة بُرْدٍ من المدينة طرفه الأقرب إليها ، ومراد الهجري طرفه الأقصى .

وقال نصر : النقيع قرب المدينة كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حمّاه ، وهو من ديار مزينة ، وهو غير نقيع الخضعات ، وكلاهما بالنون ، وأما الباء فيهما فخطأ صراح .

وقال الهجري : الطريق إلى الفرع وسيارة وسنانة والصابرة والقرنين جند والأكحل وأموال تهامة ؛ تعترض النقيع يساراً للخارج من المدينة ، وبعض الناس يجعلها إلى مكة ، وهي طريق التهمة .

ونقل أيضاً أن أول الأحماء وأفضلها وأشرفها ما أحمى النبي صلى الله عليه وسلم من النقيع ، أحماء لحيل المسلمين وركابهم ، فلما صلى الصبح أمر رجلاً صبيّاً فأوفى على عسيب وصاح بأعلى صوته ، فكان مَدَى صوته بريداً ، ثم جعل ذلك حمى

طوله بريد وعرضه الميل في بعض ذلك وأقل ، وذلك في قاع مدر طيب ينبت
أحرار البقل والطرائف ويستأجم - أى يستأصل أصله ويغلف نبتة حتى يعود
كالأجمة - يغيب فيه الراكب إذا أحميا ، وفيه مع ذلك كثير من العضاة والغرق
والسدر والسيال والسلم والطلح والسمر والعوسج ، ويحف ذلك القاع الحرة حرة
بنى سليم شرقاً ، وفيها رياض وقيعان ، ويحف ذلك القاع من غربيه الصخرة ،
وفي غربيه أيضاً أعلام مشهورة مذكورة : منها برام ، والوائدة ، وضاف ،
والشقاء ، ويبطن قاع النقيع في صير الجبل غدر تضيف ، فأعلاها يراجم ، ثم
ألبن ، وبعضهم يقول : يذبن ، وهو أعظمهما وأذكرها .

وفي سنن أبي داود بسند حسن عن الصَّعب بن جثَّامة أن النبي صلى الله
عليه وسلم حمى النقيع وقال « لا حمى إلا لله » .

وفي رواية له : « لا حمى إلا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم » من غير ذكر
حمى النقيع كما في الصحيح ، ورواه الزبير بلفظ الرواية الأولى ، وزاد « ولرسوله »
وسنده حسن .

وروى أحمد بسند فيه عبد الله العمرى - وهو ثقة ، وإن ضعفه جماعة ، وقال
الذهبي : إنه حسن الحديث - عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى
النقيع للخیل ، فقلت له : لخیله ؟ قال : لخیل المسلمين .

وفي رواية لابن شبة عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى قاع النقيع للخیل
المسلمين .

وفي رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى النقيع للخیل ، وحمى
الربذة للصدقة ، وفي الكبير للطبراني رجال الصحيح عن ابن عمر قال : حمى
النبي صلى الله عليه وسلم الربذة لإبل الصدقة .

وروى ابن شبة في ترجمة ما جاء في النقيع بسند جيد عن رجاء بن جميل أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حمى وادى نخيل للخیل المضمرة ، وهى تقضى أن

النقيع تسمى بذلك ، ولم أر من صرح به ، نعم تقدم في الفصل الثالث قول ذؤيب الأسلمي في عرصة العقيق :

* طاف من وادي دجيل *

الآيات وهو بالدال في عدة نسخ ، والذي في نسخة ابن شبة بالباء بدل الدال ، ولعله تصحيف ، فيكون ذلك اسماً للنقيع ، ويؤيده قول مصعب الزبيري يتشوق إلى رومة من العقيق في أبيات :

أعزني نظرة بقرى دجيل نخائلها ظلاماً أو نهارة

فقال: أرى برومة أو بسلم منازلها معطلة قفارا

وروى الزبير بن بكار عن مراوح المزني قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقيع على مقمل وصليب ، وقال في حمى النقيع : « نَعَمْ مَرَّتْهُ الأفراس ، يُحْمِي لَهْن ، وَيَجَاهِدُ بَهْن فِي سَبِيلِ اللَّهِ » وَحَمَاهُ ، وَاسْتَعْمَلَنِي عَلَيْهِ .

وعن غير واحد من الثقات عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه « صَلَّى عَلَى مقمل ، وَحَمَاهُ وَمَا حَوْلَهُ مِنْ قَاعِ النقيع لَخِيُولِ الْمُسْلِمِينَ » ثم زادت بنو أمية بعد والأمرأه أضعاف ما حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقيع .

وعن محمد بن هيصم المزني عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَشْرَفَ عَلَى مقمل طرف وسط النقيع ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ، فَسَجَدَهُ هُنَاكَ » .

قال ابن هيصم عن أبيه : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي ، وقال : إني مُسْتَعْمِلُكَ فِي هَذَا الْوَادِي ، فَمَا جَاءَ مِنْ هَهُنَا وَهَهُنَا - يُشِيرُ نَحْوَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ وَمَغْرِبِهَا - فَامْنَعَهُ ، فقال : إني رجل ليس لي إلا بنات ، وليس معي أحد يعاونني ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سِيرَ زَقَّتْ وَلَدًا ، وَيَجْعَلُ لَكَ وَلِيًّا » قال : فعمل عليه ، وكان له بعد ذلك ولد ، فلم تزل الْوُلَاةُ يُولُونُ عَلَيْهِ وَالْيَا مِنْذُ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَسْتَعْمِلُهُ وَالِي الْمَدِينَةِ ، حَتَّى كَانَ دَاوُدُ بْنُ عَيْسَى فَنَزَلَهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً ، وَإِنَّمَا تَرَكَهُ دَاوُدُ

لأن الناس جَلَّوْا عنه للخوف ذلك الزمان ، فلم يبق فيه أحد يستعمله عليه ، قال الزبير : وربما كتب إلى عبد الله بن القاسم وهو في ماله بنعف النقيع يقول لى : إن ناساً عندنا بالنقيع قد عاثوا في حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّم الأمير يكتب في التشديد فيه .

وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم « صلى في موضع مسجده على موضع مقمل ثم بعده إلى ما بينه وبين يلبن من قاع النقيع » .

وقال : لحمى لأفراس تغدو وتروح في سبيل الله ، ومد رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، وقاربَ بينهما ، ولم يضمهما ، وكماه ، واستعمل عليه جد أبي الخليس ، فقال : يا رسول الله ، أولادى النساء ، وليس معى غناء ، قال : فقم بهن معك فارُدْ ما جاء من الحرة في الحرة ، واردد ما جاء من الصحرة في الصحرة ، قال يعقوب المزنى : ثم تزايد الناس بعدُ في الحمى ، فحموا ما بين تراجم إلى يلبن ، واتخذوا المرباد يحبسون فيها مارعى الحمى من الإبل ، حتى رأيت بعضها يأكل دبر بعض ، قال الزبير : وقال لى : لقد رأيتُ لأبيك أكل من ثلاثة آلاف شاة بالنقيع ، وهو إذ ذاك أمير المدينة ، ما يرعى رعاؤه منها شيئاً في الحمى ، حتى يكتمل العشب ويبلغ نهايته ، فيرسل عامل الحمى صائحاً يصيح في الناس يؤذّنهم باليوم الذى يأذن لهم يرعون الحمى ، فيسرع فيه رعاء أبيك والناس يداً واحدة كفرسى رهان .

حكم الحمى

قلت : مقتضاه جواز رعى الحمى للناس إذا استوتوا فيه ، وهو مخالف لمذهبنا ؛ إذ لا يدخله سوى العاجز عن النجعة من الناس .

قال الشافعى : قوله صلى الله عليه وسلم : « لا حمى إلا لله ورسوله » يحتمل معنيين :

أحدهما : ليس لأحد أن يحمى للمسلمين غير ما حمى صلى الله عليه وسلم ؛ فلا يكون لوال أن يحمى .

والثاني : أنه لا يحمى إلا على مثل ما حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا خليفة أن يحمى على مثل ما حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
والثاني هو أظهر القولين ، وهو قول الأزمهرى ، وقال : يعنى للخيل التى
تُرْكَبُ فى سبيل الله ، وقيل : معناه ليس لأحد أن يحمى لنفسه إلا النبى صلى الله
عليه وسلم ، فإن ذلك من خصائصه ، وإن لم يقع منه ، ولو وقع لكان من
مصالح المسلمين ؛ لأن مصلحته مصلحتهم .

وقال فى الأم : كان الرجل العزيز من العرب إذا استنجع بلداً مُخَصَّصاً
أوفى بكلب على جبل إن كان أو نَشَرَ إن لم يكن جبل ، ثم استَقَوَاهُ ووقف له
من يسمع منتهى صوته ، فحيث بلغ صوته حَمَاهُ من كل ناحية ، ويرعى مع العامة
فما سواه ، ويمنع هذا من غيره لضعف سائمته ، وما أراد قر به منها ؛ فيرى أن
قوله صلى الله عليه وسلم والله أعلم « لا حمى إلا لله ورسوله » لا حمى على هذا
المعنى الخاص ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان يحمى إن شاء لمصالح
عامة المسلمين ، لا لما حمى له غيره من خاصة نفسه ، وذلك أنه لم يملك إلا
ما لا غنى به وبعياله عنه ، وصير ما ملكه الله من خمس الخمس مردوداً فى مصلحتهم ،
وماله ونفسه كان مفرغاً فى طاعة الله .

حمى أبى
بكر وعمر

قال : وقد حمى بعده عمر رضى الله تعالى عنه أرضاً لم يعلم أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم حماها ، وقال غيره : حمى أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، وحمى عمر
الشرف ، قيل : والربذة ، وقيل : حماها أبو بكر ، وقيل : النبى صلى الله عليه
وسلم ، ولعله حمى بعضها ثم زاد كل منهما بعده فيها شيئاً .

وسياتى عن الهجرى أن عمر أول ما حمى بضرية ، وأن عثمان
زاد فيه .

وما حماه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز تغييره بحال ، بل ينسحب
عليه حكم الحمى وإن زالت معالمه على الأصح ، بخلاف حمى سائر الأئمة ، قال

الشافعي : ويكره أن يقطع الشجر بالمدينة ، وكذا بوج من الطائف ، وكذا بكل موضع حمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والموضع الذي حمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشك فيه بالتقيع ، وأما الصيد فلا يكره فيه ، انتهى .

والمراد بالكراهة هنا كراهة التحريم .

وروى ابن عبد البر أن عمر رضى الله تعالى عنه بلغه عن يعلى بن أمية - ويقال : أمينة ، وكان عاملا على اليمن - أنه حمى لنفسه ، فأمره أن يمشى على رجله إلى المدينة ، فمشى أياما إلى صعدة ، فبلغه موت عمر ، فركب .

وروى الشافعي وغيره أن عمر استعمل مولاة هنيا على الحمى ، فقال له : يا هنى ضم جناحك للناس ، واتقى دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مجابة ، وأدخل رب الصريمة والغنيمة ، وإياك ونعم ابن عفان وابن عوف ، فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى نخل وزرع ، وإن رب الغنيمة يأتيني بعياله فيقول : يا أمير المؤمنين ، يا أمير المؤمنين ، أفتاركم أنا لا أبالك ؟ فالماء والكلأ أهون على من الدنانير والدرهم ، ألا وإيم الله لعلّ ذلك ، إنهم ليرون أنى قد ظلمتهم ، إنها لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام ، ولولا المال الذى أحمل عليه في سبيل الله ما حثيت على المسلمين من بلادهم شيئا .

قال الشافعي : وإنما نسب الحمى إلى المال الذى يحمل عليه في سبيل الله لأنه كان أكثر ما عنده مما يحتاج إلى الحمى .

وعن مولى لعثمان بن عفان أنه كان معه فى ماله بالعالية فى يوم صائف ، إذ رأى رجلا يسوق بـكـرّين ، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر ، فقال : ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح ، انظروا من هذا ، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب ، فقلت : هذا أمير المؤمنين ، فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب ، فإذا لفح السموم ، فأعاد رأسه حتى حاذاه فقال : ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقال : بكّران

من إبل الصدقة تخلفا فأردت ألحقهما بالحمى ، وخشيت أن يضيعا فيسألني الله
عنهما ، فقال عثمان : هَلُمَّ إلى الماء والظل ونكفيك ، فقال : عُدْ إلى ظلك ،
ومَضَى ، فقال عثمان : مَنْ أَحَبَّ أن ينظر إلى القوى الأمين فليَنظر إلى هذا ،
فعاد إلينا فألقى نفسه .

وفي الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عمر رضي الله تعالى عنه كان يحمل في العام
الواحد على أر بعين ألف بعير ، يحمل الرجل إلى الشام على بعير ، ويحمل الرجلين إلى
العراق على بعير .

وعن مالك قال : بلغنا أن الخليل التي أعدّها عمر رضي الله تعالى عنه ليحمل
عليها في الجهاد وَمَنْ لا مركوب له عدتها أر بعون ألفا .

وروى بعضهم أن عمر رضي الله تعالى عنه رأى في رَوْثِ فرسه شعيرا في
عام الرّمادة ، فقال : لأجعلن له من عرر النقيع ما يكفيه .

وفي رواية « المسلمون لا يشبعون والشعير في رَوْثِكَ ، لتعالجن عرر النقيع »
قال الخطابي : العرر نبت ينبتة الثمام .

وقال عبد الرحمن بن حسان في قاع النقيع :

أرقتُ لبرقٍ مستطير كأنه مصابيح تحبو ساعة ثم تَلَمَحُ
يضىء سنّاه لى سرورا وودّقه بقاع النقيع أو سنّا البرق أبْرَحُ
وقال كثير بن عبد الرحمن :

فهل أربن كما قد رأيتُ لعزّة بالنعف يوما حُولا
بقاع النقيع بصحن الحمى يُماهين بالرقم غيا مخيلا

وقال عبد العزيز بن وداعة المزني :

ولنا بقدس فالنقيع إلى اللوى رَجع إذا لث السبي الواقع
وادي قرارة ماؤه ونباته يرعى الخاض به وادي فارغ
سعد يحرق أهلنا بفروعه فيه لنا جرز وعيش رافع

وقال أبو سامي :

لنا منزلان مؤلف الماء مونق كريم ، ووادٍ يحدر الماء قارع
وداران دار يرعد الرعد تحتها ودار بها ذات السلم فراع
وهذا وما قبله يشير إلى ما سبق في العقيق من أن صدوره مادفع في النقيع
من قدس وما قبل من الحرة وما دبر ، فهو يصب في الفرع .

وقال أبو قطيفة :

ليت شعري وأين منى لَيْتْ أَطْلَى الْعَهْدِ يَلْبَن قَبْرَامُ^(١)
أم كعهدى النقيعُ أم غَيْرته بعدنا الْمُعْصِرَاتِ وَالْأَيَّامِ
وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

أزجرت الفؤاد منك الطروبا أم تصايَّنت إذ رأيت المشيبا
أم تذكرت آل سامة إذ حلُّوا رياضاً من النقيع ولوبا
ثم لم يتركوا على ماء عمق للرجال الورَّاد منهم قلوبا

الفصل السابع

في شرح حال بقية الأسماء ، وأخبارها .

حمى الشرف منها : الشرف ، حماء عمر رضى الله تعالى عنه ، وليس هو شرف الروحاء ، بل موضع بكبد نجد .

قال نصر : الشرف كبد نجد ، وقيل : وادٍ عظيم تكتنفه جبال حمى ضرية والظاهر أنه مراد من غير بينه وبين حمى ضرية والربذة .

قال الأصمعي : الشرف كبد نجد ، وكانت منازل بني آكل المرار ، وفيها

(١) يلبن - بفتح الياء المثناة تحت وسكون اللام ثم باء موحدة مفتوحة ثم نون - غدير بنقيع الحمى ، وبرام بفتح الباء الموحدة أوله ، وقد تكسر - جبل من أعلام النقيع اهـ .

اليوم حمى ضرية ، وفي أول الشرف الربذة ، وهي الحمى الأيمن ، والشريف إلى جنبه يفصل بينهما السرير ، فما كان مُشْرِقاً فهو الشريف ، وما كان مغرباً فهو الشرف ، انتهى .

ويحتمل أن المراد بقولهم « حمى الشرف والربذة » حمى ضرية والربذة لما سيأتى فى حمى ضرية أنه كان يقال لعامله عامل الشرف ، ولم يفرد الهجرى فى أحماء نجد الشرف ، ولم يبين له محلاً ، وإنما ذكر الربذة وضرية مع ماسيأتى فيهما . وقال الأصمعى : كان يُقال : من تَصَيَّفَ الشرف ، وترَبَّعَ الحزم ، وشَتَّى الصَّمان ؛ فقد أصاب المرعى .

ومنها : حمى الربذة - قرية بنجد من عمل المدينة ، على ثلاثة أيام منها ، قاله حمى الربذة المجد ، وفي كلام الأسدى ما يقتضى أنها على أربعة أيام ، قال المجد : وكان أبوذر الغفارى خرج إليها مغاضباً لعثمان رضى الله تعالى عنهما ، فأقام بها إلى أن مات ، وتقدم قول الأصمعى إنها فى الشرف وإنها الحمى الأيمن ، وقال نصر : هى من منازل الحاج بين السليمة والعقيق ، أى الذى بذات عرق .
وفى تاريخ عبيد الله الأهوازى أنها خربت فى سنة تسع عشرة وثمانئة ؛ لاتصال الحروب بين أهلها وأهل ضرية ثم استأمن أهل ضرية إلى القرامطة ، فاستنجدوهم عليهم ، فارتحل أهل الربذة عنها فخربت ، وكانت أحسن منزل بطريق مكة .

وقال الأسدى : الربذة لقوم من ولد الزبير ، وكانت لسعد بن بكر من فزارة ، ووصف ما بها من البرك والآبار ، وقال : إن بها بئراً تعرف ببئر المسجد بئر أبى ذر الغفارى .

وتقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم حمى الربذة لإبل الصدقة ، وقيل : أبو بكر ، وقيل : عمر ، وهو المشهور .

وروى ابن أبى شيبة بإسناد صحيح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن عمر حمى الربذة لنعم الصدقة ، ولهذا نقل الهجرى عن جماعة أن أول من أحمى الحمى

بالربذة عمر بن الخطاب لقصاص الصدقة ، وأن سعة حماه الذي أحس بريد في
بريد ، وأن سرّة حمى الربذة كانت الحرة ، ثم زاد الولاية بعد في الحمى ، وآخر
من أحماه أبو بكر الزبيرى لنعمه ، وكان يرعى فيه أهل المدينة ، وكان جعفر بن
سليمان في عمله الأخير على المدينة أحماه لظهوره بعد ما أبيضت الأحماء في ولاية
المهدى ، ثم لم يحمه أحد منذ عزل بكار الزبيرى .

وأول أعلامه رحران جبل غربى الربذة على أربعة وعشرين ميلا منها في
أرض بنى ثعلبة بن سعد كثير القنّان ، وأقرب المياه منه ماء يقال له الكديد
حفائر عادية عذاب ، ثم أروم جبل عن يسار المصعد ، ويدعى الجندورة في أرض
بنى سليم ، وأقرب المياه منه ماء لبنى سليم يدعى ذنوب داخل في الحمى على اثني
عشر ميلا من الربذة ، ثم اليعملة ، وبها مياه كثيرة ، بينها وبين الربذة ثلاثة
عشر ميلا ، ثم عن يسار المصعد هضبات حمر يدعى فوافى بأرض بنى سليم ،
على اثني عشر ميلا من الربذة ، ثم عمود المحدث ، وهو عمود أحمر في أرض
محارب ، بأصله مياه تدعى الأقعسية ، على أربعة عشر ميلا من الربذة ، وهو
بلد واسع .

حمى ضرية ومنها : حمى ضرية - قرية سميت باسم بئر يقال لها ضرية ، وقال ابن الكلبي :
سميت ضرية بضرية بنت نزار ، وهى أم حلوان بن عمران بن إلخاف بن قضاة ،
وقال الأصمعى : ويقال ضرية بنت ربيعة بن نزار ، وقال نصر : ضرية صقع واسع
بنجد ، ينسب إليه حمى ضرية ، يليه أمير المدينة ، وينزل به حاج البصرة ، قال
أبو عبيد البكري : ضرية إلى عامل المدينة ، وقال غيره : هى قرية عامرة قديمة
في طريق مكة من البصرة ، وهى إلى مكة أقرب ، غير أنها من أعمال المدينة
يحكم عليها واليها .

وذكر الأسدى في وصف طريق البصرة ما يقتضى أن ضرية على نحو عشرة

أيام من مكة ، وأخبرني أهل المعرفة بها أنها من المدينة على نحو سبع مراحل ،
وأنها إلى المدينة أقرب .

وقال ابن سعد : سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء بطن من أبي بكر كانوا
ينزلون البكرات بناحية ضرية ، وبين ضرية والمدينة سبع ليال ، انتهى .
وتقدم قول الأصمى في الشرف إن به حمى ضرية ، قال : وضرية : بئر ماؤها
عذب طيب ، قال الشاعر :

ألا يا حبيذا لَبَنُ الْخَلَايَا بِمَاءِ ضَرِيَّةِ الْعَذْبِ الزَّلَالِ

ونقل المجد أن أشهر الأحماء وأسيرها ذكرأ حمى ضرية ، وكان حمى كليب
ابن وائل فيما يزعم بعض بادية طيء ، قال : وذلك مشهور عندنا بالبادية يرويه
كابر عن كابر ، وفي ناحية منه قبر كليب معروف إلى الآن .

قلت : وأخبرني بذلك رئيس أهل نجد ورأسها سلطان البحرين والعطيف
فريد الوصف والنعته في جنسه صلاحا وإفضالا وحسن عقيدة أبو الجود أجود
ابن جبر أيده الله تعالى وسدده ، وقال : إن قبر كليب هناك معروف عند العرب
يقصدونه ، قال : ودلني عليه بعضهم لأفصده ، فقلت : هو واحد من الجاهلية .

ونقل الهجري أن أول من أحمى الحمى بضرية عمر بن الخطاب ، أحماء لإبل
الصدقة وظهران الغزاة ، وأن سُروحا الغنم العادية من ضرية ترعى على وجوها
ثم تؤوب بضرية ، وذلك ستة أميال من كل ناحية ، وضرية في وسط الحمى ؛
فكان على ذلك حياة عمر وصدرأ من ولاية عثمان ، ثم كثر النعم حتى بلغ أربعين
ألب بعير ، فضاق عنه الحمى ، فأمر عثمان أن يُزَاد ما يسع إنل الصدقة وظهران الغزاة ، فزاد
زيادة لم يحددها ، إلا أن عثمان رضى الله تعالى عنه اشترى ماء من مياه بني ضبيعة^(١)

كان أدنى مياه غنى إلى ضرية يقال له البكرة عند هضبات يقال لها البكرات
على نحو عشرة أميال من ضرية يذكرون أن البكرة دخلت في حمى عثمان ، ثم
لم تزل الولاة تزيد فيه ، واتخذوه مأكلة ، ومن أشدهم فيه انبساطا ومنعاً إبراهيم

(١) في الخلاصة « بني ضبيعة » .

ابن هشام الخزومي ، زاد فيه وضيق على أهله ، واتخذ فيه من كل لون من ألوان الإبل ألف بعير ، ولم تزل حواط الحمى يقاتلون عليه أشد القتال ، ويكون فيه الدماء ، وقاتل مرة حواط ابن هشام ورُعيان أهل المدينة وهم أكثر من مائتي رجل ناسا من غنى على ماء لغنى يقال له الساء قتالا شديداً ، فظفر الغنويون ، فقتلوا منهم اثني عشر رجلاً ، ثم صالحوهم على العقل ، لكل واحد مائة من الإبل ، فقال بعض الغنويين :

يال غنى إنه عقل النعم وليس بالنوم وترجيل اللمم

وكان ناس من الضباب قدموا على ولد عثمان ، فاستسقوهم بالبكرة فأسقوهم ، فلم تزل بأيديهم .

وحفر عثمان عينا في ناحية أرض غنى خارجة عن الحمى بناحية المساء الذي يقال له نفى على نحو خمسة عشر ميلا من أضاخ ، وفقرت لها بها فقر كبيرة ، وابتنى عماله عندها قصراً أثره بين قرب واردات مقبل ، ولم تجر ، فتركها العمال ، فلم يحرك ذلك السبح إلى اليوم .

ودفنت غنى في فتنة ابن الزبير عنصر العين وتلك الفقر ، فنسيت عيونه وكل ما سلف من أضاخ في شريقها تميمي .

وأدنى مياه بني تميم إلى أضاخ ماء يقال له أضحى لبني الهجيم ، وقد دفن منذ دهر ، فقال ناس من بني عبد الله بن عامر لأصهار لهم من بني الهجيم : نحن نستسقى لكم آل عثمان فنسقى ، فرغبوا في ذلك ، فأجابهم آل عثمان ، فاستظعن الهجيميون قومهم إليه ، فلقاهم رعاء غنى ، فسألوه ، فقالوا : إن بني عثمان ولونا أمره ، وبلغ الخبر من بينهم من غنى ، فتواعدوا أن ينزلوا أدنى منازلهم من بقى ، فاجتمع منهم جمع كثير ، وعلم بنو الهجيم أنهم إن ثبتوا يعظم البلاء ، فظعنوا ليلاً إلى بلادهم ، وخاف بعضهم أن يدرك فتركوا به الرجال وما ثقل وبهم ما في أرباقه يعني العري التي يشد بها البهم ، فغضب أصهار الهجيمين ، واستغضبوا آل عثمان ، فلما قدم

الحسن بن زيد المدينة ومعه بعض أصهار المهجيمين فقالوا لآل عثمان : نجيء
لكم بنحيسار تميم ومشايخ أضاح يشهدون لكم ، فاستعدى آل عثمان الحسن بن
زيد على غنى ، وسأله الحماكة بأضاح لقربها من بني تميم ، وكلم آل عثمان
عبد الله بن عمرو بن عبسة العثماني ، فاجتمعوا عند أبي مطرف عامل الجيش بأضاح ،
وولى الخوصومة من غنى الحصين بن ثعلبة أحد بني عمرو الذين امتدحهم ابن عرندس
بالآيات الآتية ، فصار كلما جاء العثماني بشاهد من تميم جاءه الغنوي بشاهدين
يخرجانه من قيس ، فلحق العثماني بأهله ، فلم يزل بقي موانا . وهذه الخوصومة في
سنة خمسين أو إحدى وخمسين ومائة .

واحتفر عبد الله بن مطيع حفيرةً هي في أيدي الضباب على بريد من ضرية
على طريق أضاح للمدينة في ناحية شعبي ، وكان الكنديون يسقون ، وماؤهم
يسمى الثريا ، ومنهم العباس بن يزيد الذي هجاه جرير بقوله :

أَعْبَدًا حَلَّ فِي شُعْبِي غَرِيبًا أَلُوْمًا لَا أَبَالِكَ وَاغْتَرَابًا

إِذَا حَلَّ الْحَجِيجُ عَلَى قَنِيعٍ يَمِيتُ اللَّيْلَ يَسْتَرْقُ الْعَتَابَا

وقنيع : ماء للعباس الكندي على ظهر محجة أهل البصرة في دارة من
دارات الحمى يقال لها دارة عسبس ، فلما أجلي الكنديون عن قنيع تنازعت
بنو أبي بكر بن كلاب وبنو جعفر ، فقالت أبو بكر : نحن أحق بماء حلفائنا ،
وقال الجعفريون : هو عند بيوتنا فنحن أحق به ، فجمع بعضهم لبعض بملتقى
قنيع ، وكان سيد بني جعفر عبود بن خالد ، ورأس أبي بكر معروف بن عبد الكريم
وأخته زوجة عبود أم ولده طفيل ، وكان طفيل من أشد بني جعفر على أخواله ،
فخرجت أمه ليلا لقومها ، فقالت : أشد بني جعفر لكم عداوة ابن أختكم ، فإنه
معلم بحبه حرمر ، فليكن أول قتييل ، ثم تداعى القوم للصالح على تحكيم سلمة
ابن عمرو العريقى ، وكتبوا بذلك وأشهدوا وتواعدوا أن يتوافقوا عنده بأربعين
من كل بطن ، ثم نزلوا بسلمة عند الأجل ، فأقام أياما ينحرح لهم كل يوم جزورا ،

ويعطف بعضهم على بعض، ويذهبهم في قنيع ، فقالوا : إنالم نجى لننحمر لنا إبلك ، فقال : حياكم الله يا بني كلاب ، أتيتموني في أمر عار ذكره وأهجن ، ولست بحاكم حتى أعقد لنفسي أن لا تردوا أنتم ولا من وراءكم حكى ، فأخذ عليهم الطلاق والعناق والمواثيق ، ثم قال : أراكم يا بني كلاب كلكم ظالم ، تقطعون أرحامكم في غير مائكم ، لأرى لأحد منكم فيه حقا ، فرضوا جميعا ، فامتدحه شعراؤهم ، وكان شريفا حسن العلم بالسنن .

قال عقيل بن عرنس الكلابي يمدحه وأهل بيته بني عمرو بقصيدة منها :

يا أيها الرجل المعنى شبيبته تبكى على ذات خلخال وأسوار
خير تنسا وبني عمرو فإنهم ذوو فضول وأحلام وأنظار
هينون لينون أيسار بنو يسر سواس مكرمة أبناء أيسار
من تلق منهم فقد لا قيت سيدهم مثل النجوم سرى في ضوءها السارى
وقال فيه وفي أخيه جامع أحد بني بكر :

إذا ما غنى فأخرتها قبيالة فإن غنيا في ذرى المجد أفخر
وكم فيهم من سيد وابن سيد ومن فارس يوم الكريهة مسعر
هم رتقوا الفتق الذي كان باديا وقاموا بأفق الحق ، والحق أنور
فرحنا جميعا طائعين لحكمه وهل يدفع الحكم الجليل المنور

واحتقر بعض بني حسن بن علي بالحمى ، واتخذ إلى جنب حفرة عيننا ساحت ثم خرجت في غربى طخفة بشاطيء الريان على ثلاثة عشر ميلا من ضرية ، وهى بيد ناس من بني جعفر ثم من بني ملاعب الأسنة من جهة بني أختهم الحسينين .

وكان لبني الأردم - وهم من بني تميم بن لؤى - ماء قديم على طريق أهل ضرية إلى المدينة على ثمانية عشر ميلا من ضرية يسمى الجفر ، ومعهم نفر من بني عامر بن لؤى ، فاحتقر سعيد بن سليمان الساحق العارى عيننا وأساحها وغرس

عليها نخلا كثيرا على ميل أو نحوه من حفر بنى الأدرم بدارة الأسود جبل عظيم أسود ، وهي عامرة كثيرة النخل .

ولما ولي إبراهيم بن هشام المدينة احتفر بالحمى حفيرة [با] لهضب اليمنى على ستة أميال من ضرية على طريق البكرة إلى ضرية ، سماها النامية ، وأخرى بفاحية شعبي بين ضرية وحفر بنى الأدرم على سبعة أميال من ضرية بوادي يقال له فاضحة لأنه انفصاح أى انفراج واتساع بين جبال .

ولما هلك ابن هشام احتفر جعفر بن مصعب بن الزبير حفيرة إلى جنب حفيرة ابن هشام بفاضحة ، ونزلها بولده حتى مات ، فأقام ابنه محمد بمنزلة أبيه حتى خرج محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن فخرج مع محمد ، فلما قتل هرب إلى البصرة ، ثم رجع إلى فاضحة ، وتزوج من بنى جعفر ثم بنى الطفيل فأولد عبد الله فزوجه ابنة القاسم بن جندب الفزاري ، وكان علما من أعلام العرب ينزل باللاء ، وكان القاسم لا يسير أبدا ، ولم يكن حج قط ، ولا يكاد يقدم ضرية ، وأولاد عبد الله من ابنته في بقية من أموالهم بفاضحة .

واحتفر عبد الله حفيرة إلى جنب حفيرة جده ، ودفن حفيرة ابن هشام ، وأخفى مكانها .

واحتفر جرش مولى ابن هشام حفيرة على ميلين أو ثلاثة من حفر بنى الأدرم وحفرة المساحق سماها الجرشية ، ثم اشتراها ناس من ولد رافع بن خديج من الأنصار ، وأحدثوا بقربها حفيرة بقطيعة السلطان ، فنازعهم محمد بن جعفر ابن مصعب بحق بنى الأدرم ، وكان من أشد الرجال ، فقاتلهم وحده ، فاجتمعوا فأصابه رجالان منهم بفرعين خفيفين في رأسه ، فأخذا أسرى حتى أقدمهما ضرية ، واستعدى عليهما الحسن بن زيد بالمدينة ، فضربهما بالسياط ، ثم عفا عنهما ، واختصموا في الجرشية والحفيرة حتى قضى لبنى الأدرم والمساحق ، فكلهم الناس فيبقوهم بهما ، وكان الأنصار يرون أهل عمود وماشية ، فلما كانت الفتنة

أكلتهم لصوص قيس من كلاب وفزارة ، فلحقوا بطي وناسبوهم ، فأمنوا مدة ،
ثم غارت عليهم لصوص طي فتفرقوا وتركوا البادية ، وكانت بنو الأدرم وبنو
بحير القرشيون قد كثروا بالحفر ، ثم وقع بينهم شر ، وكان جيرانهم من قيس
يكرمونهم ، فلما تفاسدوا جعل بعضهم يهيج اللصوص على بعض ، فنهبهم بنو
كلاب وفزارة ، وقتلوا بعض رجالهم ، فلحقوا بالمدينة ، وتفرقوا ، وقال عبد الجبار
المساحقي لبنى فزارة فيما فعلوا بالقرشين :

مهلاً فزارة مهلاً لا أبالكُمُ مهلاً فقد طال إعداري وإنذاري

في أبيات

وكانت ضرية من مياه الضباب في الجاهلية لدى الجوشن الضبابي والدشمر
قاتل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ، وكانت مسامة الضباب يروون أن
ذا الجوشن قال في الجاهلية :

دَعَوْتُ اللَّهَ إِذْ سَغَبْتُ عِيَالِي لِيَجْعَلَ لِي لَدَى وَسْطِ طَعَامَا
فَاعْطَانِي ضَرِيَّةَ خَيْرِ بَسْتَرٍ تَمِجُّ الْمَاءَ وَالْحَبَّ التَّوَامَا
ووسط : جبل على ستة أميال من ضرية يطأ الحاج المُصْعِدُ خيشومه ، وبناحيته
اليسرى دائرة سعتها ثلاثة أميال أو أربعة ، وقنيع في أعلاها ، وهي بين وسط وعسّس
ويقال لها أيضا : دائرة عسّس ، وعسّس : جبل أحمر مجتمع في السماء بهيئة رجل
جالس له رأس ومنكبان .

وأما عين ضرية وسِيحُها فيقال : إنه كان لعثمان بن عنبسة بن أبي سفيان ،
وهو الذي حفرها واغترس النخل وضرف بها ضفيرة بالصخر لينجس الماء ، وهو سد
يعترض الوادي فيقطع ماءه وينجس زمانا ليكون أغزر للعين ، فلما قام
أبو العباس كان ذلك فيما قَبَضُوا ، ففي آخر ولاية أبي العباس وكانت تحت أم سلمة
الخرومية من بني جعفر بن كلاب وقد أحالها معروف بن عبد الله عليه فأكرمه
فسأله أن يقطعه عين ضرية فأقطعه ، وكان بدويا ذا زرع ، فلما أُرْطِبَ نخلها

نزلها بأهلها ، وكانت نعمة ترد عليه ، وسأله ناس من ضريبة أن يعريهم من نخله ، فأعراهم ، وصار يحني للضيفان من الرطب ، ويحلب لهم من إبله ، فمكث نحو شهرين ، فأتاه ضيفان بعد ماولى الرطب ، فأرسل فلم يؤت إلا بقليل ، وقال له الرسول : ذهب الرطب إلا ما ترى ، فقال : يسوءنى أن أعود على ضيفانى من نخلكم ، وكان قيمه على العين زرع قشء وبطيخا ، فأتاه بشيء منه ، فقال : قبح الله ما جئت به ، أخطر أن يراه عيالى ، وكره النخل ، وأراد بيعه ، فاشتراه منه عبد الله الهاشمي عامل اليمامة بألفي دينار ، ثم ولاه جعفر بن سليمان إذ سأله إياه ، فأحدث بسوق ضريبة حوانيت جعلها سماطين داخلين فى سماطى ضريبة الأولين فيهما نيف وثمانون حانوتا ، فرمما جمعت غلة الحوانيت والنخل والزرع ثمانية آلاف درهم فى السنة . وكان شأن الحمى عند ولاية المدينة عظيما ، كانوا يستعملون عاملا وحده ، وكانت إصابته فيه عظيمة ، وكان لحواطه سلطان عظيم ، وحواط كل ناحية : سادة القوم وأشرافهم ، وكان يقال لعامل الحمى : عامل الشرف .

وأقرب أجبل الحمى للمصعد أى أقرب ما ترى من جباله — جبل الستار على طريق البصرة ، أحرر مستطيل فيه ثنايا تسلك ، ومنه طريق البصرة ، بينه وبين أمرة خمسة أميال ، وهو فى دار غنى فى ناحية هضبة الأشق ، وبالأشق مياه : منها الريان فى أصل جبل أحرر طويل ، ومن هضبة الأشق هضبة فى ناحية عرّيج يقال لها الشياء ، وفى غربى الأشق سواج الطريق تطأ خيشومه .

ومتالع : جبل أحرر عظيم عن يمين أمرة ، على ثلاثة أميال منها البشاء بينها من أكرم أعلام العرب موضعا . ولما ولى أبو خلد العباسى خال الوليد عمل ضريبة نزلها وحفر فى جوف التثاء فى حق غنى فقيره ، فلما ولى بنو العباس هدمت غنى تلك الحفرة وسوّونها بالأرض . ولبنى عباس ماء فى شعب يقال له الأسود ، ولهم بالحمى ماء يقال له ضحج [؟]

في إبط رميلة الحسى حسى بنى حصبة ، ولهم الحاء بها نخل كثير ، ولهم مياه أخرى ، ثم الأقمس ، ثم تليه هضبات تدعى قطبيات في إقبال البئر ، ثم يليها هضبات يقال لها العرائس في بلد كريم من الوضع في إقبال البئر أيضا ، وبين العرائس جبل يقال له عمود الكور .

شعر : جبل شظيم في ناحية الوضع ، وعنده ماء يقال له الشطون ، أكثر الشعراء من ذكره ، قال الخضرى :

سقى الله الشطون شظون شعر وما بين الكواكب والغدير
وعن يسار العرائس بالوضع جبال بين آبار صغار سود علاهن الرمل
مشرفات على مهزول ، وهو وادٍ في إقبال البئر ، وهن تسمين العنات ، ذكرهن ابن شاذب في شعر مدح به السرى ، فقال من أبيات :

بربا العنات حيث واجهت الربا سند العروس وقابلت مهزولا
ثم بلى العنات ذو عث وادٍ يصب في التسير ، ويصب فيه وادى مرعى وهو بناحية الحمى ، ثم يليه نضاد ، وهو بطرف البئر الشرقى في حقوق غى ، وبلى البئر جبال كثيرة سود بعضها إلى بعض ، ومنها تخرج سيول التسير ، وبنضاد وذى عث تلتقى سيولها ، والحمات والبقر بأقبال نضاد ، وهما المعنيان بالحمى ، ثم بلى الأقمس عن يسار المصعد هضب اليلبين ، وأقرب المياه إليه ماء يقال له اليلبين ، وبين هضب اليلبين والربذة نيف وعشرون ميلا ، ثم بلى هضب اليلبين عن يسار المصعد الجارة قنان سود بينها وبين الربذة خمسة عشر ميلا ، في هضب الشمال عن الربذة ، وبينهما هضب يقال لها سنام ، ثم بلى الجارة جبال سود تدعى الهاربة ، بينها وبين الربذة أربعة عشر ميلا ، ثم هضب المنحر ، ثم رحرحان .

انتهى ما تلخصه مما نقله الهجرى ، وقد أكثر الشعراء وغيرهم من ذكر هذا الحمى وأعلامه وأخباره .

وحكى ابن جنى فى النوادر الممتعة عن المفضل بن إسحاق قال هو أو قال بعض
 المشيخة : لقيت أعرابيا فقلت : ممن الرجل ؟ فقال : من بنى أسد ، فقلت : فمن أين
 أقبلت ؟ قال : من هذه البادية ، قلت : فأين مسكنك منها ؟ قال : مساقط الحمى
 حمى ضرية بأرضها لعمر الله ما يزيد بها بدلا ولا عنها حولا ، قد نصحتنا
 الغدوات ، وحفتها الفلوات ، فلا يملح تراها ، ولا يمعر جنبها ، ليس فيها أذى
 ولا قذى ، ولا وعك ، ولا موم ، ولا حمى ، فنحن فيها بأرفق عيش وأرغد معيشة .
 قلت : وما طعامكم ؟ قال : بخ بخ ، عيشنا والله عيش يعلى حاديه ، وطعامنا
 أطيب طعام وأمرؤه وأهناء : الفث والهبيد والقطس والصليب والعنكث والعلهز
 والذآنين والطرائث والحسلة والضباب ، وربما والله أكلنا القد ، واشتوينا
 الجلد ، فما نرى أن أحدا أحسن منا حالا ، ولا أخصب جنابا ، ولا أرخى
 بالا ، فالحمد لله على ما بسط علينا من النعمة ، ورزق من حسن الدعة ، أو ما سمعت
 قائلنا يقول :

إذا ما أصبنا كل يوم مذيقة وخمس تمرات صغار كوانز
 فنحن ملوك الناس شرقا ومغربا ونحن أسود الناس عند المراهز
 وكم متمن عيشنا لا يناله ولو ناله أضحى به جد فائز

قلت : فما أقدمك هذه البلدة ؟ قال : بغية ليه ، قلت : وما بغيتك ؟ قال :
 بكرات أضللتهم ، قلت : وما بكراتك ؟ قال : أبقات عرصات هبصات أرنات
 أبواب ، عيط عوائط ، كؤم فواسج ، أعزبتهم قفا الرحبة رحبة الخرجا ، ضجعن
 منى فحمة العشاء الأولى ، فما شعرت بهن إلى أن ترجل الضحى ، فقفتوهن شهرا
 ما أحسن لهن أثرا ، فهل عندك جالب عين أو جابية خبر ؟ لنيت المرشد
 وكفيت المفاسد .

الموم - بالضم - البرسان . والفث - بالغاء ثم المثناة - حب يعالج ويطحن
 ويؤكل فى الجذب .

والهبيد : حب الخنظل ينقع في الماء ويعالج حتى يخلو . والفطس - بالسكون -
حب الأس . والصليب - آخره موحدة - الودك . والعنكث - بالمثلثة - نبت
حشن شائك يعالجه الضب بذنبه حتى يتحات ويلين ثم يأكله . والعلهز : دم
وور يلبك ليؤكل في الجذب . والذآنين - بالمعجمة - جمع ذؤنون ، نبت معروف ،
والطرائث - بالطاء المهملة ومثلثتين بينهما مثناة تحتية - جمع طرثوث نبت أحمر .
والحسلة - كقردة - جمع حسل ، وهو ولد الضب ، والعرض والهبط والأرن :
النشاط ، أوأب : جمع آبية ، وهي التي ضربت فلم تلقح ، عيط عوائط : بمعناه .
وكوم فواسج : سمان . وأعز بهن : بيت بهن عازبا عن الحى . قفا الرحبة : خلفها
الخرجا : موضع به حجارة فيها سواد وبياض . وضجعن : عدلن وملن : وجابية
خير : أى طريق خارقة .

ومنها : حمى فيد - بالفاء ثم المثناة التحتية - منزل بنجد في طريق الحاج
العراقى ، فيه سوق وبرك ونخيل وعيون ، قيل : سميت بفيد بن حام ؛ لأنه أول
من سكنها .

حمى فيد

وقال ابن جبير : إنه خرج من المدينة النبوية يوم السبت صحبة الركب العراقى
فوصلوا فيدا صبيحة الأحد التاسع من خروجهم ، وقال الأسدى : فيد بطيء
لبنى نهبان ، وبه أخلاط من أسد وهمدان وغيرهم ، وبه ثلاث عيون : عين النخل
احتفرها عثمان بن عفان ، والأخرى تعرف بالحارة في وسط الحصن والسوق
احتفرها المنصور ، والثالثة تعرف بالباردة على الطريق خارج المنزل حفرها المهدي ،
وبفيد آبار كثيرة قصيرة الرشا ، انتهى .

وقال الهجرى : وأما حمى فيد وصفته فلم أجد أحداً عنده علم من كان أول
من أحماه ، ولا كم كانت منعته أول ما أحى ، إلا أن فيدا كان موضعه الذى
هو به اليوم فلاة من الأرض بين بنى أسد وطيء ، وكانت إلى جبل طيء أقرب ،
فذكر أهل العلم ممن لقيت من أهله أنه التقطت به ركبتان كانتا جاهليتين ، التقطهما

أناس من بنى أبي سلام ومعهم نفر من طيء وهم يرعون هناك في ولاية بنى مروان ، وأن أول من حفر به حفرأ في الإسلام أبو الديلم مولى لغزارة ، فاحتفر العين التي هي اليوم قائمة وأساحها وغرس عليها ، وكانت في يده حتى قام بنو العباس فقبضوها ، فهي اليوم في أيديهم .

قلت : وكأنه لم يقف على ما ذكره الأسدى من عين عثمان رضى الله تعالى عنه ، ولعله أول من أحماه .

قال الهجرى : وأما أجبل حمى فيد فأولها على طريق الكوفة بين فيد والأجفر جبل يقال له الجميل أحمر عظيم ، على ستة عشر ميلا من فيد في أرض بنى أسد ، ليس بين فيد والكوفة جبل غيره ، ثم يليه الغمر جبل أحمر طويل على عشرين ميلا من فيد ، عن يسار المصعد لمكة ، وإلى جنبه ماء يقال له الرخيمة ، وماء يقال له الثعلبية ، وكل ذلك في الحمى ، ثم عن يسار المصعد قبة سوداء تدعى أذنة ، على ستة عشر ميلا من فيد ، في أرض بنى أسد ، وفي ناحيتها في الحمى مياه يقال لها الوراق . ثم عن يسار المصعد هضبة الوراق لبنى أسد ، وفي ناحيتها مياه يقال لها أفعى ، ومياه يقال لها الوراق ، ثم جبلان أسودان يُدْعَيَان القرنين في أرض بنى أسد ، على ستة عشر ميلا من فيد ، والطريق إلى مكة تتوسطهما ، ثم عن يمين الطريق للمصعد جبل أسود يقال له الأحول في أرض طيء ، على ستة عشر ميلا من فيد ، وأقرب مياهه أبضة في حرة سوداء ، ثم عن يمين المصعد جبل يقال له دخنان بأرض طيء ، على اثني عشر ميلا من فيد ، ثم جبل يقال له الغبر ، ثم جبلان يقال لهما جاش وجلدية لطيء ، على أكثر من ثلاثين ميلا من فيد ، وههنا انسع الحمى وكرم ، ثم الصدر على سبعة أميال وثلاثين ميلا من فيد ، ثم صحراء ليس بها جبل يقال لها صحراء الخلعة ، عن يمين الأجفر ، على ستة وثلاثين ميلا من فيد وأقرب مياهها الجثجاة . ثم يليها على المحجة أكمة مشرفة على الأجفر . ثم سويقة هضبة حمراء طويلة

في السماء ، وهي في الحمى في أرض الضباب ، على ثلاثين ميلاً أو أكثر من ضرية ، وهي التي عنت جمل بنت الأسود الضبابية ، وذلك أنها جاورت بني الهدر في أعلى بلاد الضباب ، وهي متعالية لهم واد رغاث يقال له كراء في علياء دار بني هلال على ليلتين من الطائف ، وكانت بنو هلال ينهضون على أهله ، حتى جمعت لهم الضباب جمعاً وقتلوا منهم وسبوا ، وجاؤا ببعضهم إلى الحمى فهابوهم .

والضباب ملك آخر يقال له العرسى بناحية بيشة قرب تبالة ، فجاورت جمل بني الهدر في تلك الناحية ، وأغارت لصوصهم على عكرة لها يوم الأضحى ، واغتتموا تشاغل الناس بالعيد ، فقالت جمل وكانت بليغة :

بنى الهدر ماذا تأمرون بعكرة	قلاند لم تخلط بحبث نصابها
تظل لأبناء السبيل منأخة	على الماء يُعطى درها ورقابها
أقول وقد ولوا بهيت كأنه	منأكب حوضى رملها وهضابها
ألهم على يوم كيوم سويقة	شفى غل أ كباد فساغ شرابها
بنى الهدر لو كنتم كراما وفيتم	لجارتكم حتى يحين انقلاها
ولكنما أنتم حمير حساة	مجدعة الأذنان غلب رقابها

فأشارت بقولها « كيوم سويقة » إلى وقعة كانت للضباب مع عامل ضرية مهروب الهمدانى من قبل زياد بن عبيد الله الحارثى ، وذلك أن عامله له مع حواط الحمى وجدوا نعا للضباب في الحمى بناحية سويقة فطردوها أقبح الطرد ، فركبوا في أثره ، فأصابوه بضرب ، وعقرُوا راحلته ، فأتى عامل ضرية ، فخرج بجنده وسخر رجالا معه من أهل ضرية كرها حتى لقي نعا للضباب فيها بعضهم ، فأسر ففرا منهم ، فبلغ الضباب ، فأدركوه بسويقة ، ففكر عليهم ، فنادوا : يا أهل ضرية ، أنتم مُسكرهُون فاعتزلوا ، ونادوه أن خل سبيل أصحابنا وما أصيب منا بالذى أصبنا منك ، فتراموا بالنبل حتى فنيتم ، ثم اقتتلوا فانهزم ، وأدركوه فقطعوه بالسيوف ، وقتلوا نفرا من أصحابه ، ورجعوا بالأسرى .

ثم بلى سويقة جبل ذو قنان كثيرة ، ليس بالحلى أكبر منه إلا أن يكون شعبي ، وهو جبل أسود ، فى أرض الضباب ، كثير المعادن من التبر ، كان به معدن يقال له النجادى ، كان لابن أبى نجاد^(١) ، لم يعلم فى الأرض مثله ؛ فعن شيخ من موالى خزاعة أنه خرج منه مالم يسمع بمثله ، ورخص الذهب بالعراق والحجاز لما أن كثر حتى قل نيله لغلبة الماء عليه . وقر به قرية عظيمة ، وكان له عامل مفرد يخرج من المدينة .

ثم كبّد منى : قنة عظيمة مفردة شرقى منى ، وهو جبل يشرف على ما حوله كبّد منى ينظر إليه الحجاج حين يصعدون عن أمرة ، وبين حليت ومنى جبل يقال له قادم ، وإلى جنبه قويدم ، وبهما مياه يقال لها القادمة من أطيب ماء بالحلى وأرقه ، يضرب بها المثل فى العذوبة ، بينها وبين منى دارة الفهيدة التى عقرت لها ناقة المنسرح وعقر لها ما عقر ، وذلك أنه كان تمثالا لا يكاد يبين ، وله صريمة يحلب عقيلتها لأمه ، فكانت حياتها لأن الناس اشتوا ، فبينما هو بدارة الفهيدة فى ولاية ابن هشام إذ دخلت الحلى فتركها فباتت فرآها بعض الحواط من الموالى ، فطرد الصريمة أقبح الطرد ، فعرض له المنسرح ليكفه ، ولا سلاح معه ، فطعن الناقة التى يحلبها المنسرح لأمه فى ضرعها فاختمط لبنها بدمها ، فحلف لا يسكن الحلى ولا يمس رأسه دهن حتى يعقر إبل من عقر ناقته ، فتوجه إلى قومه ، فأخبرهم خبره ، وطلب سيفاً قاطعاً لا يقع فى شئ إلا خرج منه ، فأعطوه إياه ، فأتى إبلا للمولى مہارى ، فقال المراهى : أنا رسول مولاكم وهو بضرية يأمركم أن تعقلوا خيار إبلكم فإنه نصيحكم لأمر حدث ، وأخرج لهم عقلاً ، فصدقوه وحلبوا له ناقة ، فوضع الإناء ، فقالوا : ألا تعقبى ، قال : دعوه حتى يبرد ، قال : وإنما كرهت أن أشرب اللبن وأعقر إبله .

فلما غفلوا عنه أهرأقه ، وعقلوا من خيار الإبل نحو ثلاثين ، فلما ناموا استل سيفه وضرب ناقة على حقيبتها فضى حتى فلق ضرعها ، وتوالت الإبل ، فطفق

(١) فى معجم البكرى « لرجل من ولد سعد بن أبى وقاص يقال له نجاد بن موسى »

فِي الْمُعْقَلَةِ عَقْرًا حَتَّى أَتَى عَلَيْهَا ، وَقَطَعَ بَعْضُهَا الْعُقْلَ فَتَبِعَهَا فَمَا أَدْرَكَ بِعِيرًا إِلَّا عَقَرَهُ ،
 وَفَطَنَ الرِّعَاءَ فَرَأَوْا مَا يَعْمَلُ السَّيْفُ ، فَوَلَّوْا هَرَبًا ، ثُمَّ دَفَنَ سَيْفَهُ بِالْحِمَى ، وَكَانَ
 أَعَزَّ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَرْسَلَ يُخَبِّرُ أَهْلَهُ ، وَرَكِبَ صَاحِبُ الْإِبِلِ فِي النَّاسِ حَتَّى
 نَظَرُوا إِلَيْهَا ، وَقَالَ الرِّعَاءُ : لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا أَنَّهُ بِمَقَامٍ ، فَعَرَفَ أَنَّهُ الْمُنْشَرَحُ ، فَأَمَرَ
 ابْنَ هِشَامٍ بِطَلْبِهِ ، وَأَخَذَ إِخْوَتَهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ فُجِسُوا ، فَسَمِعَ ، فَجَاءَ إِلَى الْعَامِلِ
 فَقَالَ : حُلِّ هَؤُلَاءِ فَأَنَا بِغَيْتِكَ ، فُجِسَ وَخَلَّاهُمْ ، وَرَفَعَهُ فِي وَثَاقٍ إِلَى ابْنِ هِشَامٍ ،
 وَخَرَجَ مَعَهُ بَعْضُ أَهْلِ بَيْتِهِ ، قَالُوا : فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ جَعَلَ يَأْتِينَا الرَّجُلُ الشَّرِيفُ
 فَيَسْأَلُنَا عَنِ السَّيْفِ ، وَيَقُولُ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ خَلَصْتُ صَاحِبَكُمْ وَضَمَنْتُ عَنْهُ تَأْتُونِي
 بِالسَّيْفِ ، فَتَنْكَرُ وَلَا تَقْرُبُ شَيْءَ مِنْ أَمْرِ السَّيْفِ ، فَتَوَعَّدَهُ ابْنُ هِشَامٍ وَسَأَلَهُ أَنْ
 يَقْرَ ، فَأَبَى ، وَكَلَّمَ أَصْحَابَهُ نَفَرَ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ فِي أَنْ يُؤْخَذَ صَاحِبُهُمْ بِالْبَيْتَةِ
 أَوْ يَحْلَفَ ، فَسَأَلَ ابْنَ هِشَامٍ خَصْمَهُ الْبَيْتَةَ ، فَلَمْ يَقْمَعْهَا ، فَأَمَرَ بِمِيمِنِهِ عِنْدَ الْمَنْبَرِ الشَّرِيفِ .
 فَلَمَّا قَرَّبَ مِنَ الْمَنْبَرِ وَذَكَرَ لَهُ مَا يَحْلِفُ عَلَيْهِ ، وَانْدَفَعَ يَحْلِفُ ، شَرَحَ اللَّهُ لِسَانَهُ
 فَقَالَ : أَحْلَفُ بِاللَّهِ لَأَنَا عَقَرْتُ إِبِلَ فُلَانٍ بِيَدِي ، وَلَقَدْ بَرَى مِنْهَا غَيْرِي ، فَرَدَّوهُ
 إِلَى ابْنِ هِشَامٍ ، وَابْتَدَرْتَهُ قَرِيشٌ كُلُّ يَقُولٍ : عَلَى الْإِبِلِ ، طَمَعًا فِي السَّيْفِ ، ثُمَّ
 اخْتَلَفَ عُلَمَاءُ غَنَى ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : احْتَمَلَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ ، وَخَلَّى سَبِيلَهُ ،
 وَخَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ السَّيْفِ ، فَطَلَبَهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَانْطَلَقَ لِسَانُهُ مِنْ يَوْمَئِذٍ فَسُمِيَ الْمُنْشَرَحُ .
 ثُمَّ بَلَى كَبِدَ مَنْى هَضْبِ الْأَشَقِّ . هَذَا آخِرُ مَا لَخِصْتُهُ مِنْ كِتَابِ الْمُهْجَرِ .
 قَدْ تَمَّ - بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقُوَّتِهِ ، وَمَعُونَتِهِ - الْجُزْءُ الثَّلَاثُ مِنْ كِتَابِ « وَفَاءُ
 الْوَفَا ، بِأَخْبَارِ دَارِ الْمُصْطَفَى » لِلْعَلَامَةِ السَّمْعُودِيِّ ، وَيَلِيهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ -
 الْجُزْءُ الرَّابِعُ ، وَهُوَ نِهَاجُ الْكِتَابِ ، وَمَطْلَعُهُ « الْفَصْلُ الثَّامِنُ ، فِي بَقَاعِ الْمَدِينَةِ ،
 وَأَعْرَاضِهَا ، وَأَعْمَالِهَا ، وَمُضَافَاتِهَا ، وَأَنْدِيَتِهَا ، وَجِبَالِهَا ، وَتَلَاغِهَا » نَسَأَلُ الَّذِي
 لَا يَعْينُ عَلَى الْخَيْرِ سِوَاهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِإِكْمَالِهِ ، وَيُوفِّقَنَا بِفَضْلِهِ إِلَى إِتِمَامِهِ ؛ إِنَّهُ وَلِيُّ
 ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

فهرست الجزء الثالث

من كتاب « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى »
لنور الدين علي بن أحمد ، المصرى ، السمرودى ، نزيل المدينة المنورة

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٧٧٩	الباب الخامس فى مصلى النبي فى الأعياد وغير ذلك من المساجد التى صلى فيها ، وفيه سبعة فصول	٨٠٠	ما جاء فى فضل الصلاة فى مسجد قباء
—	الفصل الأول فى الأماكن التى صلى فيها	٨٠٢	إتيان الرسول مسجد قباء
—	أول عيد صلاه النبي فى المصلى	٨٠٥	موضع صلاة الرسول فى مسجد قباء
٧٨٠	مكان مصلى العيد	٨٠٩	تجديد مسجد قباء
—	تعدد موضع صلاة العيد	٨١٢	ما ينبغى أن يزار من آثار قباء
٧٨١	المسافة بين مصلى العيد وباب السلام	—	دار سعد بن خيثمة
٧٨٢	المواضع التى صلى فيها العيد	٨١٣	دار كثوم بن الهدم
٧٨٤	مصلى العيد بالصحرَاء	—	بئر أريس
٧٨٧	كيف صلى الرسول العيد ؟	—	ما جاء فى طريق ذهاب النبي إلى قباء وعودته منه
٧٨٨	ذكر من أحدث المنبر فى مصلى العيد	٨١٤	ذرع الطريق
٧٨٩	أول من خطب قبل صلاة العيد	—	مسجد الضرار
٧٩١	ما جاء فى فضل المصلى الشريف	٨١٦	أسماء بناة مسجد الضرار
٧٩٢	بيان طريق النبي فى ذهابه إلى مصلى العيد وعودته منه	٨١٨	الخلاف فى موضع مسجد الضرار
٧٩٧	الفصل الثانى ، مسجد قباء ، وفضله وخبر مسجد الضرار	٨١٩	الفصل الثالث ، فى بقية المساجد
—	تأسيس مسجد قباء	—	المعلومة العين
٧٩٨	الخلاف فى بيان المسجد الذى أسس على التقوى	—	مسجد الجمعة
		٨٢١	مسجد الفضينخ
		٨٢٣	مسجد بنى قريظة
		٨٢٥	مشربة أم إبراهيم
		٨٢٧	مسجد بنى ظفر
		٨٢٨	مسجد الإجابة

الموضوع	ص	الموضوع	ص
مسجد بني دينار	٨٦٦	مسجد الفتح	٨٣٠
» » عدى، ومسجد دار النابغة	٨٦٧	المساجد التي حول مسجد الفتح	٨٣٦
» » مازن	٨٦٨	مسجد بني حرام الكبير	٨٣٨
» » عمرو بن مبدول	--	كهف بني حرام	٨٣٩
» » بقيق الزبير	٨٦٩	مسجد العنبلتين	٨٤٠
» » صدقة الزبير	--	مسجد السقيما	٨٤٣
» » بني خدره	٨٧٠	مسجد ذباب (الراية)	٨٤٥
» » اخارث بن الخزرج	٨٧١	مسجد النسيح اللاصق بجبل أحد	٨٤٨
ومسجد السمنح		مسجد في ركن جبل عيين	--
مسجد بني الحبل	--	مسجد العسكر	٨٤٩
» » بياضة	٨٧٢	مسجد أبي ذر الغفاري	٨٥١
» » خطمة	--	مسجد أبي بن كعب (بني جديلة =	٨٥٢
» » أمية الأوسيين	٨٧٣	البقيق)	
» » وائل	٨٧٤	مساجد المصل	٨٥٤
» » واقف	--	مسجد ذي الحليفة	--
» » أنيف	٨٧٥	الفصل الرابع ، في المساجد التي	٨٥٤
» » دار سعد بن خيثمة	--	عليها جهتها ولم تعلم عينها	
» » التوبة	٨٧٦	مسجد أبي بن كعب	٨٥٤
» » النور	٨٧٧	مسجد بني حرام	--
» » عتيان بن مالك	--	مسجد الخربة	--
» » ميثب (صدقة النبي)	٨٧٨	مسجد جهينة وبلي	٨٥٥
» » المنارتين	--	مسجد بني غفار	٨٥٦
مسجد فيفاء الخبار	٨٧٩	مسجد بني زريق	٨٥٧
» » بين الجثجثة وبشر شداد	٨٨٠	مسجدان لبني ساعدة	٨٥٨
الدور التي صلى بها الرسول	--	سقيفة بني ساعدة	٨٥٩
دار الشفاء	--	مسجد بني خدارة	٨٦٠
دار الضمري	٨٨١	مسجد رائج	٨٦١
دار بسرة	--	مسجد واقم	٨٦١
دار أم سليم	--	مسجد القرصة	٨٦٤
دار أم حرام	٨٨٢	مسجد بني حارثة بن الأوس	٨٦٥
		» الشيخين (البدائع)	--

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٨٨٣	الفصل الخامس ، في فضل مقابرها	٩١٥	قبر أبي سعيد الخدري
—	خروج النبي ليلا إلى البقيع	٩٢٠	مشهد مالك بن أنس الإمام
٨٨٦	فضل البقيع	—	مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق
٨٩١	الفصل السادس ، في تعيين قبور	٩٢١	مشهد حمزة بن عبد المطلب
—	بعض من دفن بالبقيع	٩٢٣	مشهد مالك بن سنان الخدري
—	قبر إبراهيم ابن رسول الله	—	مشهد النفس الزكية
٨٩٣	قبر عثمان بن مظعون	٩٢٥	الفصل السابع ، في فضل أحد
٨٩٤	قبر رقية بنت رسول الله	—	الأحاديث الواردة في فضل أحد
٨٩٥	قبر فاطمة بنت أسد	٩٢٧	موقع أحد من المدينة المنورة
٨٩٧	القبور التي نزلها رسول الله خمسة	٩٢٨	وجه تسمية أحد ووجه
٨٩٩	قبر عبد الرحمن بن عوف	٩٣٠	زعموا أن هارون عليه السلام مدفون بأحد
—	قبر سعد بن أبي وقاص	—	مزاعم في مواضع من جبل أحد
٩٠٠	قبر عبد الله بن مسعود	٩٣١	شهادة الرسول لشهداء أحد
—	قبر خنيس بن حذافة	٩٣٢	زيارة الرسول وخلفائه قبور الشهداء
—	قبر أسعد بن زرارة	—	بأحد على رأس كل عام
٩٠١	قبر فاطمة بنت الرسول	٩٣٣	تسمية شهداء أحد
٩٠٥	قبر بعض أبناء علي بن أبي طالب	٩٣٥	سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب
٩٠٦	المتوكل العباسي يأمر بهدم قبر الحسين بن علي	٩٣٦	قبر عمرو بن الجوح وعبد الله بن حرام
٩٠٨	قبر الحسن بن علي	٩٤٠	من دفن بالمدينة من قتلى أحد
٩٠٩	تسمية من دفن مع الحسن بن علي	٩٤١	الباب السادس في آبارها
—	دفن علي بن أبي طالب بالبقيع	—	المباركات ، وفيه خمسة فصول
—	دفن رأس الحسين بن علي	٩٤٢	الفصل الأول في الآبار
٩١٠	قبر العباس بن عبد المطلب	—	بئر أريس
—	قبر صفية بنت عبد المطلب	٩٤٦	من فضل بئر أريس
—	قبر أبي سفيان بن عبد المطلب	٩٤٨	ذرع بئر أريس
٩١١	قبر عبد الله بن جعفر الطيار	٩٤٩	بئر الأعواف
—	قبور أمهات المؤمنين	٩٥٠	بئر أنا
٩١٣	قبر عثمان بن عفان	—	بئر أنس
٩١٥	قبر سعد بن معاذ	٩٥٢	بئر إهاب

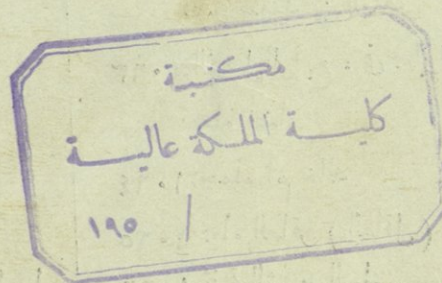
ص	الموضوع	ص	الموضوع
٩٥٤	بئر البصة	١٠٠٥	مسجد آخر بذى الحليفة
٩٥٦	بئر بضاعة	—	المعرس
٩٥٩	بئر جاسوم	١٠٠٧	آخر بالروحاء
٩٦٠	بئر جمل	١٠٠٨	عرق الظبية
٩٦١	حاء	١٠١٠	شرف الروحاء
٩٦٥	ضبط بئر حاء	١٠١٠	المنصرف (الغزالة)
٩٦٦	حلاوة	١٠١٢	الرويشة
—	ذرع	—	ثنية ركوبة
٩٦٧	رومة	—	الأثاية
٩٧١	السقميا	١٠١٣	العرج
٩٧٦	العقبة	١٠١٤	المنيجس
٩٧٧	أبي عنبة	—	لحي جمل
—	العين	١٠١٥	السقميا
٩٧٨	غرس	١٠١٦	مدلجة تعين
٩٨١	القراصة	—	الرمادة
٩٨٢	التريصة	—	الأبواء
—	اليسرة	١٠١٧	البيضة
٩٨٤	تمة ، في العين المنسوبة للنبي	—	عقبة هرشي
—	عين كهف بني حرام	—	الجحفة
٩٨٨	الفصل الثاني ، في صدقات الرسول	١٠١٨	مسجد غدير خم
—	وما غرسه بيده الشريفة	—	مسجد طرف قديد
—	أصل هذه الصدقات	—	مسجد عند حرة خليص
٩٨٨	أسماء صدقات الرسول ، ومواضعها	١٠١٩	مسجد خليص
٩٨٩	وقف الرسول لأمواله	—	مسجد بطن مر الظهران
٩٩٣	تحديد مواضع الصدقات والمعروف	١٠٢٠	مسجد سرف
—	منها	—	مسجد التنعيم
٩٩٥	طلب فاطمة من أبي بكر صدقات أبها	—	الخلاص في مسجد عائشة
١٠٠١	الفصل الثالث فيما ينسب إلى الرسول	١٠٢١	عمرات الرسول
—	من المساجد التي بين مكة والمدينة	—	مسجد ذى طوى
١٠٠٢	مسجد الشجرة (ذى الحليفة)		

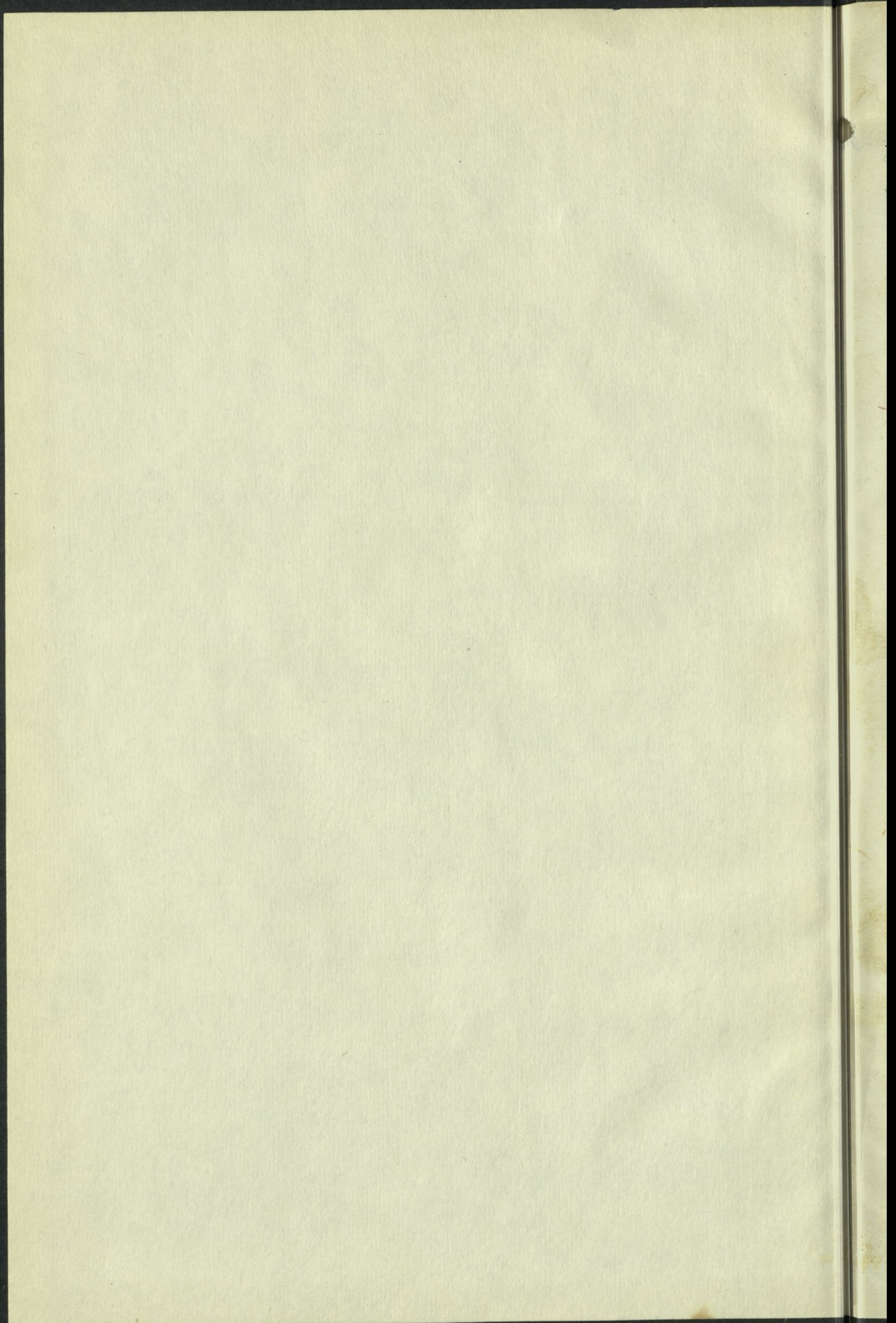
ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٠٢٢	الفصل الرابع ، في بقية المساجد التي بين مكة والمدينة	١٠٢٣	دبة المستعجلة
—	شعب سير	—	ذكر عدة مساجد
١٠٢٤	مسجد ذفران	١٠٢٥	مسجد الصفير
—	مسجد ثنية تبوك	١٠٢٦	مسجد بدر
—	مسجد العشيرة	—	مساجد الفرع
١٠٢٧	مسجد الضيقة	—	مسجد مقمل
١٠٢٧	الفصل الخامس ، في بقية المساجد والمواضع المتعلقة بالرسول	١٠٢٧	مسجد العصر
١٠٢٨	مسجد الصهباء	—	مسجدان قرب خيبر
—	مسجد بين شق والنظاة	—	مسجد شمران
١٠٢٩	مساجد تبوك	١٠٣٢	مسجد الكديد
—	مسجد الشجرة بالحديبية	١٠٣٣	مسجد ذات عرق
—	مسجد الجعرانة	١٠٣٤	مسجد لية
—	مسجد الطائف	١٠٣٧	الباب السابع ، في أوديتها وبقاعها
١٠٣٩	حد العقيق	١٠٤٢	الفصل الثاني ، في أقطاعه
—	رسول الله يقطع بلال بن الحارث العقيق	١٠٤٣	قصر عروة بن الزبير وبثره
١٠٤٨	قصر عاصم بن عمرو بن عمر بن عثمان ابن عفان	١٠٥٠	قصر المغيرة بن أبي العاص وبثره
—	قصر عنيسة بن عمرو بن عثمان ابن عفان	١٠٥١	قصر عنيسة بن سعيد بن العاص
١٠٥٢	قصر أبي بكر بن عبد الله بن مصعب بن الزبير	—	قصر عبد الله بن أبي بكر بن عمرو ابن عثمان
١٠٥٣	جملة من القصور والآبار	١٠٥٤	الفصل الثالث ، في العرصنة
—	قصر خارجة	—	قصر عبد الله بن عامر
—	قصر مروان بن الحكم	—	قصر سعيد بن العاص
١٠٦٣	الفصل الرابع ، في جماعات العقيق	—	جماء تضارع
١٠٦٤	جماء أم خالد	١٠٦٥	جماء العاقر (العاقل)
١٠٦٦	ثنية الشريد السلي		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٠٦٨	خاتمة ، في سرد ما يدفع في العقيق	١٠٨٠	خاتمة ، في مجتمع الأودية ومغائضها
	من الأودية ، وما به من الغدران	١٠٨٢	الفصل السادس ، فيما سمي من
١٠٧١	الفصل الخامس ، في بقية أودية		الاحياء
	المدينة .	—	معنى الحى
—	وادی بطحان	١٠٨٢	حى النقيع
١٠٧٢	وادی رانونا	١٠٨٦	حكم الحى
١٠٧٤	وادی قناة	١٠٨٧	حى أبى بكر وعمر
١٠٧٥	وادی مذيئيب	١٠٩٠	الفصل السابع ، في شرح حال
١٠٧٦	وادی مهزور		بقية الاحياء
١٠٧٩	تممة ، فيما قضى به الرسول في هذه	—	حى الشرف
	الأودية	١٠٩١	حى الرينة
—	قضاؤه بين الزبير ورجل من الانصار	١٠٩٢	حى ضرية
—	قضاؤه في سيل مهزور	١١٠٢	حى فيد

تمت - بحمد الله تعالى وتوفيقه - فهرس الجزء الثالث من كتاب « وفاء الوفا » ،
بأخبار دار المصطفى .

والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه





5

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

